المدخل الى اللاهوت

نقله إلى العربية

الأب (المطران) حبيب هرمز

المصحح اللغوي: سليم عتيشا وأمجد لويس

لوحة الغلاف الفنان د. وسام مرقس

منشورات كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاهوت
المركز الثقافي (6)

منهج مقرر في كلية بابل للفلسفة واللاهوت

الطبعة الأولى، بغداد 2002

الطبعة الثانية، البصرة 2017

نشر:

ابرشية البصرة والجنوب الكلدانية

الفهرست

الموضوع	المؤلف	الصفحة
مقدمة المترجم		5
المدخل		7
الجزء الأول:الأسس		
الفصل الأول: اللاهوت وطرقه	Thomas P.Rausch,S.J	11
الفصل الثاني: العودة إلى المصادر	Daniel L.Smith-Christopher	33
الفصل الثالث: مدخل إلى دراسة العهد الجديد	Jeffrey S.Siker	57
الفصل الرابع: الكنيسة عبر التاريخ	Herbert J.Ryan,S.J	80
الجزء الثاني:الأسئلة النظامية		
الفصل الخامس: الإيمان المسيحي، نظرة معاصرة	John R.Connolly	97
الفصل السادس:	Mary	111

الانثروبولوجية اللاهوتية	M.Garascia, C.PP.S	
الفصل السابع: اللاهوت الأدبي الإيمان وطريق حياة المسيحي الإيمان والأخلاقية المسيحية	John R.Popiden	140
الفصل الثامن: الحياة المسيحية: الأسرار والليتورجيا	Michael Downey	162
الجزء الثالث: المواضيع المعاصرة		
الفصل التاسع: الروحانية المسيحية	Mary Milligan,R.S.H.M	188
الفصل العاشر :مواضيع في الكنيسة المعاصرة	Marie Anne Mayeski	205
الفصل الحادي عشر: اللاهوت والأديان العالمية	Christopher Key Chapple	220

مقدمة المترجم

يسرني أن أقدم لأعزائي طلبة كلية بابل للفلسفة واللاهوت، ولطلبة المعاهد والدورات اللاهوتية في قطرنا العزيز، هذه الترجمة المتواضعة لكتاب: المدخل إلى اللاهوت والذي يدرس في أحدث الكليات اللاهوتية منذ سنوات وفق توجيهات المجمع الفاتيكاني الثاني، ولأجل إدخال الطالب إلى العلوم اللاهوتية من أوسع أبوابها راجياً أن أكون قد قدمت شيئاً مفيداً لأخوتي القراء عموماً لأن الكتاب تمت تهيئته بطريقة سلسة وسهلة الفهم كي يكون في متناول الجميع حتى للذين لم يحصلوا على قدر من المبادئ اللاهوتية، كما أنه مفيد في سعينا إلى الحوار الحضاري بين الأديان لكونه منفتحاً على أديان العالم الرئيسية.

ولأن الترجمة ليست بالسهلة، فإنني أعتذر عن كل خطأ قد يكتشف، فلست خبيراً في الترجمة، بل هاوياً مغامراً منذ سنوات، ساعياً إلى اكتشاف الجديد.

شكراً لسيادة المطران جاك أسحق لاختياري لتدريس هذه المادة في الكلية.

شكراً للأب الراهب بشار المخلصي الذي اقترح ترجمة هذا الكتاب.

شكراً لأخي مسعود الذي ساعدني في الترجمة وخاصةً في الفصل الأخير.

شكراً للتلميذ العزيز توني شمعون نونا الذي ساعدني بترجمة الفصل السادس من الكتاب.

وأخيراً أود الإشارة إلى أننا لم نترجم حرفياً كل ما ورد في الكتاب، بل عمدنا إلى زيادة التوضيحات في بعض النقاط، وعدم ترجمة بعضها الآخر لكونها تهتم بحالات لا نوليها أهمية كبيرة في بلدنا، وعلى سبيل المثال لم نشر تفصيلياً إلى ما ورد فيه من اهتمامات أساقفة أمريكا، أو

تفاصيل الديانة الهندوسية. كما أنّ مؤلفي الكتاب لم يولوا الديانة الإسلامية، ولا لاهوتنا المشرقي ما فيه الكفاية من المعلوماتية، وهذه نقاط ضعف في هذا العمل.

كما قمنا بإضافة مقاطع من الدساتير والعقائد التي أصدرها المجمع الفاتيكاني الثاني، والخاصة بموضوعنا.وأضفنا العديد من التنبيهات الخاصة بالدراسة، وخاصة في الفصل الأول زيادة للفائدة.

المترجم
كنيسة مار كوركيس – الغدير /بغداد
16: 7: 2002

المدخل

أصبح اللاهوت نظامياً في الجامعات، منذ نهاية القرن الثاني عشر،حيث نظم في مجموعات ليدرس في المدن مثل بولونيا، وباريس، وأوكسفورد. وحينما بدأت هذه الجامعات تأخذ مكاناً في المدارس الديرية،والكاتدرائية، فإنها تضمنت عموما، جماعات أو كليات عديدة، لها مدّرسون (أو أساتذة) في اللاهوت. ففي سنة 1250م كان لجامعة باريس كليات في الفنون (تتضمن الفلسفة، ومبادئ العلوم، والقانون، والطب. لذلك كانت الجامعة مشهورة.

وعندما رسم القديس إغناطيوس دي ليولا الخطوط العريضة لرؤياه التعليمية بخصوص الكليات والجامعات في القرن السادس عشر، فإنه إستند على خبرته في دراساته الخاصة، خصوصاً في باريس. حيث أكد على أهمية اللاهوت. وبالنسبة اليه؛اللاهوت هو نظام متكامل،فسره ميشيل بكلي Michael Buckleyمثل "حكمة المهندس المعماري".

كان التعليم في المدارس يعتبر تدريس اللاهوت بالضد من تدريس الأديان، ويعطى للطلبة من عمر 17 سنة. وحتى إذا كانت دراسة اللاهوت محددة بالذين يتهيّأون للكهنوت، فإن أهمية اللاهوت احتلت مكاناً مهماً في برنامج الكنيسة الدراسي،وثبت في كل الكليات والجامعات. تضمنت هذه الكليات والجامعات، أنظمة تثقيفية في التأريخ..ولكن لا زالت تتبعها بنماذج وسيطة لجامعة أوربية ذات مستوى أدنى من يومنا هذا. فاللاهوت اليوم (إن كان في الجامعة، أو الكلية،أو كحالة شخصية)لم يتكامل في برنامجيته.

إن الوضع مختلف كثيراً في الولايات المتحدة... فقد غيرت الكليات والجامعات مناهجها بعد المجمع الفاتيكاني الثاني، لا بل قبله. لأن الحالة القديمة كانت متأخرة كثيراً،

فمثلاً حتى سنة 1950 لم يكن هناك فهم منظم لتدريس اللاهوت، بل كان الإهتمام منصباً على الفلسفة،ولم يتم إعطاء كورسات في الدين إلا لأمور دفاعية، لإبراز الإيمان الكاثوليكي بشكل معلوماتي.

كل ذلك بدأ بالتغير بعد المجمع الفاتيكاني الثاني. شيئاً فشيئاً، بدأ رجال ونساء علمانيون بتسلم درجات التخرج في اللاهوت، وأصبحوا أساتذة في اللاهوت، يدرسون في الجامعات والكليات، جنباً الى جنب مع الكهنة.

إن زيادة الاهتمام بالجامعات والكليات اللاهوتية لهي بركة كبيرة،فقد تحولت العديد من الأقسام اللاهوتية الى أقسام للدراسات الدينية.

لقد قسمت الدراسة الى قسمين، أولاً المدخل، ويدرس في فصلين أو ثلاثة، وتُدّرس المسيحانية أو الكنيسة،أو الأخلاق المسيحية،أو اللاهوت الأدبي،مع قليل من تاريخ الكنيسة، دراسة تأخذ بنظر الاعتبار مستوى معلومات الطلبة عن القديس أوغسطين،وتوما الأكويني،ولوثر،أو نيومن.

إن هذا الكتاب صمم ليكون كتاباً تكميلياً،انه يحاول توفير مدخل الى دراسة اللاهوت وطرقه المختلفة. ولا يشبه الكتب القديمة أمثال (de Deo Uno, de deo Trino,etc)، والتي كانت تقترب من كونها طرائقية. فاللاهوت اليوم أصبح علماً مقسماً الى أجزاء compartmentalized يوما بعد يوم.

الكتاب مقسم الى ثلاثة أجزاء. الجزء الأول يبحث في المواضيع الأساسية. الفصل الأول يهتم بطبيعة اللاهوت كعلم، مع مهمّته النقدية واختصاصاته المختلفة، وكعمل الكنيسة. انه يدرس التوتر الظاهر أحياناً بين اللاهوتيين والأساقفة بسبب الطبيعة الثنائية للاهوت. ويقدم (دانيال سمث) في الفصل الثاني قصة أبناء العهد القديم والكتاب المقدس العبري. أما (جفري سكر)، فإنه في الفصل الثالث،

يرسم الخطوط الخارجية لتطور قانون العهد الجديد، وطرق النقد الكتابية، والصور المتميزة لكتب العهد الجديد. أما في الفصل الرابع، فإن (هربرت ريان) يلقي نظرة على تأريخ الكنيسة.

يتناول الجزء الثاني عدداً من المواضيع النظامية (أو المنهجية).ففي الفصل الخامس، يبحث جون كونولي في الإيمان المسيحي، مبرزاً التباين بين النموذج العقلي للإيمان؛ والاقتراب الشخصي منه،ومناقشة الإيمان كعقل وكمحتوى. إنه يدخله في مواضيع الكشف،والمسيحانية،والكنيسة، ورموز الإيمان.أما (ماري كراسيا)، فإنها في الفصل السادس، تستكشف عدة مواضيع في الأنثروبولوجية اللاهوتية، والشخص كصورة الله، وكخاطئ وكمُخَلَّص،وكذات أمام الله، وككيان اجتماعي.أما جون بوبون، فإنه في الفصل السابع، يستكشف طبيعة، وطرق اللاهوت الأدبي. ويطور (ميشيل دوني) في الفصل الثامن النظرة الأسرارية التي تؤثر على استخدامات الأسرار في الحياة المسيحية.

ويستقصي الجزء الثالث بعض المواضيع المعاصرة في حياة الكنيسة. فتدخل (ماري مليجن) مفهوم الروحانية، وتستكشف عدداً من الروحانيات المتنوعة؛ والشخصية التي تمثلها. وتناقش (ماري أني) في الفصل السادس تأثير المجمع الفاتيكاني الثاني على اللاهوت الكاثوليكي الغربي، وتهتم بموضوعين في ما بعد كنيسة المجمع: كالمسكونية، والأنثوية.أخيراً في الفصل الحادي عشر، يتنقل (كرستوفر شابل) من دعوة الفاتيكاني الثاني إلى الحوار، ويتضمن الفصل أيضاً دراسة ديانات الشرق الرئيسية (الهندوسية،البوذية ...الخ).

ولأن الكتاب كُتبَ من وجهة النظر الغربية، فإنه يقترب نحو الوعي بالمسكونية، ويعكس جماعية اللاهوت المعاصر في مختلف نقاط النظر المشاركة. لأن الاختلافات

بحاجة إلى أن تحترم. لقد حاول المشاركون –وليس دائماً بنجاح- أن يصنعوا لغة المواضيع التاريخية بشمولية أكثر، فالتغيرات المدخلة يتم الدلالة عليها من خلال أسانيدهم.

إن هذا الكتاب يمثل عطاءّ مشتركاً لأعضاء في قسم اللاهوت في جامعة ليولا ماريماونت Loyola Marymount. لقد هُيئ أولاً كمادة صفية في الجامعة في ربيع سنة 1991. ونحن الذين في القسم ممتنون لأولئك الذين شاركونا في الصف، وساهموا بملاحظاتهم واقتراحاتهم. واليوم، لدينا رجاء، أنّ الكتاب سيساعد في إدخال الآخرين الى المجال الغني والمنوع للدراسات اللاهوتية. توماس ب.روش

الفصل الأول

اللاهوت وطرقه

يسأل يسوع تلاميذه في ختام خدمته " ماذا يقول الناس عني " مر 8: 27، لكن التلاميذ لم يكونوا متأكدين، فيسمعون الآخرين يتحدثون معهم عن قرب الله منهم. لقد اقترب يسوع إلى الغريب والمعاق وتحدى رؤساء الديانة اليهودية وامتلأ بالرجاء ... فيقول بطرس:" أنت المسيح "مستخدماً التقليد الديني في ذلك الوقت، فحسب الأنبياء، المسيح ممسوح من قبل الله، وسيجدد الحياة الدينية للشعب، ويضع أسس العدالة والسلام والحق ...هنا بطرس يعبر عن خبرته الشخصية بيسوع، ويحاول صياغة لغة معبرة، فكان بطرس يصنع لاهوتاً.

ما هو اللاهوت؟ اللاهوت عند الكثيرين هو حديث عن الله بلغة إنسانية غير عادية. ويبدو اللاهوت كخلاصة، ومملوء من كلمات صعبة التعريف وتحديد معناها خصوصاً عندما نتطرق إلى كلمات مثل الإيمان، العدالة، الخلاص، النعمة، الكشف، الإسكاتالوجية (الأواخرية)، الروح ...إضافة إلى تداخل المعاني عند المدارس الكاثوليكية مع المدارس في الكنائس الأخرى: توماوية،كالفينية ...بارث،راهنر ...وحسب اللاهوت الرسمي، أم حسب لاهوت التحرير

اللاهوت يتعلق بخبرتنا عن الله، وبالأخص خبرة جماعة الإيمان. هو الجهد المبذول لفهم وتفسير خبرة إيمان الجماعة، بواسطة تعابير مصاغة بلغة ورموز،وكما يقول

القديس أوغسطينوس،فاللاهوت هو الإيمان الذي يبحث عن الفهم fides quaerens intellectum.

مع التأكيد على الإيمان، فاللاهوت يختلف كثيراً عن الدراسات الدينية أو عن تاريخ الأديان. فهذه تبحث كي تدرس التقاليد الدينية أو الإيمانية من الخارج، كمن يمس مواضيعَ معينة. بينما عمل اللاهوت يبرز خبرة إيمان الشخص من خلال التقاليد الدينية. وبالطبع يستطيع الشخص أن "يعلم" اللاهوت أو أن تكون له علاقة بتقاليده ومواضيعه. ولكن صنع اللاهوت يتطلب التأمل والوعي بالله. أو كما قال البابا يوحنا بولس الأول قبل وفاته:" اللاهوتيون يتكلمون كثيراً عن الله، وأنا أتعجب كم يتكلمون إلى الله."

لذلك لا يمكن أن يغيب الإيمان عن عمل اللاهوت. فكارل راهنر، هو من أوائل اللاهوتيين الكاثوليك في القرن العشرين، تحدث عن اللاهوتي كعالم وكعاكس نظامي للكنيسة عبر إيمانها. وإن اقترابه نحو اللاهوت هو عامل مساعد لأنه يؤكد ذلك، وبينما اللاهوت هو علم فهو أيضاً عمل الكنيسة.

ولكن هناك شد في العلاقة بين اللاهوت كعلم، وكعمل الكنيسة. فكعلم يتطلب حرية محددة لمتابعة المعطيات أينما كانت، وكعمل الكنيسة، يبحث كي يحمي الإيمان الذي تثق به الكنيسة وتعلنه من خلال المعلمين والأساقفة.

اللاهوت كعلم

حسب راهنر، اللاهوت هو " الشرح، أو التوضيح المطول الواعي للكشف الإلهي والمفهوم بالإيمان."، لذلك فاللاهوت يمكن أن ندعوه "علم الإيمان" لأن موضوع

اللاهوتي هو الكشف الإلهي، والذي هو الكشف الذاتي لله بيسوع المسيح، لذا فاللاهوت ليس مغامرة شخصية فقط.

أولاً هناك عنصر شخصي في خبرة إيماننا الشخصي، ذلك أن الإيمان هو مشاركة لأنه يستلم من خلال الجماعة ويجتاز تاريخياً من خلال الجماعة عبر آيات الكتاب المقدس والتقليد المسيحي.

علاوة على ذلك، فإن الكشف الذاتي لله بيسوع المسيح تاريخياً، تلك الخبرة الإيمانية هي عنصر تصوري، أي يعبر عنه من خلال اللغة والمفاهيم. إن عمل اللاهوتي هو أن يربط هذا العنصر المعبر عنه بالإيمان المسيحي، حتى لو كانت الصيغة اللغوية محدودة وقادرة على استيعاب تعبير ملائم أكثر عن من هو الله، وكيف نعرفه، وماذا علينا أن نعرف عن تعاليم يسوع، ولأجل أن نعمل موضوعات في خبرة الإيمان المسيحي عبر لغة ومفاهيم، فالعمل اللاهوتي هو طرائقي ونقدي.

الاختصاصات والطرق

اللاهوت كعلم يدخل في مجال التحقيق الطرائقي[1] مثل العلوم الطبيعية والاجتماعية والتي لها مساحات أو اختصاصات وطرق بحثية، كذلك اللاهوت يملك اختصاصات مختلفة ويستخدم عدة طرق في عمله في الإيمان المسيحي. إن بعض الاختصاصات تبحث في مصادر التعليم المسيحي الكتابية والتاريخية والعقائدية. والبعض يتبنى مواضيع في الفهم المسيحي لله والمسيح والكنيسة والأسرار ...إلخ.وأخرى راعوية أو تطبيقية،متعلقة بالحياة المسيحية والإدارة، والصلاة، والعبادة.

[1] **أي باستخدام طرق متنوعة.**

اللاهوت الكتابي Biblical Theology

إن عمل اللاهوت الكتابي هو استعادة المعنى التاريخي للنص الكتابي، وأحياناً يشير إلى كونه حرفياً أو فهماً تاريخياً للنص، والمعنى قد أعد من قبل الكاتب. بينما التحديد الأساسي للمعنى هو مع حرفية معنى الكلمات، يبحث اللاهوتي الكتابي أو المفسر ليكتشف المعنى المعد من قبل الكاتب. (طالع سفر التكوين 6-8). لكي نكتشف المعنى التاريخي للنص، يستخدم اللاهوتي الكتابي عدداً من الطرق التاريخية والأدبية في البحث:

النقد التاريخي: ويبحث في السياق التاريخي الذي جاء به النص باستخدام مقارنة اللغة التاريخية والآثارية والإنسانية

نقد الشكل: هو علم أدبي يبحث عن هوية مختلف الأشكال الأدبية في الكتاب المقدس، ويتتبع أثر الأشكال من خلال مختلف مستويات التقليد، كي يكتشف أصلها، وهو علم أدبي شكلاه الأساسيّان النثر والشعر. إن أشكال الشعر في الكتاب المقدس تتضمن الملاحم والشعر الغنائي والشعر التعليمي، وأغاني المديح،والنحيب. بينما أشكال النثر تتضمن أشكالا سردية مثل الميثولوجيا الشعبية، وقصص شعبية (ساغات)،وذكريات غزلية بشكل شفرات وأمثال وأجوبة الأنبياء،وحكايات خيالية، وقصص حب، ورؤى كشفية.

نقد المصدر: يبحث كي يحدد المواد التي هيأها المؤلف، مثلاً إنجيل مرقس هو مصدر أغلب أجزاء متى ولوقا.

نقد التنقيح: هو علم أدبي يبحث ليكتشف اللاهوت الخاص، ومركز رؤية الكاتب من خلال تحليل عمل الكاتب الذي قام بتحوير التقليد المستلم، وتركيبه، أو ليؤكد على مواضيع خاصة. وعلى سبيل المثال، يؤكد مرقس ولوقا على تعليم يسوع بخصوص "الملكوت" أو "ملكوت الله "،بينما يستخدم متى " ملكوت السماوات"، أما يوحنا، فيؤكد على كلام يسوع عن " الحياة الأبدية ".

نقد النص: يبحث كي يؤسس النص الأصلي، أو الرؤية الأدبية للعمل، هل كتب أصلاً بالعبرية أم باليونانية؟

اللاهوت التاريخي Historical Theology: يبحث في تطور إيمان الكنيسة، والتقليد اللاهوتي في مختلف مراحل التاريخ. فنجد هناك الآباء في القرون المسيحية الستة الأولى، وهناك لاهوت العصور الوسطى، والإصلاحات، والقرن التاسع عشر ...الخ. يمكن للاهوت التاريخي أن يؤشر الاختلافات بين التطور العام لتقليد الكنيسة، والظرف الخاص، والتاريخي المعبر عنه في العقيدة والأسرار، أو الإدارة التي هي بحاجة الى إعادة تفكير.

غالباً ما يتم (تاريخياً) تزويد الكنيسة المعاصرة بنتائج جديدة متحررة نوعا ما من الممارسة الكنسية. كيف تم فهم الافخارستيا في كنيسة الآباء، أو العصور الوسطى، أو في زمن الاصلاح؟ ما هي العوامل التاريخية التي لعبت دوراً في تطور العقيدة الخاصة؟ فعلى سبيل المثال، كيف تطورت عقيدة العصمة البابوية؟ فمصطلح العصمة لم يكن مستخدماً حتى القرن 13، بينما حددت العصمة البابوية في المجمع الفاتيكاني الأول سنة 1870.

اللاهوت النظامي Systematic Theology: يبحث ليفهم العقائد الأساسية للإيمان، ويكشف عن مدى تعلقها الواحدة بالأخرى. يميز برنارد لونركان في كتابه (طريقة في اللاهوت) مختلف مهام اللاهوت العقائدي والنظامي. إن العقائد متعلقة بالتأكيدات الواضحة للحقائق الدينية، فاللاهوت النظامي يبحث ليفهم الحقائق الدينية المؤكدة من خلال تلك العقائد، ومنها لاهوت الله، والمسيحانية، ولاهوت الكنيسة،ولاهوت الأسرار،واللاهوت الأنثروبولوجي ...الخ.

يحاول اللاهوت النظامي أن يعيد التعبير عن إيمان الكنيسة وفق لغة ومصطلح معاصر. وبهذا العمل نختبر موضوعاً معطى وفق أسسه الكتابية، وتطوره التاريخي، وتعبيرا بلغة تعليم الكنيسة الرسمي، ووفق رؤى اللاهوتيين المعاصرين.واستناداً إلى هذه المهمة، فإن اللاهوت النظامي يجعلنا نستفيد من مختلف الطرق والاختصاصات اللاهوتية. وعلى سبيل المثال، كي يتطور لاهوت الكنيسة المعاصر، على الباحث دراسة تطور الكنيسة بعيداً عن مختلف جماعات العهد الجديد. كيف كانت تركيبة الجماعات المسيحية الأولى؟و كيف تطورت خدمتها؟، هل كانت كنيسة واحدة أم عدة كنائس مختلفة؟ إن اللاهوت التاريخي يمكن أن يستخدم لتوضيح طريقة فهم نمو الكنيسة الذاتي، والتغيرات الحاصلة عبر الزمان، وتأثير الإصلاح، ومختلف لواهيت الكنيسة التي التزمت مواضيع في الأزمنة الحاضرة، خصوصاً أيام المجمع الفاتيكاني الأول سنة 1870،والثاني (1962-1965)، وأخيراً، فإن مختلف الأمور المنظورة يجب أن تؤخذ بالحسبان، كيف يتم فهم الكنيسة من خلال الأسرار؟، وما هو دور النساء؟، وما هو تأثير لاهوت التحرير؟، وكيف هي رؤية الكنيسة من خلال الفاتيكاني الثاني، والمجامع العامة المعاصرة؟ هذه كلها تضيف أشياء أخرى إلى لاهوت الكنيسة.

اللاهـوت الأدبـي Moral Theology:إن عمـل الإنسان المطابق لإرادة الله هو موضوع بحث هذا اللاهوت. فمـن جهـة وككـل شـكل مـن أشـكال اللواهيـت، فإنـه يـرتبط بـالوحي الإلهي في الكتـاب المقدس، ومـن جهـة أخـرى يهتم بسلوك الإنسان علـى الأرض، فـالمؤمن هـو فـي العـالم ولـيس من العالم، لذلك فإنه بحاجة إلى تحويل نياتـه اليسـوعية إلـى واقـع فـي الحيـاة اليوميـة، فمـن الضـروري إذن البحـث فـي طبيعة الإنسان الذي تسكن الخطيئة فيه، وككـائن مـدعو إلـى أن يعيش البنوة لله.

اللاهـوت يهـتم بمواضـيع قـيم الحيـاة المسـيحية، والأخلاق اللاهوتية الشخصية والاجتماعية، ويهتم في كيفية اتخاذ القرارات وإنجازها، ومـا هـي الـدلائل المستنبطة مـن آيات الكتاب المقدس والتقليد المسيحي.

إن الأخلاق الاجتماعية تبحث لأجل أن تجعل الإنجيل والتعلـيم الاجتمـاعي للكنيسـة فعـالاً ضـمن حقـول العدالـة الاجتماعيـة وحقـوق الإنسـان. وقـد تـم التعبيـر عـن التعلـيم الكاثوليكي من خلال الرسائل البابوية بدءاً من رسـالة البابـا لـويس 13 "العصـور الجديـدة" 1891والتـي أكـدت علـى كرامـة الشـخص البشـري كمخلـوق علـى صـورة الله، وتبعيـة الأنظمـة الاقتصـادية للخيـر العـام، ومبـدأ الشركة،واسـبقية الجهد على رأس المال، وحق الكل في المشاركة في خيرات المجتمع ...وأخيراً، اختيار الكنيسة للفقراء.

اللاهـوت الراعـوي Pastoral Theology: قـال اللاهـوتي كـارل راهنـر؛ إن كـل لاهـوت، هـو فـي النهايـة لاهوت راعوي، فاللاهوت الراعوي متعلق بالخدمـة وبنـاء الجماعـة المسـيحية مـن خـلال إعـلان البشـرى، والعبـادة، والارشـاد، والمثاقفـة الدينيـة، والخدمـة. وتتمركـز مباشـرة باتجاه حياة المسيحي وطريقة عيشها.

الروحانية Spirituality: مصطلح يستخدم لشرح النظرة الخاصة إلى الحياة المسيحية، وسياق الحياة. وهو نظام للتلمذة. هناك روحانيات مختلفة في تقليد الكنيسة، كالرهبانيات، والعاملين في مجال العدالة الاجتماعية، وللنساء ...الخ.

اللاهوت الليتورجي Liturgical: لاهوت متعلق بالعبادة الرسمية للكنيسة، انه يبحث ليجعل عمل أسرار الكنيسة قادراً على التعبير بطريقة أكثر تأثيراً على معنى الحياة المسيحية بالمسيح كجماعة بالروح عبر دراسة تاريخ وتركيب وطقوس الليتورجيا.

الحق القانوني Canon Law: دراسة قوانين الكنيسة الصادرة، وأبرزها التي صدرت عام 1918، والتي تم تجديدها سنة 1983.

اللاهوت الأساسي Fundamental Theology: وهو لاهوت نشأ بسبب المجابهات التي كانت تتم بين المسيحيين الأوائل والوثنيين، لذا يمكن تسميته في بدايته باللاهوت الدفاعي، حيث اهتم به اللاهوتيون فيما بعد ومنهم القديس توما الاكويني. يهدف هذا اللاهوت إلى مواجهة العقلانيين والمثاليين والماديين، وذلك من خلال إيجاد سبل معرفة: أسباب الإيمان، الاستعداد للإيمان، مقدمات الإيمان، الأعجوبة، النبوة، الطبيعة، إمكانية الوحي ومعرفته، وأشكاله، وتجسده في يسوع، وتاريخه وبراهينه. ثم ينتقل في مسائله إلى تأريخ الكنيسة بدراسة طبيعتها اللاهوتية من خلال متابعة رسلها وسلطتها وتعليمها ...

اللاهوت الطبيعي Natural Theology: وهو لاهوت البحث عن براهين وجود الله من خلال المعطيات الطبيعية، فهو يشير إلى معرفة الله عبر الخليقة وعلاقتها مع الجنس البشري. هناك خلفية كتابية تشرح هذا اللاهوت، منها حكمة العهد القديم، ورسالة القديس بولس إلى أهل رومية 1: 18-20 حيث يأخذ بولس بنظر الاعتبار إمكانية معرفة الله الطبيعية. وفي أعمال الرسل 17: 22-31 يفسر لوقا إشارة بولس إلى اللاهوت الطبيعي لغرض تبشيري (أنظر أيضاً أعمال 14: 15-17). وكحال كل شكل من أشكال اللاهوت، فإنه يعتبر الفلسفة اليونانية "بذوراً" للكلمة الإلهية، ففلسفة ذلك العصر اتجهت نحو الكوسمولوجي، فالمسيحيون اعتبروا اللاهوت الطبيعي مستمداً من معرفة"كتاب الطبيعة" والذي يعتبره المسيحي مهماً كمعرفة "الكتاب المقدس"، رغم إن القديس أوغسطينوس اعتبر معرفة الإنسان قد بُتِرَت بسبب الخطيئة، ولكن القديس توما الاكويني في العصر الوسيط نظم طرقاً وبراهين وجود الله من الطبيعة التي توصلنا إلى الله، ثم في عصر التنوير أُعتُبِرَ اللاهوت هذا كوسيلة عقلية نحو كشف الحقيقة الإلهية

لقد أكد المجمع الفاتيكاني الأول على إمكانية الخليقة الحقيقية في إعلان معرفة الله، ولكن لا إمكانية لها في تكوين طريقة لاهوتية طبيعية.

لاهوت الخلق Theology Creation:لاهوت يهتم عموماً بالعلاقة بين الخالق وخلائق الخالق، واليوم يهتم بانثروبولوجية اللاهوت، والكوسمولوجي ونظرية التاريخ.

لاهوت الله: إن المفهوم المسيحي عن الله هو لاهوت ينعكس على الحقيقة الداخلية لله الذي يميز في الإعلان الكتابي كخالق وأب ليسوع وهدف التاريخ. في الشرح

العقائدي لسياقات الإيمان؛ عادة يكون اللاهوت العقائدي أول مجال واسع له، ويعتبر الكتاب المقدس خلفية له إضافة إلى تعليم الكنيسة (أنظر 1يو 4: 8،16) (1طيم 6: 16)(أع 17: 28) (يو 14: 6)

اللاهوت العقائدي Dogmatic Theology الشرح العقائدي للإيمان، وما فسرته الكنيسة من الكشف الذاتي لله في يسوع المسيح والروح القدس والطريقة التي يقبلها الإيمان المسيحي والحياة المسيحية

لاهوت التحرير Liberation Theology :مشروع لاهوتي يشمل كل أوجه الإيمان المسيحي، مصدره الاختبار الروحي الذي يدفع المؤمن إلى العمل السياسي،ينطلق من رفض الواقع المحلي الظالم،وقد يتطلب القطيعة مع المصادر المعرفية التقليدية، وله طابع نبوي نقدي، حيث يعيد تفسير الحقائق الإيمانية، ويؤمن بالجدلية بين الإيمان والتاريخ، وإن الشعب الفقير هو الفاعل في اللاهوت، واللاهوت يولد في التاريخ.

لاهوت النعمة Grace Theology: لاهوت دراسة النعمة كعطية من الثالوث الأقدس، وكونها فائقة الطبيعة تتفاعل مع حياة الإنسان في الواقع عبر الضمير، والعقل، وعيش الرجاء، والمحبة، والمواهبية.

لاهوت الثالوث Trinity: شرح الثالوث الأقدس من خلال دراسة الوسائل النظرية مثل: مفهوم الوحدة في الثالوث، معنى الشخص والطبيعة والجوهر والاقانيم، او الثالوث في ذاته، والثالوث في التدبير.

اللاهوت المعاصر Modern Theology: التمييز بين المواضيع الكبرى في اللاهوت: الله، المسيح، الكنيسة، الإنسان، الخلاص، ونقد الماضي، نقد اللاهوت المدرسي، نقد اللاهوت الليبرالي.

لاهوت الأسرار Sacramental Theology: محاولة التفكير في سر تصميم الله منذ الأزل، وسر الخلق، سر الفداء، سر الكنيسة، القداس. والأسرار السبعة: المعمودية، الميرون (التثبيت)، الزواج، الدرجة (الشماسية، الكهنوتية، الأسقفية)، المسحة، التوبة، ...

اللاهوت الديوترونومي Deuteronomic Theology لاهوت تطور التوراة العبرية كما نراها في سفر تثنية الإشتراع

لاهوت المساواة (النسوي، الأنثوي) Feminist Theology: لاهوت نشأ بسبب الطابع الآبائي في التقليد لأجل إعادة فهم تلك المرحلة من خلال المساواة بين الجنسين. وتهيئته بصيغة غير آبائية.

لاهوت القارات يهتم بلاهوت أفريقيا، وأمريكا الجنوبية، وآسيا.

اللاهوت التاريخي Historical Theology: يعتم بدراسة تطور اللاهوت بربطه مع المعطيات التاريخية.

اللاهوت الأونطولوجي Onto Theology: فرع من اللاهوت يتعلق بدراسة موضوع الكيان برؤية أونطولوجية وتحديد التساؤلات بخصوص الله والكيان.

اللاهوت السلبي Negative Theology معرفة الله من خلال الانكار والصمت، لأجل الوصول إلى تسامي كل فكرة وتعبير

اللاهـــوت الأنثـــوي (النســـائي): Womanist Theology: لاهوت برز بعد حركة المرأة السوداء في نطاق الدين والخبرة الدينية.

اللاهوت كنظام نقدي

للاهوت واجبات عديدة، أولها التمييز الرسمي بين تعابير إيمان الكنيسة وعقائدها. والعقائد هي تعابير لاهوتية لإيمان الكنيسة الذي ربما هو تعليم الكنيسة الرسمي أو لا، وتصبح تعليم الكنيسة الرسمي عادة كنتيجة لتعليمها كسلطة من خلال تعليم الكنيسة الرسمي، إن كان في مجمع أو كإرشادات بابوية أو أسقفية.

عادة ما يربك اعتقاد الناس من خلال عقيدة ما للكنيسة، فعلى سبيل المثال، لا يزال كثيرُ من الناس يعتقدون أن (الينبوس) هو مكان الأطفال المتوفين قبل أن ينالوا العماد، وعلى الرغم من أن الينبوس ليس تعليماً رسمياً أو عقيدة كنسية، فلقد دخل تاريخ المسيحية كفكرة لاهوتية، وكتطور لاهوتي متأثر بالقديس أوغسطين.

هناك مهمة أخرى للاهوت هي إعادة تفسير اللغة الكنسية التي تعكس الإيمان بتعابير معينة. إن كل "تعبير عن الوحي" هو حالة تاريخية، ولذلك هو محدود، كما علم مجمع عقيدة الإيمان الفاتيكاني في رسالته بتاريخ 73/6/24. إن مصطلح " التعبير عن الوحي expression of revelation" يتضمن آيات مقدسة، وقوانين إيمان، وعقائد، وتعليم الكنيسة الرسمي. وهناك أربع طرق يتم بها تحديد التعبير عن الوحي، هي:

1- بواسطة قدرة تعبير لغة كل زمان، وهذا يعني أنّ اللغة التي تستخدم للاتصالات بنجاح في فترة، قد لا تكون كذلك في فترة أخرى. ومن الأمثلة؛ مصطلح ملكوت الله، والنعمة،والصالح، قد يعاد ترجمتها في مختلف العصور والثقافات.

2- بواسطة المعرفة المحددة لكل زمان. إن أي تعبير عن الإيمان يجب أن يكون حقيقياً وليس كاملاً. فإن تعريف الفاتيكاني الأول للعصمة البابوية هو حقيقي، ولكنه بحاجة إلى إيضاح الفاتيكاني الثاني، وتأكيده على مشاركة الأساقفة في تعليم الكنيسة المعصوم والرسمي.

3- بواسطة الإهتمام الخاص الذي يبعث التحديد أو التصريح. فلكي نفهم التصريح الخاص، من الأساسي فهم السياق التاريخي الذي به صيغ. فتأكيد الفاتيكاني الأول على العصمة جاء كرد فعل على بروز الكاليكانية في فرنسا، والتي أرادت حصر الصلاحيات البابوية ضمن قوانين محلية.

4- بواسطة المفاهيم المتغيرة (أو التنوع الفكري) في كل زمان، وعلى سبيل المثال، إن مصطلح الإستحالة الجوهرية transubstantiation في القرن الثالث عشر كان ليعبر عن حقيقة مهمة في الإيمان الإفخارستي للكنيسة، ولكن نفس الحقيقة يمكن أن يعبر عنها بلغة مختلفة في ثقافة تحمل فلسفة متنوعة عن الجوهر والأعراض.

اللاهوت كعمل الكنيسة

اللاهوت هو في خدمة إيمان المسيحي دائماً، كجهد يؤدي إلى لفظ الإيمان بوضوح، وهو عمل الجماعة المؤمنة، أي الكنيسة. واللاهوتيون

الاختصاصيون،والأساقفة، يشاركون في هذه المهمة اللاهوتية، ولكن يؤدونها بطرق مختلفة.

الأساقفة واللاهوتيون

لقد تحدث القديس توما الأكويني في القرن الثالث عشر عن اللاهوتيين الجامعيين كمتمرنين لتعليم الكنيسة الرسمي على كراسي التعليم أو إدارة التعليم، بجانب إدارة الأساقفة الراعوية.

وفي سنة 1830 إتخذ تعليم الكنيسة الرسمي معناه - أثناء تولي البابا غريغور السادس عشر - بضرورة إشتراك البابا والأساقفة، فالأساقفة عندما يجتمعون في المجمع، يتحملون مسؤولية مراقبة إعلان البشارة ويدرسون تعليم الكنيسة الرسمي ويتّحدونَ بالبابا كرأس للأساقفة المجتمعين ويشاركون في عصمته.

يتكلم اللاهوتيون من داخل الكنيسة لا لأجلها، ولهم السلطة على أساس علمهم الواسع. فيجب أن يكونوا مساعدين لإيمان أبناء الكنيسة، وواجبهم أن يتأكدوا أن لغة الكنيسة والبشارة هي بلغة اليوم.

يجب أن يعيدوا بثبات اختبار تقليد الكنيسة كي يجعلوه قادراً على أن يلقي بنوره على الأسئلة الجديدة. إنهم بحاجة إلى الحرية كي يطرحوا تساؤلات على التعابير التقليدية لإيمان المسيحي –وحتى التعليم الرسمي – كي يحرروه من تحديدات الظروف التاريخية وليجعلوه سهل الفهم وفق سياقات تاريخية جديدة.

قد يرتبك عمل الأساقفة واللاهوتيين في أوقات مختلفة، فاللاهوتيون يفشلون أحياناً في إحترام السلطة الراعوية للأساقفة، مفترضين أنّ لهم السلطة،فيمضون في تعليمهم. وأحياناً العكس، عندما ينتقدون زملاءَهم الذين يرفضون التعليم الرسمي تاركين المسؤولية للأساقفة.

ومن جهة أخرى، فالذين يتحدثون عن تعليم الكنيسة الرسمي، يفشلون أحياناً في إحترام القدرة الصحيحة للاهوتيين، ومن هؤلاء – قبل المجمع – جون موري، أما بعد المجمع: هانس كينغ،وأدورد شليبيكس، وليوناردو بوف،وشارلس كررن.

لقد مال البابا بيوس 12 في بعض كتاباته إلى التقليل من دور اللاهوتيين إلى حد كونهم يساعدون في تعليم الكنيسة الرسمي. فقال سنة 1950 في رسالته الجنس البشري(Humani Generis): إن مهمة اللاهوتيين هي " أن يحملوا الدلالة لما هو سبب كون الأمور التي تعلم بواسطة تعليم الكنيسة الحي والموجودة في التقليد الكتابي وآيات الكتاب هي واضحة أو موجودة ضمناً".

وبعد أربع سنوات، طلب من اللاهوتيين أن يعلموا لا بذكر أسمهم أو بواسطة عنوانهم الأكاديمي ولكن بفضيلة المهمة التي استلموها من شرعية تعليم الكنيسة الرسمي.

وعندما صدر الحق القانوني سنة 1983 أكد على أن تعليم اللاهوتيين في الجامعات يجب أن يستلم " التخويل " من السلطة الكنسية. وفي سنة 1990 صدر عن مجمع عقيدة الإيمان المقدس "تعليمات في الدعوة الكنسية للاهوتي" دعا إلى التعاون بين اللاهوتي والأسقف.

معايير التعبير اللاهوتي

إن للعبارة اللاهوتية معايير تعكس طبيعة اللاهوت كعلم وعمل الكنيسة، من أهمها:

1- هل تنسجم مع التقليد الكنسي؟

إن الكتاب المقدس، هو التعبير المكتوب عن خبرة إيمان بني إسرائيل، والجماعة المسيحية الأولى. وستبقى تعبيراً معيارياً عن التقليد المسيحي. وإن أي تعبير لاهوتي عن الإيمان المسيحي، يجب أن ينسجم مع شهادة التقليد الكتابي. وعلى أية حال، فإن معيار الإنسجام يقر بالأسئلة

المعاصرة كونها غير معنونة بواسطة الكتاب المقدس، ولا يمكن الجواب عليها بسهولة (طالع يوحنا 14: 6).

2- هل هي مستندة من قبل التقليد الرسمي للكنيسة؟

يصل إيمان الكنيسة بطريقة رسمية في عقائده، وطقوسه، وأسراره، وبتعاليم الكنيسة الرسمية. فالتعبير اللاهوتي عن الإيمان عندما يضادد تعليم الكنيسة الرسمية، فهو مشكوك فيه على الأقل. إن لم يكن ضد التقليد. فتبصر أيها القارئ في كم هو اللاهوت المسيحي موجود ضمنياً في أسرار العماد أو الافخارستيا.

3- هل هو منسجم مع إيمان الشعب المسيحي؟

إن إيمان الكنيسة يعبر عن إيمان الشعب المسيحي(Sensus Fidelium) وهذا أكثر من كونه فكرة أغلبية كي يجب أن تؤخذ بالتصويت. إنها لا تعمل مستقلة عن التعليم الرسمي للأساقفة، بل هي نتيجة لعمل الروح القدس داخل الكنيسة. وطبقاً للفاتيكاني الثاني:"وإن جماعة المؤمنين، الذين نالوا مسحة القدّوس،لايمكن أن تضلّ في الإيمان؛ وتظهر هذه الخاصة التي تتميز بها، بواسطة حاسة الإيمان الفائقة الطبيعة التي يملكها الشعب بأسره عندما يجمع رأيه،" من الأساقفة إلى آخر المؤمنين العلمانيين "، على قضية إيمانية أو أدبية." (دستور عقائدي في الكنيسة 12).

4- هل تنسجم مع المعرفة العلمية؟

يمكن للعبارة اللاهوتية أن " تبرهن" طبقاً إلى طرق العلوم الطبيعية أو الاجتماعية. ولكن أحسن لاهوت يجب على الأقل أن ينسجم مع ما هو معروف من مصادر المعرفة. فمثلاً، لا يوجد داع للصراع مع نظرية التطور، والفرضيات المفهومة،والمؤسسة بصورة حسنة، وبين

عقيدة الخلق الكتابية. إذ يستطيع شخص أن يؤمن أن الله هو مبدع الخلق النهائي. وشخص آخر يهتم في كيفية حصول الخلق.

كما إن ظاهرة المعجزة، لا يمكن شرحها علمياً، ولا يمكن رؤيتها كحالة تقاطع مع "قوانين" الطبيعة، ولكنها تجعل حواسنا تدرك أنه في بعض الحالات هناك مسببات غير معروفة ربما لا زالت تعمل في ميدان عالمنا، وكذلك الحال مع قيامة يسوع التي تدخل ضمن إطار الأحداث الأواخرية.

5- هل هي قادرة على أن تثير اهتمام الناس اليوم؟

إن هذا المعيار يهدف إلى تفعيل العبارة اللاهوتية في الحياة اليومية، أكثر من أن يكون الهدف تحقيق مصداقيتها. ولكنها مهمة أيضاً. فالعبارة اللاهوتية التي ليس لها علاقة بموضوع حياة الشعب المسيحي، حتى وإن كانت صحيحة، سوف لن تكون تعبيراً مؤثراً عن إيمان الجماعة.

اللاهوت والتعليم الديني Theology & Doctrine

علم الفاتيكاني الثاني في دستوره العقائدي في الكنيسة؛ أن الأساقفة بالإتحاد مع البابا، يستطيعون تحت ظروف محددة؛ التعليم معصومين عن الخطأ. ولكن آباء المجمع كانوا معتنين بالتمييز بين العصمة وفق تعليم الكنيسة الرسمي، وما يشار إليه كتعليم عادي "غير معصوم "، ولكنه كنسي رسمي."فالمؤمن"الوفي مدعو إلى قبول التعليمين، ولكن بنوعية مختلفة. فعليه " الخضوع للعقيدة"، لتلك التعاليم التي أعلنت (العقائد dogmas) بعصمة. بينما التآليف والتعاليم غير المعصومة (doctrins فيجب قبولها مع " الخضوع الديني " بواسطة الإرادة والعقل (دستور عقائدي 25). إن التمييز هنا، هو تمييز

مهم، إنه يتضمن الإختلاف بين العقيدة الدينية الجوهرية dogma، والعقيدة عموماً (كتعليم) doctrine.

إن هذه التعاليم أو العقائد، والمعتبرة موحاة أو تعليماً إلهياً من قبل السلطة الكنسية العليا، تسمى عقائد دينية جوهرية dogmas، فالعقائد تتضمن موضوع الإيمان creed، والتعليم الظاهر للمجامع المسكونية، والتعاليم المعصومة غير العادية للبابا، مثل عقيدة المحبول بها بلا دنس، والمعلنة من قبل البابا بيوس التاسع سنة 1854، وعقيدة الإنتقال المعلنة من قبل البابا بيوس الثاني عشر سنة 1950.

إن رفض العقيدة يعني الخروج من الشركة، فالعقيدة تتضمن " قاعدة الإيمان ". وهي " إعادة تشكيل "، وهو مصطلح تقني يعني إن اتجاه الأحكام المعطاة لا يمكن تغييره، مثل أي عبارة ظرفية تاريخية، فهي موضوع إعادة التفسير. تتضمن العقائد Doctrines كل تعاليم الكنيسة لاحتوائها آيات من الكتاب،أو المجامع، أو تعليم البابوات العادي. ليست كل العقائد معلنة من قبل نفس السلطة، " فالملاحظات اللاهوتية"المعطاة بخصوص العقائد، تنتقل من " الممكن " و " عدم التعرض للخطر"، أو تتضمن الوحي الإلهي. لقد علم الفاتيكاني الثاني أن هناك " هرمية " للحقيقة عبر مختلف العقائد.

إن العقائد المتفق عليها، والاختلافات الناتجة بسبب التعابير اللاتينية obsequium religiosum تعني تعدد الصور، والخضوع، والطاعة، لأن التعابير أعلاه تعبر عن الموقف الديني للمؤمن، موقف المحبة نحو الكنيسة، والرضى بحقيقة التعليم.

ولكن بسبب إن عدداً من اللاهوتيين قد افرزوا خارجاً، لم يعلن عن عصمة هذه التعاليم، ولا يمكن نبذ إمكانية الخطأ. لذلك فإن هذه التعاليم ليست مواضيع لإعادة التفسير، إذ يمكن إعادة تشكيلها، أو تغييرها. هنا للاهوت

دور مهم في جس التقليد والبحث أكثر في التعبير الملائم لإيمان الكنيسة.

هناك عدد من الأمثلة في تاريخ الكنيسة المعاصر، تبين عدداً من التعاليم الخاصة والمعلنة من قبل البابا، تم مراجعتها بطرق نقدية " وسلّمت" من قبل الكنيسة، وخصوصاً من علمائها Scholars، فقد تم تغيير تعاليم البابا بيوس التاسع والثاني عشر من قبل الفاتيكاني الثاني؟

الخلاصة

يعبر عن الإيمان المسيحي بعدّة طرق، بحياة الرحمة والخدمة والصلاة والعبادة والموسيقى وهندسة العمارة والفن والآيات المقدسة والتقليد المسيحي عبر لغات مختلفة.

اللاهوت، نظام نقدي، وعلم، وعمل الكنيسة. إنه مدافع عن جوهرة عطية الوحي الذاتي لله بيسوع، وبنفس الوقت ضمان لغة الكنيسة التي بها تعلن العطية وسط ثقافات مختلفة، وبسياقات تاريخية جديدة.

إن العلاقة بين اللاهوتيين والأساقفة، هي علاقة مثمرة. فأللاهوتيون يفهمون أنفسهم كرجال ونساء الكنيسة، ويبحثون كي يستعملوا علومهم ليجعلوا الكنيسة وإعلانها يعكسان الإنجيل. وللأساقفة واللاهوتيين أدوار أساسية في بناء الجماعة المسيحية.

من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني

"وبما أن الله قد تكلم في الكتاب المقدس بواسطة البشر وبطريقة البشر، ينبغي لمفسر الكتاب المقدس أن يبحث بكل تدقيق عمّا أراد كاتبو

الأسفار أن يقولوه حقيقة، وما شاء الله أن يعلنه بواسطة كلامهم هذا، حتى يرى جلياً ما أراد الله نفسه إعلانه لنا. وينبغي أيضاً، لاستنباط نية كاتبي الأسفار المقدسة اعتبار "أنواع الأساليب الأدبية، ضمن غيرها من الأشياء،إذ أنه يتم عرض الحقيقة والتعبير عنها بطرق مختلفة، بنصوص تاريخية متنوعة، أو بنصوص نبوية، أو شعرية، أو بغيرها من أنواع التعبير، وبالتالي ينبغي للمفسر أن يبحث عن المعنى الذي كان كاتب السفر المقدس يريد أن يعبر عنه، والذي عبر عنه فعلاً، في ظروف محدودة، حسب أوضاع عصره ومستوى ثقافته، مستعيناً بأنواع الأساليب الأدبية المستعملة في ذلك الوقت.

ومن ثم، حتى نفهم فهماً صحيحاً ما أراد كاتب السفر المقدس إعلانه كتابة، يجب أن نعتبر جيداً سواء تلك الأساليب المألوفة والمميزة، في الفهم والكلام والرواية، التي كانت تسود في زمن الكاتب المقدس، أم تلك الأساليب التي كان من المألوف استعمالها في ذلك العصر في علاقات الناس المتبادلة.

ولما كان من الواجب أن نقرأ الكتاب المقدس ونفسره بالروح الذي كتب به عينه، لزمنا لاستنباط معاني نصوصه الصحيحة بتدقيق، أن نعتبر ايضاً، لا بأقل اهتمام، مضمون الكتاب المقدس بأكمله ووحدته، مع مراعاة التقليد الحي في الكنيسة جمعاء والتوافق في الإيمان. وعلى المفسرين أن يعملوا، طبقاً لهذه القواعد، على فهم معاني الكتاب المقدس وعرضها بطريقة أعمق، حتى ينضج حكم الكنيسة بفضل هذه الدراسة الإعدادية. لأن كل ما يتعلق بأساليب تفسير الكتاب المقدس يخضع في

نهاية الأمر لحكم الكنيسة، التي تنفذ الأمر الإلهي وتمارس مهمة حفظ كلمة الله وتفسيرها." (في الوحي الإلهي 12)

إن أمنا الكنيسة المقدسة اعتبرت وتعتبر، بكل قوة وثبات، أن الأناجيل الأربعة المذكورة، التي تؤكد الكنيسة بدون تردد حقيقتها التأريخية، تنقل إلينا بكل أمانة الأعمال والتعاليم التي قام بها وأعلنها حقيقة يسوع ابن الله، أثناء حياته بين البشر، من أجل خلاصهم الأبدي، وإلى يوم صعوده إلى السماء (راجع أعمال الرسل 1: 1-2). فالرسل، بعد صعود الرب، نقلوا إلى مستمعيهم أقوال المسيح نفسها وأعماله، وبذلك الفهم الأكمل الذي حصلوا عليه بفضل ما تعلموه عن طريق أحداث المسيح المجيدة، وما تلقّنوه من نور روح الحق.

وقد حدد المؤلفون القديسون الأناجيل الأربعة، بأن اختاروا بعضاً من الأمور العديدة المنقولة شفوياً أو كتابة، وصاغوا البعض الآخر بطريقة موجزة، أو فسروه مع مراعاة الحالة التي كانت عليها الكنائس، وحافظوا أخيراً على أسلوب الكرازة، وكل ذلك بطريقة تنقل إلينا دوماً كل ما هو حقيقي وصادق عن يسوع المسيح. فقد كتب المؤلفون القديسون، سواء بوحي من ذاكرتهم وذكرياتهم الشخصية، أم بناء على شهادة الذين كانوا معاينين منذ البدء وخادمين للكلمة، بقصد أن نعرف "حقيقة" الأقوال التي تعلمناها (راجع لو 1: 2-4) (في الوحي الإلهي فص 5 /19)

أسئلة الفصل الأول

1- ما هي الاختلافات بين الدراسات اللاهوتية والدينية؟
2- ما يعني القول أن العبارة اللاهوتية هي حالة تاريخية؟
3- ناقش مختلف معايير التقييم الكفء للعبارة اللاهوتية؟
4- ناقش الإسهام الخاص للاهوتيين والأساقفة في المهمة اللاهوتية الكنسية؟

الفصل الثاني

العودة إلى المصادر (الينابيع)

الكتاب العبري

كيف نفسر الوحدة القائمة في أسفار العهد القديم المكتوبة خلال 850 سنة؟ ربما الجواب ينطوي تحت حقيقة ان هذه المجموعة من الكتب بالتأكيد تشرح علاقة قائمة منذ فترة طويلة. فيمكن أن يقال ان الكتاب العبري يشرح قصة المغامرات العاصفة بين المحبين.

على الرغم من ان استعارة (قصة المغامرات) هي استعارة غير اعتيادية لكنها استعارة اصلية، فالنبي هوشع في القرن الثامن قبل الميلاد استخدم هذه الصورة ليحقق تأثيراً عظيماً، أي ليبين التباين بين حب يهوه Yahwa الحقيقي لبني إسرائيل وموقفهم عندما عبدوا الآلهة الزراعية المحلية (هوشع 2).

إن تفسير العلاقة بين إسرائيل والله هو موضوع رئيس وإلاّ سيقلب موضوع الكتاب رأسا على عقب. فكل المواضيع اللاهوتية العظيمة في الكتاب العبري تشير الى (تاريخ الخلاص)، او(العهد)، او (ملكوت الله). هذه العلاقة تفسر من خلال مختلف الكتابات العبرية بمصطلحات إنسانية (مثل المحبين،الوالدين والطفل – انظر هوشع 11)، هم يجتهدون كي يعبروا عن فهمهم لله (يهوه) وفق كل العلاقات، لذلك فان هذا الإلهي- الإنساني المشروح في الكتاب العبري له غيرة وغضب، وألفة حب، ورحمة

وغفران. إن قراءة كل الانطباعات الكتابية العبرية سيجعل الباحث يفتن بمحبة هؤلاء. وحيث ان دراسة الآيات ستقارن بمحبة (سيدة الحكمة) (الأمثال 3:13 –18). فبالنسبة للدراسات اللاهوتية الحديثة وعلاقتنا مع الله، من الضروري إعادة قراءة الكلمات المنطوقة بيننا كي نجد كلمات جديدة كي نتحدث ونصغي إلى الله اليوم،وباختصار فإن الرجوع إلى المصدر هو مبدأ أساسي.

كان أجداد بنو إسرائيل بدواً رحلاً طوال قرون، وقد ألّهوا قوى الطبيعة التي ظنوا انها مملوءة من الأرواح النارية "السيرافيم"، وأطلقوا عبارة "أيل" السامية عليها، فأصبح أيل رمزاً للسيادة والربوبية والملوكية. ثم جاء أبونا إبراهيم، وتبنى الإله المحلي "أيل شدّاي" رغم نزوحه ونزوح أحفاده إلى مصر. ولكن في وقت موسى كان الشعب يئن تحت وطأة الآلام، فكشف (مخلص ومدبر الكون) اسمه لموسى فكان "يهوه =أنا هو الكائن" والذي سيكون معهم، فخرجوا من مصر إلى برية سيناء، وكانت "الوصايا العشر"(خر 2:20-17).

ولكن الشعب يستعجل طلب الإله، فيعبد العجل الذهبي، فيقوم موسى بتحطيم اللوحين، ويعتذر فيما بعد، ويقود شعبه إلى بلاد كنعان بعيداً عن الجبل.

أين سيخاطبهم الإله إذاً؟ لقد كانت خيمة الاجتماع هي الحل، فأصبح موسى كليم الله –إبراهيم كان خليل الله -، فنشأت الطقوس، وكان السبت ...وعيد الفصح (العبور)وذكريات الخروج ...وبعد تيهانهم 40 سنة في البرية، يغزون أرض كنعان، فكانت المعارك الصغيرة هنا وهناك، والاستيطان المحلي الصغير هنا وهناك أيضاً. ثم تلا ذلك طلبهم تنصيب ملك عليهم من قبل النبي صموئيل الرافض لفكرة الملوكية.فماذا نستنتج؟

1- التحول من البداوة إلى الزراعة والمدنية.

2- إطلاق اسم "بعل" على الإله (ملك الأرض) مع ما يصاحب ذلك من أعياد، وعبء مالي، كالذبائح والمذابح مثلاً.
3- إقامة الملك وطلبات الملوك التي لا تنتهي!
4- ظهور الأنبياء ليقاوموا الانحراف الحاصل، ويعيدوا الناس إلى عبادة الإله الواحد التي تبناها موسى ومن قبله من الأولين.

لكن التحول الثاني كان أقسى، فقد حصل بعد السبي البابلي (597- 538) (مز 137: 1-5)، وأصبح بعض اليهود موظفين أو عسكريين أو تجاراً في بابل، كما حصل توجه لقراءة مجددة للماضي، والتأمل في ما جرى من بعد انتشار الكتابات ذات الجذور القديمة، وبدأت الجماعات تصلي بعمق وبنظام وهي تذكر هيبة السبت وتفسر الآيات، لذا نشأ الأدب الديني، وتغير مفهوم أرض الميعاد من معنى ضيق (وهو أرض كنعان) إلى معنى أوسع (وهو التوراة). فكانت التوراة (أي الإرشاد والتوجيه)، وتأكدت ضرورة أن يكونوا مثَلاً للأمم وهم ينتظرون الملك الممسوح (المسيح) المخلص ...، وقد تم إعادة بناء الهيكل، فبدأ (دين اليهود) وحصل الانغلاق عن العالم، والاتكال على القادة الدينيين، والتحول من العبرية إلى الآرامية، وتدوين أسفار الأنبياء بعد أن تم تدوين التوراة، وانشأوا مدارس الاجتهاد رغم تعرضهم إلى هجمات الإغريق والفرس والرومان، وكل ذلك جعلهم يصطدمون حيناً، ويتحاورون حيناً مع حضارات أبعد وهي: اليونانية، الفارسية،الرومانية، فكانت النتيجة المثاقفة تحت إرشاد الربابنة فكانت المداريش (أي الأشعار الدينية) وتدوين التراث الشفهي ومختلف التعاليم كالهجادا وغيرها.

المصادر العبرية

في البداية، من المهم التكلم عن (الكتاب العبري)، ونقول –الكتاب العبري- فذلك افضل من استعمال كلمتي (العهد القديم). فالكتاب العبري يذكرنا بلغة وثقافة أصوله(سامية، قديمة) وبكتابات (القدوس) الخاصة باليهود والمسيحيين+ العبرية لغة سامية،متعلقة باللغات السامية المعاصرة والقديمة مثل العربية والآرامية.

الكتاب العبري، هو مجموعة من الكتب كتبت ضمن فترة ألف سنة بين 1000 و150 قبل الميلاد متضمنة(صموئيل، الملوك،أخبار الأيام)،وقد كُتِبَ 39 سفراً بالعبرية، واختلف المسيحيون الأولون مع اليهود بخصوص القانون فضمنوا ما يسمى(الابوكريفا، apocrypha) الذي لا يعتبر قانونيا من قبل البروتستانت، أو ديوترو قانوني deutero-canonied أي الكتب القانونية من الدرجة الثانية التي قبلتها الكنيسة الكاثوليكية. بالإضافة إلى ذلك هناك عدد من الكتب تعود إلى الفترة الهيلنستية (333 ق.م وحتى 250 ب.م) تسمى pseudepigrapha وهي مهمة لدراسة شعب العهد القديم بعد السبي فقط.

يقسم القانون العبري الكتب الى ثلاثة أقسام:

التوراة: التكوين،الخروج،الاحبار،العدد،تثنية الاشتراع
الانبياء: يشوع،القضاة،1 و 2 صموئيل،1 و 2 ملوك،اشعيا،ارميا،حزقيال،ناحوم،حبقوق، عاموس،هوشع،يوئيل،ميخا،ملاخي،حجاي،زكريا،صفنيا،عوبديا،ويونان.

الكتابات: المزامير، الأمثال، أناشيد سليمان، المراثي، أيوب، أستير، الجامعة، عزرا- نحميا، أخبار الأيام، راعوث ودانيال.
الكتب القانونية الثانية: الجامعة، الحكمة، طوبيا، يهوديت، 1 و 2 مقابيين و باروخ.

الفترات المهمة

□ الخروج من مصر بقيادة موسى 1280 ق.م
□ شاول وداود وسليمان 1020
□ وفاة سليمان وانقسام المملكة 922
□ سقوط المملكة الشمالية 722
□ الملك يوشيا والاصلاحات 640
□ السبي البابلي وتدمير الهيكل 587
□ الجلاء من بابل 539
□ إعادة بناء الهيكل في أورشليم 520
□ مهمة نحميا وعزريا 450
□ الاسكندر المقدوني وبداية تأثير الهيلنستية 333
□ انطيوخس الرابع والاضطهادات 167
□ الاحتلال الروماني لفلسطين 64
□ تدمير الهيكل من قبل الرومان 70م

ليس من الحكمة فصل الكتاب العبري عن الشعب الذي أنتجه والارض التي عاشوا عليها. فهناك أهمية للجوانب الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية خصوصا خلال القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد. لقد كانت ارض كنعان منطقة أراضي طويلة تعمل كجسر بين المصريين من جهة الجنوب والحثيين في آسيا الصغرى وتزامنا مع نمو قدرات بلاد وادي الرافدين، فتاريخ الكتاب

المقدس يشمل مكانا في (المحطة المركزية العظيمة) القديمة.

يبدو من خلال التقارير المصرية، ان كنعان كانت تدار من خلال (حكم مدينة) تمتهن الزراعة في تلال تنتشر عليها أشجار الزيتون،والعنب، والتين. عبّر الناس عن تديّنهم من خلال احترام الرموز الزراعية والإنسانية المنظمة وبواسطة طقوس تحت سلطة وعبر تقديم الذبائح للآلهة.كانت معظم الآلهة من بعل إله العاصفةBaal، وأشيرا asherahالألهة الانثى، أيل Elالإله الأب. وكان لهم الكهنة المهتّمون بالهياكل في وقت كان اليهود عبيداً قادمين من مصر.

حسب سفر الخروج من الصعب دراسة الاحداث،مثلا في (خر 10:28 – 29) يشير التقليد الى ان (الهروب) قد حصل من مصر بينما في (خر 11 –12) يشير الى (طرد)العبرانيين بعد سلسلة ضربات تسببت بموت كل أبكار المصريين المولودين آنذاك. وسفر الخروج أيضا يشير إلى أن فرعون يغير رأيه كي يصل إلى تقليد يشير إلى أن الخروج تم من البحر. ولكنّ تقليداً آخر يشير إلى أن الخروج تم جنوبا عبر مناطق طينية ومائية أدت إلى حدوث آية فصلت المياه كي يعبروا.

المهم إن الوصول الى كنعان تم حوالي 1250 ق. م مع إيمان ان الله حررهم من العبودية في مصر. وهذا تم بتدين ترأسه موسى، وبإطار أدبي "أي قوانين" العبادة ليهوه الذي حررهم وتكلم معهم. إن تجمع ذلك الشعب الذي اصبح (اثني عشر سبطا إسرائيليا) والذي كان قد تحول الى دين جديد، دين يهوه.

إن هذا التحول تم رغم المقاومة الحاصلة بسبب وجود تداخل مع أديان كنعانية في عصر ملوك إسرائيل ويهوذا حوالي 1000 ق.م وحتى الإصلاحات بين 640 – 609 ق.م. من خلال عدد من الاكتشافات الأثرية الحديثة،

التي تكشف تقليدين دينيين، مثلا قرب صحراء سيناء نقرأ في قطع طينية (يهوه) و (زوجته أشيرا) ضمن صلاة تشير الى ان الشعب كان يخلط الأفكار الإسرائيلية مع الكنعانية حيث كان البعض يهمل أهمية نقاء العبادة ليهوه وحده. ويتضح ذلك في العلاقات بين الانبياء والملوك.

لقد بدأت العبادة اليهوية ضمن دين (الأقلية) أي العبيد المصريين والكنعانيين المهتدين الذين تغلبوا أخيرا وقت الملك يوشيا.ولكن في هذه الأثناء برزت إمبراطوريات وادي الرافدين، فتطورت عبادة يهوه نحو اليهودية بسبب بروز حالة التبعية السياسية والاقتصادية الى هذه الامبراطوريات. وبكلمات أخرى فان هوية (بني إسرائيل) أخذت طابعا سياسيا عندما بدأ الآشوريون والبابليون والفرس في بسط تأثيرهم غربا نحو سواحل فلسطين.

بدأ الحكم الملكي لبني إسرائيل حوالي 1000 ق.م. وكان داود قادرا على توحيد التباين بين الشعب العبري والكنعاني تجاه اضطهاد الفلسطينيين فأسس المدينة المركزية، أورشليم، وامتد تأثيره السياسي عبر الأردن إلى أراضي عمون، وموآب، وآدوم، وسورية.

نجح سليمان بن داود في حملته لتوطيد حكمه وبناء الضريح القومي حسب شكل هيكل كنعاني، واخذ المبادرات الدبلوماسية وطلب (الحكمة) ولكن الشعب دفع الضريبة خصوصا في المناطق الشمالية (1 مل 1،9:22 مل 5: 27،11:28 و 1 مل 12).

لقد أدت الاختلافات:كنعان/فلسطين في البيئة، والزراعة إلى اختلافات اجتماعية.خصوصا بسبب ضرائب سليمان،فعندما توفي انشقت المملكة (عشرة من اثني عشر سبطا) فيشير الكتاب العبري الى الشمال بإسرائيل،والجنوب بيهوذا أي عائلة داود.ولكن مملكة

الشمال كانت مستقرة اكثر من مملكة الجنوب ويبدو ذلك من نشاط الأنبياء.

في منتصف القرن الثامن قاوم الجزء الشمالي الإمبراطورية الآشورية. وعندما رفض آحاز (الجنوبي)الاشتراك في الائتلاف. دخل أعضاء الائتلاف في حرب معه، فطلب مساعدة الآشوريين،مما أدى إلى تدمير الائتلاف من قبل الآشوريين متضمنا المنطقة الشمالية سنة 722 ق.م.

لقد استخدمت الإمبراطورية الآشورية تقنية ضمنت الأراضي الشمالية لأجل أن لا تقاوم مستقبلا، وهذه التقنية تضمنت تهجير بعض سكان المنطقة، ولكن الهجوم الذي تم على الآشوريين من قبل البابليين لم يسمح باستمرار العملية.

بين سنة 640 – 609 ق.م حصل انهيار للآشوريين وصعود للبابليين وكان يوشيا ملكا آنذاك على أورشليم، وهو الذي قام بالإصلاحات، وأبرزها السيطرة على العبادات في أورشليم، وتنقية العبادة ليهوه ربما حصلت بتأثير من الأنبياء حيث استندت حركته على القوانين التي يتضمنها سفر تثنية الإشتراع. لذلك سميت الإصلاحات بهذا الاسم (deuteranamic reform) وبعد وفاة يوشيا الحزين أثناء مقاومته للمصريين 609 ق.م،هدأت الإصلاحات.

لقد انتصر البابليون على نينوى سنة 609 ق.م فقام نبوخذ نصر بالهجوم على جنوب ارض كنعان باسطا سيطرته عليه ضد المصريين وفي 597 سلّم الملك العبراني (يهويا قين) نفسه لنبوخذ نصر الذي وافق على بقاء دولة يهوذا بشروط، وأعاد تسمية هذا الاسم (صدقيا) ليرمز إلى السيطرة السياسية ومنحه العرش ورجع الى بابل مع عدد قليل من المنفيين الذين هم أصحاب الطبقة العليا في أورشليم.

لكن صدقيا خلال عشر السنوات حاول إعطاء دور استقلالي ليهوذا مقويا نفسه بوعود المصريين رغم رفض النبي ارميا. وعندما رفض صدقيا تسديد الضرائب للبابليين عاد نبوخذ نصر ليدمر كل شيء 587 – 576 ق.م. وصدقيا نفسه قيّد إلى بابل مع عدد يصل إلى سبعين الف أسير. يمثل هذا السبي تحولاً في حياة الشعب العبراني، فأعاد بناء إيمانه. وعندما تغلب الفرس على البابليين، سمحوا لهم بالرجوع إلى فلسطين سنة 539ق.م، وكان من أبرزهم (عزرا) الذي لعب دوراً كبيراً في إعادة بناء جماعة الإيمان، والعبادة في الهيكل.

إننا لا نعلم إلاّ القليل عن المجتمع اليهودي بعد السبي، فهناك كتب مثل حجاي،وزكريا،وملاخي،وعزرا-نحميا، وهذه الشحة هي بسبب الفترة الهلينستية (بعد 333ق.م) عندما نرى بداية جديدة في كتابات تسمى (أبوكريفا) وكتابات منحولة، تشير إلى أن اليهود كانوا يمارسون إيمانهم تحت رعاية الكهنة الذين يحملون الرجاء بعودة أيام داود، وسلطته. وكان اليهود منتشرين في مصر وحول بابل وأراضي بلاد فارس. فبرزت مقاومة روحية للثقافات الأجنبية، ومن الشواهد على ذلك، سفر دانيال، وأستير.

في سنة 64ق.م أصبح اليهود تحت السيطرة الرومانية، وفي هذه الفترة تم جمع وترتيب الكتاب المقدس العبري، واصبح الإله الصباؤوت يحمل اسماً آخر.

كتب الكتاب المقدس العبري

تاريخ الاسفار الخمسة الاولى، وسفر تثنية الاشتراع: تاريخ وقانون

ان تاريخ بني اسرائيل هو رمز للحكمة الاخلاقية العلنية. واذا كان صحيحا أن كتابة التاريخ ليست وصفا لاحداث فقط، فالتاريخ العبري مثال ممتاز لتأريخ مكتوب بباعث صاف وفكر هادف.

لقد كان الهدف الاساسي لكتاب تأريخ بني اسرائيل القديم هو لأجل توضيح فهمهم لله، وكيف انه تعالى كان متغلغلا في حياتهم، وباختصار فهو ادب ديني وليس أرشيف ملكي او سجل العهد القديم. فقد تم تجنب التعامل وعدم الفهم غير المرغوب فيه من خلال ادامة القدرة على رؤية الاشياء. وكمثال على ذلك فان دراسة التاريخ البدائي لسفر التكوين (الفصول 1 – 11) يتعزز بعمق، ذلك اذا ادرك الطلاب بأنه يجب قراءة هذه القصص كديانة مهمة وتعليم فلسفي وليس كعلم يقودنا الى اصل الانواع. ويبدو بعد هذا بان الاستجابة الملائمة اتجاه عملية الخلق، و/أو قصص الطوفان في التكوين، هي الدروس الدينية المفضلة لأجل المسؤولية الادبية، وما يفضّله الله اتجاه العدالة، واهتمامه ورعايته للانسانية، ومقاومة الانسانية العنيدة.

ان الاشتراك في بعثة ما للبحث عن قطع من تابوت العهد على جبل أرارات في تركيا الحديثة، ليس غالبا الجواب الملائم للنصوص الكتابية بسبب فقدانه الرسالة المركزية ومحاولاته لجعل هذه النصوص أشياءَ ليس لها قيمة.

اضافة الى ذلك، فان مثل هذه المفاهيم تخلّدُ مفهوما كاذبا بأنه يجب على الطلبة الجدد نوعا ما، تأجيل

إهتمامـاتهم النقديـة لأجـل ان يقـرأوا، ويفهموا،ويفضـلوا الكتاب المقدس العبري. إنَّ التاريخ البدائي يسرد لنا الفهم العبري القديم والانسانية الحمقاء، ومحبة الله وعنايته.

ان التاريخ البدائي مملوء من قصص (آباء وأمهات) بنـي اسـرائيل القـدامى أمثـال: ابـراهيم وسـارة، اسـحق ورفقة،يعقوب وأولاده ويوسف في مصر. لقد كان طلاب العلم في الماضي اكثر ثقة مما هم عليه الآن في قصص الآباء التاريخية خلال الثلاثين الى خمسين سنة الماضية، حيث قد برز شك خطير من خلال العمل الحديث في كلا: الآثار الحضارية، والتحليل الكتابي في إمكانية استخدام القصص أعلاه لإعـادة بناء التاريخ القديم، وفي اية طريقة ملائمة. يبـدو من الافضل التعامل مـع سـفر التكويـن كقصـة دينيـة مغريـة عن أصل السكان العبرانيين وترتيبهم عشائريا بأسماء الاشكال الموضحة في قصص سفر التكوين (مثال الاسباط الاثني عشر؛ كأثني عشر ولدا ليعقوب) وهذا يوفر تاريخا موحدا لشعب كنعان خلال الحقبة بين القرون الثاني عشر والعاشر قبل الميلاد،والذي تحول الى عبادة (يهوه). وتستمر ايضا قصص الاباء في موضوع حضور الله الدائم رغم الفشل الدائم للحضور الانساني في هذه القصص. ومع ان الصورة البارزة للكتب الخمسة للكتاب المقدس غالبا ما هي ليست كتابـة التأريخ،ولكنّهـا تـدوين (كتابـة) النـاموس (القانونlaw).وبهذا فان جميع القوانين الدينية، والقوانين المدنية والمبادئ التوجيهية للتأريخ الاسرائيلي القديم قد تم تنسيقها ثلاث مجموعات محتواة في الكتب الخمسة الاولى،الاقدم من هذه المجموعات يعرف بـ(صيغة العهد Covenant Code)،وهو موجود في كتاب سفر الخروج (الفصول 19 –24)،وهاتان المجموعتان قد دونت على الاقل مرتين من خلال تجميع رئيسي للناموس في نهاية القرن السابع ق. م في سفر التثنية ويعني (الاسم الحقيقي

(القانون الثاني –أي كتابة الشريعة ثانية-) والذي يسمى لذلك (تثنية الاشتراع)، وتحتوي المجموعة النهائية من القوانين تقريبا، القوانين الدينية او الكهنوتية (ولو انها ليست على وجه الحصر)،والتي اضيفت من قبل الكهنة في الفترة ما قبل النفي،حيث يمكن مشاهدة هذه القوانين في سفر الخروج 25 –31 ومن خلال اللاويين ايضا، ومن المحتمل فان الصيغة الاقدم لقانون الكهنة موضح في اللاويين 17 – 26 يسمى (قانون القداسة The Holiness Code)، حيث نلاحظ تكرار جملة (كونوا قديسين)، ولكنها وضحت (شرحت) في تفسير آخر وقوانين اضافية في سفري اللاويين والعدد.

ان التكرار الغالب للقوانين والمواضيع الخاصة بالتشريعات (على سبيل المثال، توجد الوصايا العشر مرتين) تم توضيحه في هذا التاريخ الذي يختص بتهيئة الرموز الشرعية مع المواد الشرعية الاخرى من تواريخ مختلفة.

ان هذا التاريخ يزودنا بهذه النصوص، ويسمح للطلاب الجدد (وبمتعة) كي يعدوا مقارنة عن تطور منزلة المرأة والعبيد، ولدينا مثالان على ذلك: في القانون اليهودي كثيرا ما يلاحظ الطلاب التقدم الانساني في وضع العبيد بين صيغة العهد (خروج 21) وسفر تثنية الاشتراع (تثنية 15:12 –18). وكمثال آخر فان السفر الاخير يخطط وبصورة دقيقة التدابير الاحتياطية التي يمكن وضعها لاطلاق سراح العبيد، والاكثر من ذلك،ماهية الموانع لاعادة العبيد الهاربين الى اسيادهم (لاويين 23:16)... الخ. والاكثر تأثيرا من الكل ربما بشكل المدينة الفاضلة في توّقع العدالة الاجتماعية حسب ترتيب الكهنة اللاويين (25)، حيث عندما كانت سنة اليوبيل قد هيأت لاعادة الارض المشتراة للمالكين القبليين الاصليين لمنع نمو الصدع بين الغني والفقير من خلال إعادة توزيع الارض

كل خمسين سنة حسب القانون، حيث كان واضحا في التاريخ اليهودي القديم المنظور وغير المنظور لكليهما.

الانبياء

لسوء الحظ ان الافكار الشعبية حول الانبياء تنطوي على نظرة مفهومها، ان الانبياء (يتنبأون بالمستقبل). لقد كانت في الحقيقة النشاطات الرئيسية للانبياء ما يلي:

1 – أن يكون رسولا لله،موزعا رسائل كثيرة، مثل الرسول الملكي او موزع البريد.

2 – ان يقوم بمتابعة ما يرده الله في تسليم الاحكام على الاعمال الخاطئة عوضا عن الله وقوانينه.

3 – أن يوضح ارادة الله فيما اذا تمت استشارته لمعلومات خاصة وان يعطي وبلا توسل، وذلك عندما يقف في المنابر الشعبية، كوقوفه في باب من ابواب المدينة مثلاً. ولقد كانت دائما أية اقتراحات حول احداث المستقبل الموضوع المفضل للنشاطات الرئيسة الاخرى. كان المقصود من كلمات الانبياء في ازمانهم تمثيل التأثير المستمر لله في التاريخ. ولكي نقترح او نفرض ان كلمات الانبياء كانت لمستقبل مختلف وليس فقط الغاء دورهم من التاريخ (وذلك يمثل عدم وجود النقطة الاساسية للتأثير الالهي في تاريخ البشرية)، ولكنها تدعو الى محاولات غير مسؤولة كي (تؤول)كلمات الانبياء للازمنة الحديثة،اذا كانت تنبؤات مخفية. وفي الحقيقة فلِكَي نسبك كلمات مارك توين نقول إن كلمات الانبياء كانت مخيفة ليست فقط كونها رسائل مجفَّرة للأزمنة المقبلة، ولكن لأنها كانت تفهم بصورة جيدة فقط، وتتحدث عن الوقائع الحقيقية في حياة الملوك والناس الذين يسمعون إليهم.

ان انبياء بني اسرائيل القدامى كانوا غامضين، ورجالاً محبين، ونساء مخيفات بالاضافة الى انهن

محترمات والمصادر الملائمة لهذا، لدينا سفر صاموئيل 1،2.وبهذا يتضح بان النبؤة لها اصولها في الموجات المرسلة للمواهبية التي تتكلم خارج الذات المكبوتة للنبي كما في (1 صموئيل 10:9)، ومع هذا اصبح الانبياء العظام في ذلك الوقت تحت المراقبة ويجب جمع التقاليد والاساطير حولهم اضافة الى مجاميع التلاميذ وافضل امثلة للتطور الاخير هي القصص حول ايليا واليشع في تاريخ سفر تثنية الاشتراع (1 ملوك 17 –2،12 ملوك 2 –13) وكذلك ايضا كتب اشعيا وارميا.

ان كل واحد من الانبياء هو صورة فريدة مع اختلاف ممتع في الاطار العام والقدرة على رؤية الاشياء، ولو انّه من الصعب اقرار القدرة على رؤية الاشياء بقواعد ذات مواد قليلة في بعض الكتب القصيرة.[2] ومن المحتمل إننا نملك كتابات أنبياء كتبها التلاميذ (في حالة ارميا،كان مرافقه هو الذي يكتب)، والتلاميذ هم الذين ذكروا تقليد التكرار،والدراسة،والتفسير حسب تقاليد معلمهم.

إن أول نبي نكتب عنه هو عاموس، الرجل ذو النفس الغامضة نوعا ما، تحتوي تنبؤاته احكاما قاسية ضد أمم عديدة وليس بسهولة تجاه اسرائيل ويهوذا. وفي الحقيقة يعتقد بعض طلاب العلم بان الابيات القليلة الاخيرة التي تعطي بعض الامل لم ترد اصلا من عاموس.

وبالضد من عاموس، يستخدم هوشع الصراحة والايقونات الرومانتيكية لله كمحب وأب شعب اسرائيل لتوضيح حزنه عند التمرد اليهودي الذي كان يقارنه مع الزنى وانكار الابوة.حتى ان هوشع حمل رسالته الى النقطة التي سمى بها اطفاله كرموز لغضب الله على الشعب (مثال: لوعمي والذي يرمز الى انكم" لستم شعبي").

---

[2] طول قصيدة عوبديا 21 بيتاً من الشعر فقط،بينما ناحوم وملاخي 3 فصول فقط.

لقد بدأت التقاليد المحيطة بالنبي اشعيا في الجنوب بفترة لم تدم طويلا بعد هوشع وعاموس اللذين كانا فعالين في الشمال. ان كتاب اشعيا مثال جيد للتقليد المستمر حيث يمكن تدشين الاشكال التنبؤية الكبيرة، لقد كان النبي نفسه فعالا حوالي سنة 740 قبل الميلاد حيث اعيدت كلماته كثيرا في الفصول 1 – 39 في كتاب اشعيا الحالي، ومع هذا فان الفصول 40 –55 قد جاءت من نبي مجهول عمل حوالي نهاية السبي البابلي. (حسب المصادر التي تعود الى سيروس الفارسي، انظر اشعيا 45: 1) وعند المقارنة والتشابه مع فصول اشعيا 1 – 39 فقد قاد العديد من طلبة العلم الى الشك في حضور التقليد الخاص ب اشعيا الذي عمل من خلاله هذا النبي المجهول.

ان العنصر الاكثر تشويقا لهذا النبي هو ما يشير اليه طلابه بأنه "اشعيا الثاني"[3] وهو استخدام صورة "العبد المتألم" حيث يشبه هذا الشكل غالبا مصادر مجتمعة لليهود المنفيين وبعمق كبير كان تأثيره واضحا بين المسيحيين الأوائل في كفاحهم لطرق تأويل الحوادث ومعاني الحياة والموت وقيامة المسيح (انظر خاصة:اشعيا 42:1 – 4،49:1 –6،50:4 –9،52:13 –53:12) وبالطبع فان صورة التألم في سبيل الاستقامة وطعم الحصول عليها رغم الألم؛هي صورة يهودي نبوي، وليس مفهوماً مسيحياً. وتسمى الفصول الاخيرة 56 –66 غالبا ب "اشعيا الثالث" والتي هي مجموعة من الاقوال ربما من تلاميذ النبي اشعيا الثاني. ويظهر ايضا بان الرجاء المسالم لهذه المجموعة الثالثة قد أثّر على إضافة قطع النصوص في المقطع الاول مثل اجزاء من اشعيا 2،4،9،11 وربما على رؤية السلام الذي هو اكثر قوة في داخل الكتاب المقدس، وهذا ما يشير اليه المقطع الاخير من اشعيا 19.

---

[3] واحيانا سفر تثنية –اشعيا.

لقد كان ارميا بصراحة، مشغولا في محيط سياسة اصلاح سفر التثنية وسقوط الدولة الجنوبية بيد البابليين. وربما هو من افضل المعروفين بايمانه الراسخ غير الإعتيادي بقوله ان انتزاع الارض من قبل البابليين كانت ارادة الله، لذلك على اليهود احناء اعناقهم لنير بابل لفترة من الزمن. بهذا يشترك ارميا بلا شك في منظور سفر التثنية العام بالقول بان حوادث النفي كانت عقوبة للفترة السابقة التي رفضت بها قوانين الله. ان كتاب ارميا مرّكب من مقطعين رئيسيين هما: القصائد المنثورة من اقوال ارميا نفسه، ومقاطع القصائد التي تخص معلومات عن السيرة الذاتية لارميا، والتي نسبت كلتاهما الى باروخ الكاتب والمرافق لارميا.

من جهة اخرى فإن حزقيا كان فعالا بين المنفيين البابليين وكان قد اعطى اعمالا للمسرح الشعبي كي يوضح رسائله النبوية، لقد كان اهتمامه الرئيسي منصبا على الخير الروحي للشعب المنفي وكذلك ايضا على علاقاتهم المستمرة مع الحياة الدينية التي تركها المنفيّون خلفهم في فلسطين.

ان كتب الانبياء مستمرة في التقديم للجماعة المنفية التالية ايضا. مثال على ذلك حجاي المهتم بصورة رئيسية في تجديد الحياة الدينية للجماعة ما بعد النفي، وخاصة أهمية اعادة بناء الهيكل.وهكذا، فإن زكريا أصبح يرمز الى مواضيع الايمان والعمل لجماعة ما بعد النفي.

نستنتج من ذلك، ان النبؤة تمثل ظاهرة مركزية لفهمنا للديانة اليهودية القديمة، ولكن يجب ان لا ننسى كيف ان ذلك الشعب كان مهمشا ومثيرا للجدل، لذلك كان للانبياء تأثير كبير في استعادة الاحداث الماضية والتأمل فيها بدلا من تاريخهم. لقد اصبح الانبياء مركزا لفهم الايمان العبري وهو ذلك (الإيمان) الذي قادهم الى حفظ ودراسة مستمرة لرسائلهم.

الادب الرؤيوي وعلاقته بالنبوءة.

إن السؤال الذي سحر الطلاب والباحثين كليهما هو القضاء والقدر النهائي للنشاطات النبوية، هل ماتت النبوءة؟ هل تطورت الى شيء آخر؟ لقد عمل الباحثون حديثا على مختلف النظريات رابطين التغيرات في الفعاليات النبوية الاخيرة لاستنهاض التصورات الرؤيوية.

يحتوي الادب الرؤيوي على أنموذج رؤيا رمزية عالية واسعة التصورات، توضح الرؤيا عادة معلومات عجيبة بطريقة تصويرية وغريبة غالبا ما هي مرفقة بقصص من زاوية او شكل الهي. لقد اصبح الادب الرؤيوي شعبياً جدا في الحقبة الهيلينية واستمر تأثيره في الفترة الرومانية بين اليهود والمسيحيين الاوائل كليهما، مع انه لدينا مثالان رئيسيان فقط في الادب الرؤيوي في الكتاب المقدس (دانيال 7 –12 في الكتاب المقدس العبري وسفر الرؤيا في العهد الجديد). وهناك امثلة عديدة للكتابات الكشفية تم انقاذها وعاشت في هذه الفترة وليست من الكتاب المقدس. ويبدو ان النشاطات النبوية قد تم تبديلها بالخيالات الرؤيوية التي توضحت في تصورات رمزية من الله مشيرين الى الاحكام القادمة،أي الى الحكام الظالمين والحوادث في زمانهم.

لقد بقي الادب الرؤيوي متأثرا بعمق في الحوادث المعاصرة. بواسطة تدخلات الله وتصوراته عوضا عن المظلومين، دعا كتاب سفر الرؤيا اليهود الى نوع من نشاطات المقاومة ضد الثقافتين اليونانية والرومانية وقوانينهم.وبعد ذلك فان رؤى دانيال قد تعلقت في قصص كبار اليهود في المحاكم الاجنبية الذين تثبت براءتهم لاخلاصهم المتواصل وبعبارة اخرى مقاومتهم الروحية. وفي الحقيقة لقد بزغ مهاتما غاندي بعد ان قضى ثلاثة اشهر في قراءة الكتاب المقدس في سجن جنوب افريقيا

وصرح بان دانيال هو احد عظماء المقاومة غير العنيفة في التاريخ. لذلك يضع الادب الرؤيوي اهتماما مركزيا لايمان العبريين المنفيين اخيرا من اجل ادامة الايمان والهوية في أحوال الضعف والظلم.

الكتابات

ان المقطع الرئيسي الاخير من الكتاب المقدس العبري هو موسوعة عامة حيث جمعت فيه نصوص مختلفة مشوقة وتعرف عادة "بالكتابات" التي تشمل على قصائد ترانيم دينية وقصص وأدب الحكمة.

القصائد

ان المزامير هي الجزء الاكبر من القصائد الدينية في الكتاب المقدس، كأدب عبادة لكل الناس، وقد كتبت خلال فترة طويلة من حياة بني اسرائيل. هناك جدالات حول كون القصائد العبرية تملك او لاتملك مميزات خاصة، وما هي عناصرها الفريدة في الشكل والمفاصل. إن الشعر العبري، مثل الكنعاني، هو تصويري (تمثيلي) بالتوازي. والتوازي يعني ببساطة ان السطر الاول للقصيدة (أ) يرجع صداه في السطر الثاني (ب) واقل في الثالث (ج)، وكلما زادت التنوعات الوصفية، فإن قيمة الشرح المعقد مشكوك فيه. لكن يكفي للمبتدئ ان يعمل علاقة ممكنة بين الاسطر الثلاثة.

بخصوص محتوى المزامير، من المهم ان نرى ان هناك عدداً من المزامير تعلن تماثلاً لغويا وأدبيا مع الادب الكنعاني الذي كرس لعبادة بعل. ومزامير اخرى لها اصول في فترات الاحتفالات الملكية او رأس السنة (مز 72،89،2،100)، واخرى يتضح انها تشير الى احداث السبي، او مراحل متأخرة (مز 126،137). يمكن تقسيم المزامير الى خمس مجاميع حيث في نهاية كل مجموعة

مكتوب (امين،امين) (انظر نهاية مز 150،16،89،72،41).

ان الصورة المحبطة لدراسة المزامير هي المشكلة الكبيرة التي تبرز عند دراسة الديانة اليهودية،أي كيفية ممارسة العبادة قديما. فيفترض العلماء على سبيل المثال التغيرات بين الشخص الاول المفرد والجمع (في المزامير)والتي تمثل تضاداً صوتياً اثناء العبادة او تلاوة مزامير الصلاة الشخصية والتي هي للعبادة الشخصية ايضا.ولكن كلها في النهاية مزامير تأملية. لا يوجد لدينا شرح لنظام العبادة في الهيكل.ولكن نقول ان المزامير هي في قلب شعبية الكتاب للمعاصرين اليوم.

الادب الحكمي

يتضمن: سفر الامثال، وايوب، والجامعة، والحكمة. الحكمة ليست فريدة ببني اسرائيل، لدينا مجاميع من اقوال الحكمة مكتوبة وكأن هناك جداً(عجوزاً)ينصح ابنه، أو معلماً ينصح طالبا من الشرق الاوسط. حقا ان جزء من سفر الامثال، كتب بتأثير الادب الحكمي المصري(22:17 –24:22).لان معظم المواضيع:كالعلاقة والدبلوماسية ومراقبة اللسان والنقود والاقتصاد، وخطر الزنى والسكر الشديد واكتساب المعرفة هي مواضيع انسانية.انه أدب علماني ويجب ان يكون بالتأكيد ادب الطبقة الراقية من المجتمع. وهذا واضح عندما نقارن موقف الادب الحكمي من الغني كعلامة لبركة الله تجاه موقف معاكس، أي دينونة الانبياء للغني كحالة خارجة عن بركة الله.

لكن الادب الحكمي يستند على الملاحظة الانسانية والعقلانية واخيرا الفكر العلمي. ان الادب الحكمي كسفر الجامعة هو ضد الرجاء الفارغ او الفكر الكاذب، انه يفضل حقيقة العلم والناس تحت الملاحظة.

ان الادب الحكمي حاضر في الكتاب العبري، ربما يدل على ان كل الفكر الانساني هو جزء من حقيقة الايمان لكن ليس بدون عيوب في الكتاب. فسفر ايوب يبدو كأنه من "أدب الحكمة المضادة" لان الحكمة تفشل في تحضير اجابات لاسئلة ايوب حول ألم البار.

اخيرا،هناك قصص قليلة ومهمة في الكتاب المقدس مثل استير ويونان. وكل واحد من هذه الكتب يمثل نوعا من التأليف في الادب العبري ويمثل مع بقية الكتب (قصة يوسف في سفر التكوين. ودانيال 1 –6) حاليا ما يسمى بقصص Diaspora،وهي قصص مهمة تعكس حالات بني اسرائيل (جماعات ما بعد النفي) حيثما كان هدفهم الرئيسي هو تعليم العبادة لأجل الايمان في ازمة الضيق والاحتلال.

طبعا، يمكن قول الكثير حول مختلف ادبيات الكتاب العبري. ولكن المهم ان نبدأ تعلم ادوات، وطرق التحليل لاجل استكشاف النص نفسه.

الدراسة الكتابية

بعد ان قمنا بجولة سريعة في الاقسام الثلاثة للكتاب المقدس، من المهم التطرق الى بعض المشاكل في التحليل الكتابي، واحسن مثل هو دراسة الكتب الخمسة الاولى،والنظرية التي تتضمن هذه الدراسة تسمى "الفرضية الوثائقية ".

الفرضية الوثائقية The Documentary Hypothesis

يجد قراء سفر التكوين انفسهم امام سلسلتين ممتعتين للظاهرة الادبية. مثلا هناك قصتان للخلق، الاولى (نباتات،حيوانات،الناس 1:2:4 أثم الناس،النباتات،الحيوانات في 2:4 ب –3:24). وهناك قصص اخرى ص41 طالع عن زوجة ابراهيم و...الخ

(12:10 –20، 26:1 – 11)وعن هاجر (16) ثم في (21)، ففي القرن 18 افترض العلماء وجود تقليدان الاولى يستخدم كلمة "ايلوهيمElohim" عن الله، والثاني "يهويYahweh" فالله في الأول انساني اكثر حيث يتحدث مع الناس،بينما الثاني يظهر السيادة والسمو عن الله بعيدا عن الانسنة، وحيث يتحدث من السماء أو في الاحلام.

ان هذه المراقبة قادت إلى "الفرضية الوثائقية". إن خطوطها الخارجية سهلة، والفكرة لا زالت تواجه التحدي، ولكنها باقية اساس تحليل الكتاب المقدس.

وطبقا الى الفرضية الوثائقية، فان أول جمع للقوانين والتقاليد الشفهية تم في وقت سليمان لأجل إضفاء تاريخ لها. وهذه استخدمت اسم "يهوه" والتي شكلت مجموعة مواد من الخلق، الى الحكم الملكي. ويشار الى هذه المجاميع بالحرف "J ".وهناك عملية تحديد وعزل يقوم بها العلماء لبعض النصوص او القصص التي اصلها هو تقليد شفهي. ربما ان اسطراً قليلة من الشعر او قصصاً يمكن تحديدها ومعرفة كيف تم استخدامها في وقت مضى. ومن خلال الانتباه باعتناء الى اشكال الفولكور على سبيل المثال، ربما من الممكن مشاهدة بعض قصص الاباء والتي هي قصص شفهية أصلا حكيت بفترة طويلة قبل سليمان. ويمكن ملاحظة كيف ان التقاليد الشفهية الاقدم تم استخدامها لتحقيق اهداف الكتبة بعد ان جلبوها وجمعوها مع مجموعتهم.

بعد هذه الفترة من الحكم الملكي (922 ق.م)، استخدمت المملكة الشمالية كلمة"ايلوهيم" عن الله، وهذه المواد تؤثر بعلامة "E" ومرة اخرى، تبين لنا النقدية "شكل" المواد التي تحمل كتاب " E" والتي ادخلوها في نصهم والهدف الذي ارادوا ان يخدمهم.

ان وثائق J، E تمت الاضافة اليها اثناء الاصلاحات (640 ق.م) فسميت بالتثنية "D " حيث حول هؤلاء الكتاب

الانتباه الى تاريخ بني اسرائيل وشرائعهم فسميت " تثنية الاشتراع". لقد كتب التاريخ وقت (يوشيا) حتى فترة السبي البابلي (نهاية 2 مل)مؤكدا على الدروس الادبية اثناء التثنية، وبتوضيح خاص للملوك كونهم تجاهلوا شرائع موسى.

اخيرا، خلال وبعد النفي،عبر مرشدوا الشعب من العائلة الملكية الى قيادة ملكية – كهنوتية، ثم كهنوتية. وخلال هذه الفترة هيأ التجميع والاضافة الاخيرة لمواد الكتاب. فسميت المواد الخاصة بهم بالكهنوتية التي تحمل رمز حرف " P"، ونجدها في التوراة مع بداية قصة الخلق حيث يعطون اهمية للسبت الى حد ان الله "ارتاح".كما انهم جعلوا للكهنوت علاقة بكثير من المواضيع في سفري الاحبار والعدد. واخيرا من المهم ان ندرك اننا يجب ان نقرأ التوراة كوحدة بسبب عمل الكهنة. ففي سفر التثنية (إذا فصلناه عن يوشيا)، الكهنة يتركون موسى (يُدفن) عند مدخل ارض الميعاد في نهاية مجموعة الكتب (التوراة). وهذا قد يكون بتأثير الوضع بعد السبي وادراك انهم يعيشون في رجاء رؤية ارض الميعاد مرة اخرى؟

بعد فرضيات وثائق (P+(D+E+J) من الواضح ان أي تحليل لاي قطعة من النبتاتوخ مع العمل في واحدة من "المصادر" تسمى العملية " نقد المصدر".

وحالا نكون قد حددنا "المصدر"،ومن المهم مشاهدة كيف ان الذين يضيفون على النص جلبوا المصادر مع بعض. وهذا الشكل يسمى نقد " التنقيح ". فعلينا عدم التسليم وجود قصتين مثلا في سفر التكوين (قصة الخلق المشار اليها اعلاه) حتى ننظر بتمعن اليهما.

اليوم ازدادت الاسئلة وتنوعت اشكالا جديدة بسبب تنوع العلوم والمصادر، فهل تستطيع التحاليل الأنثروبولوجية – مثلا- ان تساعدنا لفهم عصر الاباء؟ واذا كان كذلك،ربما سنتعلم الكثير بخصوص الاشخاص الذين

كتبت لأجلهم. وهل تستطيع التحاليل الاجتماعية ان تساعدنا لفهم النظام الاقتصادي الاجتماعي المفترض لقصص الاباء؟ (الانظمة الرعوية والنقدية و...الخ).فاذا كانت كذلك ربما سنحصل على مفاتيح تساعدنا في تحديد زمن الكتابة.

هل تستطيع الاشكال الجديدة للنقد الادبي ان تساعدنا لفهم اكثر بخصوص تركيب القصص. وكيف نستجيب لطريقة الكتابة؟ فاذا كان كذلك، سنكسب متعة جديدة مع الكتاب ورسالتهم.

اخيرا علينا الاطلاع على مكتشفات البحر الميت (1948) واصدارات الكتاب المقدس الخاصة الحاملة لرموز NAB و NRSVاو New the Jerusalem Bible Study Editionوكلها باللغة الانكليزية. كما نرجو الاستعانة بالقواميس الخاصة والخرائط وتوخي الصبر.

الايمان والكتاب المقدس العبري

السؤال الاخير الجدير بالاعتبار هو العلاقة بين المواضيع التاريخية والنقد، ودور الكتاب في الايمان المعاصر. ان هذه النصوص تساعدنا في اللاهوت المعاصر والتعامل مع الاسئلة الصعبة البارزة بسبب التحليل النقدي. وهذا ليس من السهل، أي ان تؤمن بابراهيم كي نؤمن ان الله مستمر في الاتصال بنا.

سيبقى الكتاب المقدس العبري مهما في الايمان المعاصر، فالله حرر العبيد، واسقط الملوك، وتحدث من خلال الانبياء الراديكاليين (أي المطالبين بالتغير الجذري) ويعمل في التاريخ. لنعترف مع النبي ارميا:

" فقلت: لا أذكره
ولا أعود أتكلم باسمه
لكنه كان في قلبي كنار محرقة
قد حبست في عظامي

فأجهدني إحتمالها
ولم أقو على ذلك "
أرميا 20

الأسئلة

1. كيف أثر موقع كنعان فلسطين على تطور الدين في العهد القديم؟
2. ماذا نقصد بقولنا ان العهد القديم هو كتاب ديني اكثر مما هو تأريخي؟ وكيف أثر هذا على أيماننا؟
3. كيف استطاع النبي عاموس وهوشع المقارنة والتضاد واحد مع الآخر؟
4. ما هي بعض قطع المعطيات الرئيسية للدلائل التي تؤيد الفرضيات الموثقة؟

الفصل الثالث

مدخل إلى دراسة العهد الجديد

يعبر العهد الجديد عن إيمان الجماعات المسيحية الأولى، وهو يحدثنا عن كيفية نشوء الجماعات ولماذا؟ وخبرات الأجيال الأولى من خلال الكتابات التي وثقت أيمانهم بيسوع الناصري (المسيا) المسيح أبن الله المخلص وخلاصة الخبرة تقول: الإيمان هو فهم يسوع والوجود الإنساني.

إن الكتابات تشترك بخصوصية الرؤية العامة والمركزية ليسوع، إنها رؤى مختلفة عن هوية يسوع ومعنى الإيمان المسيحي، والعهد الجديد أحسن فهم للكتاب العبراني وتوثيق للإيمان أن يسوع هو المسيح أبن الله مع الاعتبار أنها كتبت بأزمنة مختلفة ومواقع مختلفة. يتكون العهد الجديد من (27) كتاباً ويصنف إلى ثلاثة أصناف:

الأناجيل

هناك أربعة أناجيل: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. والأولى الثلاثة (متى ومرقس ولوقا)يشار إليها عادة "بالأناجيل الإزائية"، حيث إن معنى " الإزائية" ذو أصل يوناني ويعني النظر معاً، رؤية الأشياء بعضها مع بعض وبنفس الطريقة. فهذه الأناجيل متماثلة بعدة طرق،إنها متداخلة إلى درجة جديرة بالملاحظة، وتحتوي عدداً من أقوال يسوع وقصصه، وغالباً بنفس الكلمات. وكما نرى، فإن الخط العام للتماثل أو المضرب العام عبر هذه الأناجيل الثلاثة يشير الى علاقة كبيرة.

يعتبر إنجيل يوحنا، الإنجيل الرابع، انه مختلف تماماً عن الأناجيل الإزائية. فأقوال يسوع والقصص التي نجدها في الأناجيل الأزائية عنه، هي قليلة، وبالتأكيد، فإننا في إنجيل يوحنا نجد صورة مختلفة تماماً عن يسوع.

الرسائل

هناك في كتاب العهد الجديد 21 رسالة، بعضها تقرأ أكثر من الأخرى. ويمكن أن تقسم الرسائل الى مجموعتين عامتين: 1- رسائل بولس 2- رسائل الآخرين.

الرسائل البولسية

إن عدد رسائل بولس هو 13رسالة، وليست كلها مكتوبة بقلمه حيث يشير المعلمون الى أنه كتب 7رسائل وهي: الى أهل رومية،1-2 كورنثوس،غلاطية، فيلبي، 1-تسالونيقي، فيلمون.

الأخرى التي كتبت بإسم بولس بعد وفاته. لذلك فإن بعض الرسائل "لا نزاع ولا جدال فيها" أي إن الجميع يوافق على أن بولس كتبها، والأخرى "يجادل فيها" أي إن عدداً من الباحثين يوافقون على أن بولس لم يكتبها. وهذه الرسائل هي: أفسس، وكولوسي، وهذه تحسب معاً، و1و2 طيمثاوس، وطيطس، والثلاثة الأخيرة تحسب "رسائل رعائية"، وتحسب معاً أيضاً، و2تسالونيقي.إن السبب الأولي للجدال بعائدية بعض الرسائل الى بولس هو إختلاف المصطلحات، والسياق، والنظرة اللاهوتية عندما تقارن المجموعة الأولى مع الثانية. وإن أغلب الباحثين يميلون الى استخدام هذه الرسائل لفهم تطور الكنيسة الأولى بعد وفاة بولس.

الرسالة الى العبرانيين

أولاً، يعزو العديد من المسيحيين الأولين هذه الرسالة إلى بولس،بسبب طبيعة نهايتها. ولكن المحايدين يوضحون إن بولس لم يكتب الرسالة الى العبرانيين، لوجود إختلافات كثيرة عن أي رسالة أخرى لبولس. إنها ليست تماماً رسالة (رغم أن نهايتها هي ختام رسالة)، ولكنها تصنف كموعظة دينية تشجع المسيحيين الذين يتنامى تعبهم بسبب إيمانهم.

الرسائل العامة Catholic

تعني "عامة"بالمقارنة مع الرسائل الأخرى في العهد الجديد، والرسائل العامة هي نسبياً موجزة. وهناك سبع رسائل: يعقوب، و1و2بطرس، و1،و2، و3 يوحنا، ويهوذا. نعلم القليل نسبياً بخصوص من كتب هذه الرسائل، أو متى كتبت، أو أين كتبت. وإن أغلب الباحثين يعتبرون يعقوب، و1بطرس، و1يوحنا رسائل عامة.

بقية الكتابات

هناك وثيقتان لا تُصنّفان ضمن الأنجيل أو الرسائل، إنهما أعمال الرسل، والرؤيا. الوثيقة الأولى تعتبر تاريخ الكنيسة الأولى بعد القيامة والصعود، ولا شك أنّ الكنيسة الأولى قد وضعت أعمال الرسل بعد الأناجيل. وقد كتبت أعمال الرسل من قبل لوقا الذي كتب الإنجيل المسمى بإسمه. فإذا قارنت مقدمته في الكتابين سترى أنهما موجهان الى شخص محدد"ثاوفيلسTheophilus" وتشير الأعمال الى "إنجيل لوقا" كـ"كتاب أول"، ويهتم بالرسول بطرس وخصوصاً ببولس أكثر من بقية الرسل، فبطرس يأخذ الرسالة إلى اليهود (أع 1-5) وكمفتتح للرسالة الى الأمم (10-11) فهو بطل لوقا، ثم بعد تبشير الأمم في لوقا 9، يتبع لوقا بولس (أع 13-28).

أخيراً، كتاب الرؤيا هو كتاب ذو طابع "كشفي" أحرى من كونه إنجيلاً أو رسالة. فالكشفية(apocalypse)هي سياق للكتابة يخص كشف أسرار الله السماوية، عادة بشكل رؤى دراماتيكية(روائية) ذات شخصيات سماوية وجهنمية. إن الكتابات الأبوقلبطية (الكشفية) ازدهرت خلال أوقات الاضطهادات،لأجل تشجيع المؤمنين كون الانتصار سيأخذ مجراه حالاً. إضافة الى كتاب الرؤيا، فهناك كتابات في العهد الجديد لها طابع كشفي مثل مرقس 13و1تسالونيقي4.

تشكيل قانون العهد الجديد

الآن لدينا فكرة عن محتويات العهد الجديد، فتوجب علينا أن نتساءل لماذا وصل إلينا العهد الجديد هكذا؟ ولماذا أربعة أناجيل؟ ولماذا نسبت 13 رسالة الى بولس الرسول؟ ولماذا كتاب أعمال الرسل؟ وكتاب الرؤيا وبقية الرسائل؟ وكيف أصبحت هذه المجموعة كما هي الآن؟

لقد مر تشكيل قانون العهد الجديد بأربع مراحل:
الأولى: قام المؤلف بكتابة الوثيقة لمجموعة صغيرة نسبياً من الناس، وعلى سبيل المثال كتب بولس (1تسالونيقي) إلى مسيحيي مدينة تسالونيقي، لقد قرأوها واحتفظوا بها: "أستحلفكم بالرب أن تقرأ هذه الرسالة على الأخوة أجمعين" (1تس 5: 27).

الثانية: كانت الوثيقة تستنسخ (ولكن بدون آلة طابعة!)، وقد استغرق ذلك بعض الوقت، كما تطلب توزيعها وقتاً إضافياً، فيعتقد أن أهل تسالونيقي احتفظوا بالرسالة ولكن بعد وفاة بولس أخذ أهل تسالونيقي بتوزيعها، حيث أخذها

أهل قورنثية. وهكذا الحال مع الأناجيل وبقية كتابات العهد الجديد.

الثالثة: يبدو أنه بين سنة 150 إلى 200 م، أي حوالي 100 سنة بعد كتابة وثائق العهد الجديد، بدأ عدة أشخاص وجماعات مسيحية بعمل مجاميع ومختارات للكتابات المسيحية المستنسخة والموزعة.ومع هذه الكتابات التي جمعت، فإن بقية الوثائق ذات النفوذ قد شملتها العملية، وكمثال، لدينا رسائل برنابا وأقليميس في القرن الثاني. فكيف أقرت الكتابات الصادرة من السلطة الكنسية لأجل الحياة والإيمان المسيحي؟

لقد شعر المسيحيون بالحاجة الى تجميع الكتابات التي يقرأونها، فكيف تم الاختيار؟ إن أحسن ما نستطيع قوله هو إطلاق عدد من المعايير والتي استخدمت. لقد كان أول معيار هو "الرسولية"، لكن هل إن كاتب الوثيقة كان من الرسل، أو هل هو شخص عضو في الجماعة المسيحية الأولى؟ لنأخذ على سبيل المثال إنجيل متى، لقد أصبح له سلطان لأن التقليد يشير إلى أن متى كان واحداً من التلاميذ الإثني عشر، وواحداً من الرسل. وهكذا فإنجيل مرقس اكتسب سلطته من التقليد القائل أنَّ مرقس كان كاتب بطرس، حيث كتب مرقس ما طلب منه بطرس.

وبالرغم من أنَّ بولس لم يكن واحداً من الإثني عشر، ولم يلتق بيسوع أبداً، لكنه أُعتُبِرَ رسولاً بسبب تقرير رؤيته (في طريق دمشق). معيار آخر للإختيار، هو أنَّ الوثائق كانت ذات إستخدام عملي إلى حد ما. فهل كانت الوثيقة واسعة الإستخدام؟ ولا زال هناك معيار آخر وهو، هل كانت الوثائق تقوي وتلقّن الجماعة الإيمان، وهل عبرت عن إيمانها؟ وعلى الرغم من أن بقية العوامل ساهمت في عملية الإختيار، فإن هذه المعايير كانت أهمها.

المرحلة الرابعة والأخيرة كانت عندما مختلف مجاميع كتابات العهد الجديد اتخذت بصمات رضى رسمية لقادة الكنيسة والمجامع الكنسية المبكرة. ربما هو شيء مدهش أن نكون أولاً قد وجدنا قائمة رسمية لما ينتمي حقاً الى العهد الجديد بفضل قانون أثناسيوس (Athanasius) 367م في رسالته الفصحية الى كنائسه. وحتى بعد هذا الوقت إستمر التساؤل حول بعض الكتابات مثل سفر الرؤيا، والعبرانيين، و2 بطرس، و2و3 يوحنا، ويهوذا، وهكذا. وعلى الرغم من أن وثائق العهد الجديد نفسها كتبت بعد فترة زمنية قصيرة نسبياً، فإنها تطلبت عدداً من القرون قبل أن ينتشر قرار الموافقة عليها.

تأريخ التقليد

إن دراستنا تهتم بمسألة الإجابة عن كيفية وصول كل كتابة إلينا بشكلها النهائي، فهل جلس الرسول متى وكتب إنجيله؟ ألم تكن هناك مصادر؟ وماذا أخذ من الإنجيلي مرقس مثلاً عندما قال يسوع " من طلق امرأته وتزوج غيرها فقد زنى عليها "(مر 10: 11). بينما يقول في متى " أما أنا فأقول لكم: من طلق امرأته، إلاّ لفحشاء، وتزوج غيرها فقد زنى " (متى 19: 9)؟ فأي منهما قال يسوع؟ أم هل قال كلا القولين؟ أم أضاف متى شيئاً، وإذا كان الجواب كذلك فلماذا؟

إن امتلاكنا لأي فهم لمختلف مراحل وطبقات أي نقل للتقاليد المسيحية المبكرة، يمكن أن يساعدنا كثيراً في الإجابة على العديد من الأسئلة بخصوص العهد الجديد، وخصوصاً حول الأناجيل. هناك ستّ مراحل في تأريخ التقليد، ومختلف أدوات التحليل تطورت لأجل وضع العناوين لكل مرحلة. وبصورة عامة، فإن هذه الأدوات تشير إلى نظام أو طرائقية "النقد التاريخي"، لأنها

تتمركز على تأريخ التقاليد في العهد الجديد. سننظر الى كل مرحلة وأداة النقد المقابلة لها.

الحدث التاريخي/النقد التاريخي

إن أول شيء يقع هو حدث. يسوع، وبولس، وأي شخص، يقولون شيئاً أو يفعلون شيئاً. وعلى الرغم من أن مصطلح " النقد التاريخي " يستخدم لشرح مجموعة الأدوات التحليلية، فإنها أيضاً تشرح واحدة من الأدوات الخاصة. ببساطة ضع وسط معناها الخاص، النقد التاريخي الصادر من الباحثين كي تصل الى احسن نتيجة بخصوص ما حصل. على سبيل المثال، في إنجيل يوحنا (2: 13 – 17) عندما طرد يسوع رجال الأعمال في الهيكل (في حادثة تنظيف الهيكل) أثناء بداية خدمته، فإن الحدث من الأحداث الأخيرة أثناء خدمة يسوع وفق إنجيل متى (21: 10-17؛ مرقس 11: 15- 17؛ لوقا 19: 45- 46). لذلك فإن هدف النقد التاريخي هو الحصول على صورة واضحة للحدث الذي عليه التساؤل.

ومن المواضيع الأخرى: من هو "يسوع التاريخي"، فلو كان لدينا شريط فيديو عن حياة يسوع، ومن هو، فإلى أي مدى تحدثنا الأناجيل حقاً عن يسوع التاريخي، خصوصاً إن الأناجيل كتبت للتبشير بأن يسوع هو إبن الله الذي مات وقام من بين الأموات؟ فما هو دور المعلومات التاريخية؟ إن شيئاً واحداً يوافق عليه المدرسيون scholars هو إعلان البشارة بملكوت الله كونها مركز رسالة يسوع التاريخي، ولأجل إطلاق صورة عن يسوع في الأناجيل (متى 4: 17؛ 13: 24-33؛ مرقس 1: 14- 15)، ورغم وجود تساؤل حول ما كان يعنيه يسوع بملكوت الله. لذلك فالمدرسيّون يستخدمون النقد التاريخي

تجاه الأحداث التاريخية، خصوصاً تلك التي تشير الى حياة يسوع.

إن منهج النقد التاريخي يعير إنتباهاً إلى السياقات التاريخية، والاجتماعية، والدينية، حيث كتبت وفقها مختلف وثائق العهد الجديد،على الرغم من أن كل وثائق العهد الجديد كتبت خلال القرن الأول، وهو الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية الرومانية على جانب عظيم من القوة. وكانت هذه الفترة أيضاً، فترة التوتر الكبير بين اليهود والرومان في فلسطين، والذي نتج عنه تدمير الهيكل(القلب الرمزي للهوية اليهودية) سنة سبعين ميلادية بعد إندلاع الثورة قبلها بأربع سنوات، فتشتت اليهود نتيجة لذلك. ولأن الناس عموماً اعتبروا المسيحيين كفرع لليهودية، فقد أثرت الأحداث عليهم، وعلى تطور المسيحية لأنهم كانوا يهوداً أصلاً،ويسوع كان يهودياً لا مسيحياً.

عاملان أثرا على إنفصال المسيحيين عن اليهود: الأول إن المسيحيين بشروا بيسوع المسيح. واليهود اعتقدوا أنه سيخلصهم من الرومان ويؤسس الملكوت، لكنه لم يفعل ذلك، حيث لم يدخل في صراع مع الرومان. ولكن الرومان حكموا عليه بالموت، موت العار على الصليب، فكيف يؤمن الشخص بمسيّا مصلوب؟ كما أن المسيحيين الأولين قالوا: إن الله أقام المسيا من الموت، وأنَّ يسوع هو ابن الله الذي مات لأجل الآخرين. فإعتبر اليهود هذا الأمر تجديفاً.

أما العامل الثاني فكان إن الحركة المسيحية إنتشرت بين الأمميين. فكيف سيكون موقف المسيحية تجاه موقف الأمميين المسيحيين من القانون اليهودي الذي أعلنه الله عبر آيات الكتاب العبري، مثل حفظ السبت، وغيره[4] رغم أن المسيحيين استمروا في تطبيق الممارسات الطقسية اليهودية، فكان القرار أنَّ الأمميين ليسوا ملزمين كي

[4] طالع أعمال 15 وغلاطية 1-2.

يصبحوا مسيحيين أن يدخلوا في الحالة اليهودية أولاً (غلا 5: 11-12). فأثّر هذا القرار على التوتر بين اليهود والمسيحيين، خصوصاً بعد تدمير هيكل أورشليم. وعندما بدأ المسيحيون التخلي عن القانون العبري، بدأ اليهود بالتأكيد على القانون ذاته كي يؤكدوا على الهوية اليهودية. فنستطيع أن نرى في العهد الجديد التوتر الحاصل بين المسيحية الأولى، واليهودية الرابينية، خصوصاً في كتابات مار بولس، وإنجيل متى، ويوحنا. وهذه ترسم بإيجاز المخطط الذي يساعدنا على النقد التاريخي. والمتعلق أيضاً بالأحداث التاريخية، وفهمنا لكتابات العهد الجديد.

التقليد الشفهي /تشكيل النقد

بعد الحدث، يتحدث الناس عنه. وكمثال، إهتمّوا بما قال يسوع وفعل عندما نظّف هيكل أورشليم. لقد تم إعادة هذه الأحاديث مرة أخرى. ولكن لا فقط تم إعادتها، بل تم الربط بين قصص وقصص، وأخذ التقليد الشفهي عدة أشكال. لذلك فإن أقوال يسوع وقصصه أعيدت وجمعت بأشكال مختلفة في المسيحية الأولى، مثل الأمثال والذكريات والآيات وما أشبه ذلك. لقد صممت أداة النقد كي تصبح تحليلاً لمختلف التقاليد الشفهية. فإن هدف النقد هو الحصول على مواد مكتوبة لا اختبار كيفية كونها (أي التقاليد الشفهية) قد أخذت شكلها، وكيف وصلت بعد فترة زمنية معينة.

يريد التقليد أن يكتشف كيف استخدمت الجماعات المسيحية المبكرة التقاليد الشفهية، ومن الأمثلة لدينا رسالة بولس الأولى إلى أهل قورنثية حيث يقول:"سلمت إليكم قبل كل شيء ما تسلمته أنا أيضاً، وهو أن المسيح مات من أجل خطايانا كما ورد في الكتب، وأنه قبر وقام في اليوم الثالث كما ورد في الكتب، وأنه تراءى لصخر

فالاثني عشر"(15: 3-5). لاحظ أنَّ بولس يقول:سلمت ما تسلّمت، وهي إشارة إلى رسالة الإنجيل.

التقليد المكتوب /نقد المصدر

بعد أن تحدث الناس شفهياً بخصوص الأحداث، تم تدوينها تحريرياً. إن أقوال يسوع من الخطبة على الجبل (متى 5-7) كانت ضمن التقاليد الشفهية التي كتبت. لا فقط عرف متى الأقوال المكتوبة لكن لوقا أيضاً، كما في الفصل السادس وبقية إنجيل لوقا. لكن إنجيل مرقس لا يظهر معطيات لهذه التقاليد المكتوبة.وهكذا بخصوص الأسئلة المثارة: كيف تتوفّر لمتى ولوقا نفس الأقوال؟ ما هي المصادر المكتوبة التي إستخدمتها الأناجيل؟ إن أول الأسطر في إنجيل لوقا توضح تماماً أنَّ لوقا إستخدم مختلف المصادر المكتوبة:

" لما أخذ كثير من الناس يدونون رواية الأمور التي تمت عندنا، كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة، ثم صاروا عاملين بها، رأيت أنا أيضاً، وقد تقصيتها جميعاً من أصولها، أن أكتبها لك مرتبة يا تاوفيلس "(لوقا 1: 1- 3).

نلاحظ أن لوقا واع لمختلف المصادر المكتوبة، وقد إستفاد من هذه المصادر ليضع إنجيله. فهل متى كتب بمثل هذه الطريقة. بالتأكيد، إن كل كتاب العهد الجديد إستخدموا آيات العهد القديم كمصادر مكتوبة، ونجد عدداً من آيات العهد القديم في كتابات العهد الجديد.

وهكذا بالنسبة إلى إنجيل يوحنا، هل يستخدم مصادر مكتوبة؟ هل بولس يستفيد من التقاليد المكتوبة عندما يكتب رسائله؟ هذه هي الأسئلة المعنونة من قبل منظمي مصادر النقد. فالمدرسيون يستخدمون نقد المصادر ليعرفوا هل المؤلف قد إستخدم مصادر مكتوبة، وإذا كان كذلك، فماذا تشبه المصادر المكتوبة.

إن واحدة من المشاكل بخصوص نقد المصادر هو وضع العلاقة الجانبية في الأناجيل الأزائية. لماذا هذه الأناجيل متماثلة كثيراً أو متباينة كثيراً؟ فاليوم، عدد كبير من المدرسيين وصلوا الى قناعة أن إنجيل مرقس هو أول إنجيل مكتوب، ومتى ولوقا استخدما مرقس كمصدر مستقل. حيث استخدما أيضاً "مصدر الأقوال" التي يرمز له " Q" واصلها الكلمة الألمانية (sours) وهذه تسمى نظرية المصدر (إن العديد من الكتاب المهتمين بالعهد الجديد في القرن التاسع عشر والعشرين كانوا ألماناً). وهذا يسمى " فرضية الوثيقتين" أو "نظرية المصدرين"،وأدناه شكل تخطيطي لذلك:

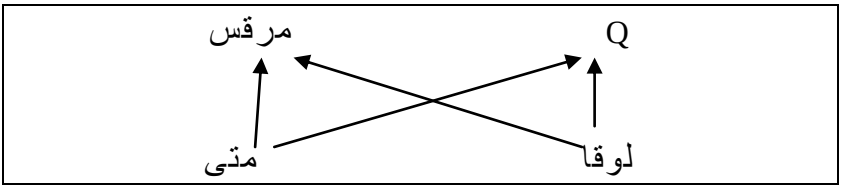

لقد استخدم متى ولوقا (مستقلين) مرقس و Q كمصادر مكتوبة ليكتبا إنجيليهما.

الإضافة على التقاليد/نقد التنقيح

بعد التقليد الشفهي والمكتوب، حصلت عملية إضافة عندما مزج المؤلف مختلف قطع التقليد (الشفهية والمكتوبة) ليوحدها كسرد طويل. يعطي المؤلف الشكل للتقليد. وكل مؤلف يشكل التقاليد لأجل مكان وزمان معينين. لذلك فاللاهوتي يهتم في كيفية قيام كل مؤلف بالإضافة الى مصادره.

إن نظام نقد التنقيح يبحث عن كيف تمّت الإضافة إلى التقليد المستخدم خصوصاً المكتوبة. لا فقط المدرسيون استخدموا نقد التنقيح كي يبحثوا عن التأكيدات الخاصة في

نهاية العملية، إنهم استخدموا ذلك أيضاً لإكتشاف موقع المؤلف ونقطته اللاهوتية التي إنطلق منها. فنقد التنقيح يعمل بطريقة أفضل عندما نعلم المصادر التي استخدمها المؤلف. لذلك، وعلى سبيل المثال، فالمدرسيون يهتمون كثيراً بتحليل الأناجيل الأزائية من خلال إفتراض فرضية المصدرين. وهذا يعني أنَّ تحاليل متى ولوقا تستند على أرضية أكيدة لأن معظم المدرسيين يلاقون صعوبة لدى مرقس ويوحنا وQ.

مثال جيد لكيفية عمل نقد التنقيح نراه في قصة دخول يسوع إلى أورشليم في متى 21: 1-9،مرقس 11: 1-10، ولوقا 19: 28-40:

فإذا قارنا نص متى مع نص مرقس ستبرز أمامنا أمور عديدة. أولاً، لاحظ أنّه في مرقس 11: 2 يقول يسوع للتلاميذ :

"إذهبا إلى القرية التي تجاهكما، فما أن تدخلانها حتى تجدا جحشاً مربوطاً ما ركبه أحد، فحلاّ رباطه وأتيا به." بينما في متى 21: 2 يقول يسوع لتلاميذه: " إذهبا إلى القرية التي تجاهكما، تجدا أتانا مربوطة وجحشاً معها، فحلاّ رباطها وأتياني بهما " وهكذا في مرقس 11: 7 ومتى 21: 7.

وحيث نفترض نظرية المصدرين، فالسؤال هو: لماذا غيّر متى ما لمرقس، وأضاف حيواناً آخر؟ يمكن أن نجد لجواب في الإختلاف العام بين متى ومرقس. لاحظ في متى 21: 4-5 أنه غير مواز لمرقس أو للوقا. فمتى أضاف إلى قصته أقوالاً من العهد القديم – من النبي أشعيا، وزكريا –. فإذا تمعنت باهتمام، فإنك سترى إن متى يقول في 21: 5 " قولوا لإبنة صهيون: هوذا ملكك آتياً إليك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن دابة ". فحسب متى، سيدخل يسوع أورشليم ليكمل نبوءات العهد القديم، وبشكل ملوكي. فيسوع حسبه هو الصورة الملكية. فأضاف، وغيّر

القصة التي حصل عليها من مرقس، لذلك فإن يسوع يركب حيوانين لا واحداً، فالخط العام عند متى هو إتمام النبوءات. على أية حال، فإن متى يستخدم الترجمة اليونانية للعهد القديم (وتسمى Septuagint)، وهنا ليس لدينا التقنية العبرية، فالمستخدم حسب الأصل العبري هو حيوان واحد.

لذلك فإن النقد المنقح يعلن لاهوت متى كي يبين أنَّ يسوع أكمل نبوءات العهد القديم، ويمكن أن نجد في هذه القصة أيضاً جذور يسوع اليهودية. فحسب التقليد في متى 21: 9 من الواضح القول: " أوشعنا لإبن داود " بينما في مرقس 11: 9 " أوشعنا" فقط. إنها أداة قيمة لتسليط الضوء على المواضيع اللاهوتية والموقع التاريخي للكاتب والجماعات ما وراء كتابة العهد الجديد.

الشكل الأدبي الأخير/النقد الأدبي

بعد عملية الإضافة، تصل الوثيقة إلى الشكل النهائي. إن هدف النقد الأخير هو فهم الشكل الأخير للوثيقة. ولأجل فهم كل كتابة، من المهم الانتباه الخاص الى تركيب كل وثيقة، وكيف تسير عملية الكتابة، وأين يسرع ويبطئ، وكيف تتم عملية الكتابة، ومن هم شخصيات الكاتب، وكيف هي العلاقة بين النصوص المختلفة، وما هي السياقات المباشرة والكبيرة لكل جزء قياساً إلى الكل.

من السهل جداً أن يتساءل الناقد بخصوص الكتابة. إنه يعتمد على النقد التاريخي والشكلي والمصدري والمنقح. ولكن يركّز على الشكل الأخير لكل وثيقة. لدينا مثال هو لوقا (4: 16-30) الذي يوضح الطريق الذي يقترب به إلى سياق الأعمال. ابدأ بقراءة هذا المقطع أولاً.

كما ترى، يقدم (لو 4: 16-30) يسوع في بداية خدمته للناس، إنه حقاً أول ظهور ليسوع أثناء الفترة

المهمة من خدمته. أنظر أولاً كيفية ترتيب النص من قبل لوقا:

قراءة من أشعيا	
يفتح يسوع الكتاب	يغلق يسوع الكتاب
أعطي له الكتاب	يعطي يسوع الكتاب
يقف يسوع ليقرأ	يجلس يسوع

إن القراءة من أشعيا تقع في منتصف التوازي. وفي لو 4: 20 يقول لوقا "وكانت عيون أهل المجمع كلهم شاخصة إليه "فماذا سيقول يسوع؟"؛ اليوم تمت هذه الآية بمسمع منكم ". وكانوا يشهدون له بأجمعهم، ويعجبون من كلام النعمة الذي يخرج من فمه. ولكن بعد قليل سيحل تغير عكسي (4: 23-24) حيث يقول يسوع " ما من نبي يقبل في وطنه "[5] وفي (4: 25-27) يشير يسوع الى قصص تاريخية من الأنبياء كي يفسر أشعيا وهو يعلن البشرى السارة للفقراء وإطلاق المأسورين.

وكلا القصتين تشيران الى أنهما جلبا الشفاء لغير اليهود والمنبوذين.[6] إن تفاعل الجمع يتحول دراماتيكياً من 4: 22 الى 4: 28- 30 حيث أراد الجمع إلقاء يسوع من أعلى الجبل، فينتقل يسوع الى الناصرة المدينة اليهودية، ويدخل مجمع كفرناحوم في يوم السبت، وهو موضوع يأتي بالخطورة في سفر أعمال الرسل للوقا.

---

[5] يظهر لوقا يسوع هنا كنبي.

[6] طالع شفاء نعمان السرياني الأبرص من قبل أليشع (2 مل 5).

من هنا نرى كم يستخدم لوقا مواضيع وتراكيب لأجل انسيابية القصة كي يربطها بما فهمه من أهمية يسوع.

النسخ المتعددة للصيغة الأدبية الأخيرة/نقد النص

أخيراً، وبعد أن وصلت الوثيقة إلى الشكل الأدبي الأخير، تم استنساخها عدة مرات، ربما إلى مئات النسخ. وهذه العملية خلقت صعوبات جديدة لدى الباحث حيث يسأل: أي نص من العهد الجديد هو هذا؟ إن نظام نقد النص يبحث عن أساس النص إلى أن يصل إلى إتفاق في الرأي مع الآخرين.فنص اليوم هو نص مركب ومهيأ.

لدينا نصّان يوضحان نقد النص، الأول من لوقا 22: 43- 44 (ترائي الملاك ليسوع،وعرقه مثل قطرات دم تتساقط على الأرض)، والنص الثاني من مرقس 16 (أي خاتمة الإنجيل).

كي نوجز هذا الشرح الطويل لتاريخ التقليد، ربما سيساعدنا الشكل التالي. إنه يظهر مختلف مراحل التقليد التي ألقينا النظر إليها، مع مختلف الأدوات التي إستخدمها المدرسيون لدراسة كل طبقة.

نسخ مختلفة من النصوص	----	نقد النص
الصيغة النهائية للنص	----	النقد الأدبي
التقاليد المضافة	----	النقد المنقح
التقاليد المكتوبة	----	نقد المصدر
التقاليد الشفهية	----	نقد الشكل

إن كل وثيقة من وثائق العهد الجديد لها هذه الطبقات وخصوصاً الأناجيل.

+++

الأناجيل وبولس: صور مميزة

الأناجيل

الأناجيل الأزائية

رغم أن الأناجيل ألإزائية متشابهة، فهناك بعض الاختلافات، وأدناه بعض الخواص المميزة لكل إنجيل إزائي:-

مرقس

إبدأ بقراءة الفصول الثلاثة الأولى والخمسة الأخيرة من مرقس. وكما قلنا، فمرقس أقدم إنجيل إزائي،وربما كتب بين 60-70م، يشدد مرقس على القدرة والألم فيشير إلى يسوع المتسلط على الخطيئة والسبت وعلى الفريسيين(طالع 1: 29-1،31: 40-45، 2: 1- 3،12: 1-6، 3: 20-27، 2: 10، 2: 28، 2: 1-12، 23-28).

ويسوع هو أيضاً عبد الله المتألم (الفصول 8-10). وهناك تحول في وسط الإنجيل باعتراف بطرس (8: 27-33) عندما يسأل يسوع التلاميذ عن نفسه. ورغم إعتراف بطرس، لكنه يوبخ يسوع، الذي بالمقابل يوبخه ويقول له (خلفي يا شيطان). ثم يتحدث يسوع عن الآلام الثلاثة: ألم

أبن الإنسان، ورفض أبن الإنسان، وقتل أبن الإنسان. إن قوة يسوع هي في الموت المؤلم. إن يسوع يتألم مرتين محاطاً بفشل التلاميذ من جهة (9: 30-32، 10: 32-34)، ومن جهة أخرى باعتراف قائد المائة (رمز القوة الرومانية)(15: 39): حقاً إن هذا هو أبن الله، فيؤكد مرقس أن القوة الحقيقية تكتشف في الألم الإنساني. وإن التلمذة تتم من خلال إتباع يسوع والتعبير الحياتي عن محبة وقدرة الله من خلال قبول الألم الإنساني.

متى

إبدأ بقراءة متى 5- 7. فبينما يأخذ أغلب مواده من مرقس، لكنه يركز على يسوع كموسى جديد؛ معلم الناموس الجديد. ويبدو هذا التركيز في الخطبة على الجبل (5-7). فهذا أول "احتفال " ليسوع عند متى. لاحظ التأكيد على الدافع الشخصي الداخلي: " طوبى لفقراء الروح"(5: 3)، " طوبى للجياع والعطاش إلى البر" (5: 6). وايضاً في 5: 21-22: " سمعتم أنه قيل للأولين: " لا تقتل، فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء"، أما أنا فأقول لكم: من غضب على أخيه أستوجب حكم القضاء، ومن قال لأخيه: " يا أحمق " استوجب حكم المجلس، ومن قال له: " يا جاهل " استوجب نار جهنم."، ومرة أخرى في 5: 27-28: " سمعتم أنه قيل: "لا تزن". أما أنا فأقول لكم: من نظر إلى امرأة بشهوة، زنى بها في قلبه." انها لغة قوية. بالنسبة ليسوع حسب متى؛ إن الله يحاكم لا فقط أفعال الشخص، ولكن أيضاً طباع الشخص dispositions، وقلبه.

إن التاكيد على يسوع كمعلم يمكن ملاحظته في المواضيع التعليمية الممتدة عبر فصول انجيل متى: ففي الفصل العاشر (موضوع الرسالة)، والفصل 13 (أمثلة الملكوت)،والفصل 18 (نظام الكنيسة order)، والفصول 24-25 (في قدوم نهايات الأزمنة، والدينونة).

ظاهرة أخرى في إنجيل متى، هي الصفة characterاليهودية للإنجيل، وهذا يمكن أن نراه في الفصل الأول. ففي نسب يسوع (1: 1-17)، تأكيد على النسب التاريخي ليسوع، والعائد إلى داود (الملك المثالي)، وإلى ابراهيم الذي أسس الله العهد معه، والمختوم بعلامة الختان. فالناموس اليهودي لا زال مهماً لدى متى كما هو واضح في 5: 17- 18: " لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء: ما جئت لأبطل، بل لأكمل. الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء".

لوقا

إبدأ بقراءة لوقا 4-7. يأخذ لوقا مواده من مرقس بنسبة أقل من متى. وبالحقيقة، يمتلك لوقا مواد فريدة من جهة الأناجيل الإزائية، والقصص غير الموجودة في الأناجيل، وعلى سبيل المثال: مثل السامري الصالح (10: 25 – 37)، والابن المبذر(الضال) (15: 11-32). يؤكد كل من إنجيل لوقا وأعمال الرسل على تضمين الله للمنبوذين، فيسوع حسب لوقا له خدمة خاصة تجاه جباة الضرائب (3: 12، 5: 27-7،30: 18،29: 9-19،14: 1-10)، وتجاه النساء (7: 11-36،17-50، 8: 2-3، 10: 38- 42، 13: 10-17، 15: 8- 10، 18: 1-8، 23: 27-31)، والمضروبين بالجسد (الفقراء) (4: 18، 6: 20، 7: 22، 14: 13، 16: 16 –31، 18: 22). يقد لوقا منتقداً الأغنياء، وهذا ليس موجوداً في بقية الأناجيل (6: 24-25)، 12: 16 –21، 16: 16 –31). كما لاحظنا سابقاً، فإن إنجيل لوقا يهتم بتضمين يسوع للأمميين لوعود الله وعهده (2: 32، 4: 16-47:24،30).

يميل لوقا أيضاً إلى استعراض آلام وموت يسوع، وبنفس الوقت يجلب الإنتباه أكثر نحو القيامة وظهور يسوع القائم. فعلى سبيل المثال، في قصة الآلام، يظهر لوقا هدوء

وسيطرة يسوع. وفي المشهد عند بستان جثسيماني، يصلي يسوع مرة واحدة فقط إلى الله كي يرفع عنه الكأس (22: 39-46). وفي لوقا فقط يعد يسوع اللص أنه سيكون معه اليوم في الفردوس (لو 23: 43)، وهكذا أيضاً صلاة يسوع إلى الله كي يغفر للحشد " لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (23: 34). وينفرد لوقا في تسليط الضوء على إكليل الشوك. ويسوع في لوقا لا يصرخ سائلاً الله لماذا تركه، وكذلك قصة الظهور لتلميذي عماوس (24: 13 –35)، وأخيراً في لوقا يأتي يسوع (كنبي شهيد وصالح وبرئ) بالأخبار السارة للمنبوذين.

يوحنا

نبدأ من الفصل الاول وحتى الثالث، ثم التاسع. السؤال الاول الذي يخطر على بالنا هو:ما هي العلاقة بين يوحنا والازائية؟ إن اغلب الباحثين المدرسيين يوافقون على ان يوحنا ربما لم يعلم شيئا عن الاناجيل الازائية بشكلها المكتوب. ولكن ربما يوحنا كان عارفا بالتقاليد الشفهية بخصوص يسوع، خصوصا مواد الآلام. فبسبب اختلافه عن الاناجيل الازائية.

ربما انجيل يوحنا أعاد النظر في المصدر المكتوب والمتضمن ما يدعوه يوحنا بآيات يسوع (2:11،4: 54،12: 20:30،37 – 31). وهذه العلامات هدفت الى ايجاد ايمان بهوية يسوع كمن ارسله الله (2:11، 4:54). ولكن هوية يسوع تم تحويلها من قبل انجيل يوحنا حيث يسوع ليس المسيح وابن الله فقط، ولكنه يشارك الله في الالوهية وحتى خلق الكون باعتباره كلمة الله، أي الكلمة (1: 1-5) لقد عملت هوية يسوع الخاصة بصورة واضحة جدا في الفصل الاول من انجيل يوحنا. فيسوع حسب يوحنا يمضي في توضيح هويته من خلال استخدام "انا ". وهذه "الانا" لها مغزى خاص لانها اسم الله المستخدم اشارة الى

الله نفسه في قصة موسى والعليقة المشتعلة(خر 3). وهذا الربط كان موجودا لدى مستمعي يوحنا والمسيحيين اليهود الاصل في نهاية القرن الاول.

من خلال القول " انا خبز الحياة" (6:35،48،51) او "انا نور العالم "(8: 12). او "انا الراعي الصالح" (10:11،14)،او " انا الكرمة الحقيقية" (15:1)، و يسوع عند يوحنا هو ينبوع الحياة الحقة. وفي (8:58) يقول يسوع " انا كنت قبل ابراهيم". وهو دالة على حضور الله."لا ياتي أحد الى الاب إلا بي "(14: 6)،"من يراني فقد رأى الآب " (14:9).

يأتي يسوع في انجيل يوحنا عبر الصورة العالمية الاخرى للمرسل من السماوات ليجلب الاخبار السارة بموته وقيامته. (طالع ايضا 8: 9:22،44، 16: 2).

رسائل بولس

نعود للنظر عموما في رسائل بولس،مع انتباه خاص الى الرسائل المتفق عليها. نبدأ بـ 1 تسالونيقي، فيلبي، 1 قورنثية 4 – 7، رومية 1 –4 و 9 – 11.

كان بولس رسول رسالة، فقد اسس مختلف الكنائس عبر العالم اليوناني الروماني، خصوصا اليونان (قورنثية، فيلبي، تسالونيقي) وفي اسيا الصغرى (افسس، غلاطية، وتقريبا نفس اراضي تركيا اليوم).لذا يقول قليلا بخصوص نفسه. ولكن من خلال (اقواله في غلاطية 2 يبدو انه اضطهاد المسيحين قبل ان يصبح هو مسيحيا.كان فريسيا (في 3: 5) ويقول انه اختبر كشف يسوع له (غلا 1:12 واعمال 9).لا يروي شيئا بخصوص خدمته ليسوع. وعلاوة على ذلك يركز على موت وقيامة يسوع والتي تبدو في قلب لاهوته (روم3، 1،6 قور 15).وكنتيجة لذلك فان خبرته الكشفية جعلته يعلن الانجيل.

ان فعالية رسالة بولس وجهت خصوصا الى الاممين(غلا 2: 9)، وقد نجح في تأسيس جماعات ولكن ليس بدون صراعات جسيمة دائما. نرى في الرسائل التي كتبها بولس جانباً واحداً من اهتداء بولس. يجب ان نعيد بناء حالة رسائل بولس باحسن ما نستطيع وما حصل في الجماعات التي أرسل إليها رسائله. لقد عنونت رسائله مشاكل جدية لمختلف الجماعات، خصوصا في قورنثية وغلاطية.

كي نبدأ التعامل مع رسائل بولس، من المفيد ان نكون واعين لتركيب الرسالة. ففي اتسالونيقي، التي تبين كيف يتم تركيب الرسالة. كل رسالة تبدأ بالعنوان والمرسل والمتسلم (1 تس 1:1). هذا النص يتضمن التحية ثم يأتي الى قسم الشكر لله في الرسالة (1 تس 1: 2-10) ثم يأتي جسم الرسالة (1 تس 2:1 – 5:11) حيث مركز اهتمام الرسالة، فيقدم المؤلف التوبيخ الاخلاقي لقراء الرسالة: افعل كذا، ولا تفعل كذا. ان الرسالة الاولى الى تسالونيقي (5: 12-22) مثال واضح لذلك. واخيرا في كل رسالة هناك مقطع ختامي (1 تس 5: 23 – 28).

كل رسالة تحمل عناوين لحالات مختلفة، كان بولس يريد التكلم عن هذه الاحتمالات، وتغير الحالات من خلال فهمه المتماسك لرسالة الانجيل. فالاولى الى قورنثية تعطينا نموذجا جيدا لأنواع المواضيع التي واجهها بولس في عمله مع جماعة المسيحيين الاممين. فيدعوهم الى الاتحاد بالمسيح (1 قور 1 –4) وارشادات بخصوص الامور الاخلاقية حول العلاقات الزوجية (1 قور 7)، وأكل لحم الذبائح المقدمة من قبل الوثنيين(8،10) وعطايا الروح (12-14) والتبرعات المالية (16).

كذلك ان رسالة بولس الى رومية تساعدنا في ذلك، لأنها تحوي فهم بولس الكامل لاهوتيا عن العقائد. ان بولس لم يكن قد زار رومية ولكنه كان يرجو ذلك(رومية 15:

14-33). لقد علم بولس ان مسيحيين روما ذوي الجذور اليهودية سمعوا عنه، وما سمعوا لم يكن كله حسنا. لذلك فهو يسبق تلك الاعتراضات المحتملة قبل ان يصل، لذلك يربط تلك بفهمه للإنجيل.فأساساً يبحث بولس كيف أن كل الإنسانية هي خاطئة تجاه الله. وعلى الرغم من أن الله عادل، فقد أرسل إبنه لأجل جلب العالم إلى الخلاص. لقد لخص بولس هذا الفهم (أي أهمية يسوع) في (3: 21- 26).

بالنسبة لبولس، يسوع هو تعبير عن ملء عهد الله لوعده لبني اسرائيل، حيث إن جزءاً من العهد القديم يتضمن بركة الله للأمميين، تلك التي أتى بها يسوع، والمشكلة إن أغلب اليهود لا يؤمنون بهذا. فهل ذلك يعني أن اليهود مرفوضون؟ يقول بولس في (11: 1 و 11) " أترى نبذ الله شعبه؟ حاش له! فإني أنا اسرائيلي من نسل ابراهيم وسبط بنيامين ... فأقول إذا: أتراهم عثروا ليسقطوا سقوطاً لا قيام بعده؟ معاذ الله! فإنه بزلتهم أفضى الخلاص إلى الوثنيين لإثارة الغيرة في إسرائيل."كيف يفسر بولس التناقض الوهمي (أي كون اليهود لا يؤمنون، والأمميين يؤمنون؟): " فإني لا أريد أيها الأخوة أن تجهلوا هذا السر، لئلا تعدوا أنفسكم من العقلاء: إن قساوة القلب التي أصابت قسماً من إسرائيل ستبقى إلى أن يدخل الوثنيون بكاملهم "(25).

بالنسبة لبولس، إنه جزء من السر، لكنه واثق ان الله سيشمل برحمته كل الناس (روم 11: 30-32) "فكما أنكم عصيتم الله قبلاً ونلتم الآن رحمة من جراء عصيانهم، فكذلك هم أيضاً عصوا الآن من جراء ما أوتيتم من الرحمة لينالوا هم أيضاً رحمة، لأن الله أغلق على جميع الناس في العصيان ليرحمهم جميعاً ". وفي رومية 11: 33-36، فإن بولس يرجع مرة أخرى ليؤكد على رحمة الله للجميع رغم العداوة بين الأممي وإبن إسرائيل، فالكل مخلصون من قبل الله من خلال الآخر.

الخلاصة

لقد بحثنا بإختصار في عدد من كتابات العهد الجديد، ورأينا كيف أن الكتبة يعبرون عن خبرتهم بيسوع والكنيسة الأولى التي تلقت الكتابات رغم وجود التنوع والتوتر الوضح في كل الكتابات، لأن المؤلفين يهدفون إلى توضيح خبرتهم وفهمهم لأهمية يسوع، وكيف إن هذه تتعلق بالكنيسة ورسالتها. ونؤكد على إن كل الأشكال المختلفة تظهر صوراً مختلفة ليسوع ولإيمان الكنيسة الأولى وطريقة عيشه.

الأسئلة

1. استعرض عمليات تطور قانون العهد الجديد؟
2. ما هو تاريخ التقليد الذي ينطوي تحت لوائه العهد الجديد؟ وما هي أدوات النقد المستخدمة لمختلف طبقات التقليد؟
3. اذكر صورتين لثلاثة نصوص انجيلية مع بيان التحليل اللاهوتي؟
4. ما هي الصور المركزية لفهم بولس للإنجيل؟

الفصل الرابع

الكنيسة عبر التاريخ

من منا لا يستطيع أن يجاوب عن السؤال "من أنت؟". إننا عادة نجيب من خلال إعطاء اسمنا. ولكن الجواب يقدح بأسئلة أخرى. ومع الزمن ننهي الإجابة عن جميع الأسئلة التي سؤلنا عن أنفسنا، ونكون قد أعطينا معلومات عامة عن تاريخ شخصيتنا. التأريخ هو طريقة مؤثرة جداً على الأشخاص كي يتحدثوا هويتهم.

اللاهوت هو الجهد كي نفهم ونفسر الخبرة الإيمانية للجماعة – جماعة الكنيسة الذين خبرتهم الإيمانية تمركزت على يسوع الناصري، المسيح. هذه الجماعة موجودة منذ ألفي سنة. وتاريخ الكنيسة يسرد قصة إيمان الجماعة وكيف عانى من أجل فهم وشرح خبرتهم الإيمانية. ففهم تاريخ الكنيسة هو طريقة مؤثرة للمسيحيين كي يعمقوا فهمهم لمن هم.

حتى الكنيسة الأولى بحثت في تاريخ الكنيسة كي توضح فهمها لأجل ذاتها. إن أول تأريخ للكنيسة هو أعمال الرسل. فالأعمال كتبت مع نهاية القرن الأول من قبل مسيحيين مثقفين جيداً ومن الجماعات العاملة مع الرسول بولس. لقد فكرت الجماعة المسيحية إن أصل تاريخ الكنيسة وتطوره مهم كثيراً ذلك أن الأعمال هي ضمن العهد الجديد. وإن أعمال الرسل تشرح كيف أن الكنيسة بدأت، ومن هم المسيحيون، وماذا كان عليهم أن يفعلوا.

المسيحية الأولى

استناداً إلى أعمال الرسل ظهر يسوع بعد الصلب لأتباعه الذين قال لهم سابقاً انه سيصعد إلى السماء فيبقي أتباعه في أورشليم، وعُمدوا بالروح القدس في يوم الخميس صباحاً فبشروا بأيمانهم وتبعهم ثلاثة آلاف شخص ممن أصبحوا أعضاء في جماعة أتباع يسوع.

يطلب أعمال الرسل من المسيحين أن يكونوا شهوداً للمسيح القائم، ويبشروا بالخلاص لليهود والأمم. لقد كان كاتب أعمال الرسل حذراً من مشكلة دراسة تاريخ الكنيسة.. لكي تكون الكنيسة في التاريخ يعني أن تتغير خبرتها حيث هناك تأثير للزمان والمكان والعمر والثقافة، خصوصاً أن الكنيسة امتدت جغرافياً والمنتمين إليها أدخلوا ثقافات جديدة متنوعة وطرق تفكير بلغات وفنون مختلفة.

لقد بدأت الكنيسة في اليهودية ومركزها أورشليم فرفضها الكثير من اليهود، واضطهدوا المتحدثين باليونانية فهاجروا إلى مدن مجاورة في الإمبراطورية الرومانية، ولغرض شلّ الكنيسة، قُتل القديس يعقوب، وهرب المسيحيون من أورشليم سنة 50م نحو الأردن، وسوريا، وانطاكية، وحصل عصيان ضد رومة سنة 66م، ثم على أثره تم تدمير الهيكل بعد ثورة فاشلة، ففُرزوا المسيحيين كجماعات مستقلة. ومن أجل توضيح هذا الموقف اهتمت الجماعة الأولى بالوصايا العشر، وبالكتاب العبري حسب الطبعة اليونانية ففرزوا من بين شعوب الإمبراطورية، وكانوا يحتفلون بالعبادة الإلهية. وقد انتشروا حوالي البحر الأبيض المتوسط حيث كان أغلبهم صغار الحرفيين حتى سنة 150م، وكانوا يقادون من قبل الأساقفة والشمامسة، وكانت كل جماعة تسمي نفسها كنيسة المسيح، وتتجه أبصارها نحو روما حيث أستشهد بطرس وبولس.

القانون، العقائد، المجامع، والبابوات

واجهت الكنيسة خلال القرن الثاني ثلاث أزمات تحّدت هويتها، وهي: الغنوصية والماركونية والمونتانية. فقد نجحت الكنيسة في الرد على هذه التحديات، ولكن من خلال الرد تغيرت الكنيسة كثيرا، ومع نهاية القرن الثاني اصبح للكنيسة طقس أسراري، وتمكن المؤلفون من تنظيم ما سمي أخيرا بالعهد الجديد واعدوا تركيبة أو مجمعاً للأساقفة لتهيئة قراءات راعوية بسرعة، فتوحدت الحياة المسيحية في مساحات كنسية واسعة بسرعة.

كان للغنوصية شكل شعبي يتضمن أسرار دينية حول فساد العالم الشرير بسبب الانشغال بالماديات، فبشرت بالمعرفة السرية للجنس البشري الهارب من العالم المادي والباحث عن الإله الصالح ذي الطبيعة الروحية. لقد اجابت الكنيسة على الغنوصية من خلال التاكيد الذي لا لبس فيه على إيمانها باله واحد خالق السماء والأرض، وان كل ما خلقه الله هو حسن، وان يسوع يقدم من خلاله لنا الخلاص بجسد بشري تمجّد بالقيامة والكنيسة تطمح بالتحول الشامل.

كان (مرقيون) رجل أعمال غنياً تأثر بالغنوصية، وآمن إن إله العهد القديم كان إلهاً صغيراً، وإن هناك إله شريراً خلق المادة، وان يسوع هو إله الخير الكبير، وهو إله روحي للغنوصيين.فاعتقد مرقيون إن يسوع كان روحاً كلياً كطيف لم يولد ولم يمت. رفض مرقيون الترجمة السبعينية Septuagint وبالتالي العهد القديم، وقبل المقاطع المختارة فقط من رسائل بولس ولوقا كعناوين للإيمان المسيحي. وقد أقصت كنيسة روما مرقيون سنة 144م، وجاوبته بإعادة تأكيدها على سلطة الترجمة السبعينية، واختارت من الكتابات المسيحية العديدة في تقليد الكنيسة

تلك التي أصبحت العهد الجديد. وبالضد من مرقيون بدأت الكنيسة تؤسس قانونها للآيات الكتابية المقدسة في سنة 170 من فريجية في آسيا الصغرى وتحت قيادة (مونتانوس) كحركة كشفية حثت على زهد صارم، وأعلنت قرب نهاية العالم كما أعلن الروح القدس، فانتشرت بسرعة في كل الكنائس. لقد ادينت "النبوءة الجديدة " من قبل الأساقفة الذين كي يضادوا هذه الحركة. لقد بدأوا الالتقاء كل سنة كي يهيّئوا إرشاد راعويا للكنائس المحلية. وأدان صفيرونيوس اسقف روما المونتانية في نهاية القرن الثاني. تغيرت الكنيسة دراماتيكيا خلال القرن الثاني،فكتابها المقدس حوى الآن العهد الجديد، وما علمه الكتاب المقدس كان قد جمع في عقائد انضمّت إلى الدراسات، وتهيئة مقتبلي العماذ. التقى اساقفة الكنائس المنفردة بانتظام في مجاميع الزموا الكنائس قراراتهم،حيث نبهت الكنيسة إلى ان تعليمها واضح وهو تعليم الكتاب المقدس بخصوص مسائل الحقيقة الدينية، وان الاساقفة يلتقون في مجامع يوضحون سلطة الحقيقة. ولكن الأساقفة لم يعتمدوا فقط على فهمهم للكتاب المقدس، فقد شهد القرن الثاني نشوء لاهوت في كتابات الشهيد (جوستين وهيبوليتس) في روما و(ارينأوس) في ليون و(كليمنت) في الاسكندرية

الاضطهادات والنمو

كان القرن الثالث قرن الأزمات في الإمبراطورية الرومانية. حيث انقسمت إلى أجزاء بسبب الحركات الانفصالية والحروب المدنية، واصطدمت بالفرس والقبائل الغوطية. ان تتابع الأباطرة تطلب إلزام القادة بتوحيد الإمبراطورية بكل قوتهم والتي نادرا ما دامت. لقد عاشت الكنيسة ضمن الإمبراطورية، ولكنّها انفصلت بحياتها المدنية لمدة قرنين، حيث مُنعت في كل مدينة ومركز ضمن الإمبراطورية، واشتهرت في آسيا الصغرى، ومصر،

وإيطاليا، وفرنسا، وانتشرت بسرعة في شمال افريقيا بدءاً من قلعتها قرطاجة.[7] لقد كانت الكنيسة ظاهرة اكبر من أن يمكن تجاهلها.ورآها الأباطرة كحركة منفصلة ضد ما أطلقوه من غضب في الإمبراطورية. بدأ (سبتيميوس سيفيريوس) الاضطهاد الذي افتتح به القرن. وجدده (داسيوس) سنة 250،ولكن لا شيء اختبرته الكنيسة يمكن ان يقارن مع اضطهادها الذي بدأ مع (ديوكليتيان) سنة 303، فقد أذى الكنيسة كثيراً، وفي هذه الفترة برز لاهوت (ترتليانوس وقبريانوس) اللذين كتبا باللاتينية، وكذلك (اوريجانوس) الذي كان من أعظم لاهوتيي الكنيسة. وبمواجهة الاضطهادات تشجع العديد من المسيحيين وأكدوا على اللقاءات الدينية التي طلبها الإمبراطور لأجل وحدة الإمبراطورية، وسامح الأساقفة العديد من الخاطئين الذين تصالحوا مع الكنيسة، وهكذا نشأ سر التوبة.

من التسامح إلى الكنيسة الإمبراطورية الموحدة

مع صعود قسطنطين إلى حكم الإمبراطورية سنة 312، دخل الحرب مع الفرس وانتصر بفعل راية الصليب، وبقبوله المعمودية قبل موته انتعشت المسيحية وسمح لهل بالانتشار في كل أطراف الإمبراطورية، ومنح لها امتيازات عديدة. فنظمت شؤونها بحرية وارتبط مصيرها بمصير الدولة، فحصل انسجام رائع، وأصبح الخطر الذي يهدد المسيحية يهدد الدولة والعكس بالعكس.

كانت الكنيسة خلال 300 سنة منعزلة عن العالم، والآن أصبحت في واجهة العالم. وفي القرن الرابع تعاونت مع الإمبراطورية، وساهمت في تقدم المجتمع، وصارت عقائدها مواد لقوانين الإمبراطورية ولكل من انضم إلى الإمبراطور. وهذا السياق استمر حتى المجمع الفاتيكاني

[7] في دولة تونس حاليا.

الثاني 1962 واستمرت حتى الآن، ولكن ذلك أدى إلى فقدان المصداقية المسيحية عند الأديان الأخرى آنذاك.

المجامع المسكونية الأولى(الجدالات حول المسيحانية)

قال (آريوس) في سنة 318: أن الكلمة (أي يسوع)مخلوقة، وهو أقل من الآب، وهو الوسيط في الخلق. وقد انتشرت أفكاره في مصر وشرق بحر المتوسط وخلق اضطهادات في الكنيسة وخصومات. فعقد الإمبراطور مجمع نيقية سنة 325 حيث قال: أن الإبن مساوٍ للآب في الجوهر. وقد توفي الإمبراطور سنة337. وظهر في هذين القرنين (أي الثالث والرابع) أساقفة في آسيا الصغرى (باسيليوس،وغريغوريوس النيصي، وغريغوريوس النزينزي)،حيث قدموا للكنيسة لاهوتاً عظيماً مكتوباً باليونانية. وفي سنة 381 عُقد مجمع قسطنطينية حيث أدين فيه(مقدونيوس) لأنه نكر أن الروح القدس هو الله، فانتهى المجمع بعقيدة الثالوث (الأب، الابن، الروح القدس) وقانون الإيمان الذي يستخدم إلى اليوم، وصرّح أن الروح القدس منبثق من (الأب والابن).

في سنة 428 أصبح نسطور الراهب الأنطاكي أسقفاً للقسطنطينية التي كانت محطة الجدالات اللاهوتية، فطلب منه أن يدعو مريم العذراء أم الله. فقال: أن المُشَكَّلَ في البطن ليس الله فأساء إلى أسقف إسكندرية (كيرلس) والبابا كرستين (أسقف روما). وعقد اجتماع في أفسس سنة 430 وقالوا أن مريم هي أم الله لأنها أم الله المتجسد. فعُزل نسطور وأرسل إلى المنفى.

وأيضاً أدينت (البيلاجية) التي رفضت تعاليم الكنيسة التي تنص: أن هناك خطيئة أصلية وأن الجنس البشري يحتاج إلى النعمة الإلهية كي يخلص. وأشير بوضوح إلى تجسد الابن، وأن يسوع هو ابن الله بالتجسد

وهو مساو للإنسان في الجوهر، أي إنه إنسان كامل (عبرانيين 4: 15).

أما (اوطيخا) فقد حارب الطبيعتين الإلهية والإنسانية في المسيح، ورفض إنسانية يسوع الكاملة وقال انه ليس للكلمة طبيعة إنسانية ولكنها (أي الطبيعة الانسانية) قد اندثرت في الألوهية. ولكن الإمبراطور والأساقفة أدانوا اوطيخا، وعقد مجمع سنة 449 في أفسس (مجمع اللصوص)، حيث أيد المجمع اوطيخا. فرفض البابا وعقد الإمبراطور مجمعاً آخر سنة 450 وهو مجمع خلقيدونية وعقد أيضاً في سنة 451 وقال: أن يسوع هو واحد فيه الألوهية الكاملة والإنسانية الكاملة وهناك اتحاد أقنومي (الإنساني، الإلهي) ضد اوطيخا. وان الطبيعتين في المسيح، أي الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية غير منقسمتين وغير مفصولتين ضد نسطور. وقال أن الإله يسوع هو معنا.

كان مسيحيو الفرس خارج الإمبراطورية الرومانية، فساندوا نسطور وصاروا كنيسة مستقلة منفصلة فحملوا فهم نسطور إلى الجزيرة العربية وهند وتركستان، بينما مصر والشرق الأوسط كانا مع الاتجاه الأول. واستمر الحال لمدة 200 سنة. وفي سنة 553 عقد جستيان مجمعاً لإدانة ثلاثة لاهوتيين (ثيودورس النصيصي، ثيودورس كيروس، أيباس(هيبا) الأديسي). وفي سنة 610-641 طلب الإمبراطور هيروقلس (هرقل) من أسقف قسطنطينية أن يناقش مسألة (المونوفيزية – الطبيعة الواحدة) وبيان الرأي في مسألة الإرادة الواحدة في المسيح. وكانت الحاجة تزداد أهمية بسبب بروز الجيش الإسلامي الذي فتح دمشق سنة 638، ثم إنطاكية، وأورشليم سنة 638 ومصر 641. فقال مجمع القسطنطينية الثالث ان هناك إرادتين طبيعيتين في المسيح لا تقاطع الواحدة الأخرى، ومع هذا المجمع توقفت الجدالات المسيحانية. وقد اجتمع الأساقفة في مجمع نيقية

عام 787 لمعالجة مشكلة الأيقونات، حيث كانت قد انتشرت في الكنائس أيقونات (الله، ويسوع، ومريم، والقديسين) وقد أيد مجمع نيقية الثاني أكرام الأيقونات.

إذن المجامع السبعة الأولى في تاريخ الكنيسة، هي مجامع مسكونية، ومع نهاية القرن الثامن في المنطقة أصبح شمال أفريقيا والشرق الأوسط إسلامياً فكان على الكنيسة أن ترى ثقافة جديدة في الإمبراطورية الرومانية.

تطور البابوية

خلال القرن الرابع اصطدمت الكنيسة بمشكلة الأريوسية، والاوطيخية، والمونوفيزية. فالمونوفيزية تقول:هناك طبيعة واحدة في المسيح، وهي طبيعة الكلمة، لا الإنسانية. أما الإنسانية فلها طبيعة واقعية وجودية نتيجة تدبير الله. وهكذا حتى عبّرت الكنيسة عن الإيمان المستقيم في المجمع الفاتيكاني الأول 1870.

نلاحظ تطور البابوية حيث كانت سابقاً (في القرون الستة الاولى) مستقلة عن الإمبراطورية، أما فيما بعد فقد تزامنت الحياة الدينية مع الحياة الاجتماعية في بناء حضارة أوربا الغربية، حيث كانت اللغة اللاتينية قد بدأت تحل محل اليونانية في القرن الثالث في غرب أوروبا، وظهر في هذا الوقت (ترتليانوس و قبريانوس وفي القرن الرابع هيرونيموس +420 الذي نقل الكتاب المقدس إلى اللاتينية و(الفولكاتة) و أمبروسيوس+397 والقديس اوغسطينوس+430 الذي له الاعترافات المشهورة ومدينة الله وكتابات في الثالوث .....الخ.وأخيراً الباباوات الذين هيّأوا المجامع.

ويجدر بالذكر (الغوطيون) وهم أقوام هاجروا من شمال أوروبا وهجموا على الإمبراطورية في القرن الرابع وساروا مع نهر الدانوب و الراين. أما البرابرة الجرمانيون فقد هجموا على الإمبراطورية في فترة ما بين القرنين (5-

6). لقد أحست الكنيسة أن عليها أن تتجه نحو تثقيف الناس ونشر العدالة والتوجه نحو الفقراء. ومن بين الباباوات نذكر البابا غريغوريوس الأول (450 رومة) حيث كان راهباً بندكتينياً، فشجع الرهبنة، وفي عام 590 أرسل البابا رهباناً لنشر الإنجيل في المناطق التي لم تصل إليها البشارة، وادخل الليتورجيا الرومانية اللاتينية معها،وتم بناء الكنائس حسب طراز روما، وتفهم حال الشعوب الجرمانية. وحتى القرن الرابع كان للباباوات دور في تتبع الملوك وامتلاك الأراضي الزراعية والمقاطعات الواسعة.

ومع نهاية القرن التاسع، هجم البيلاجيون (الاسكندنافيون) من البحر،وضربوا سواحل يوغسلافيا وإيطاليا وفرنسا، كما ضربوا الأطراف الإسلامية المسيطرة على شواطئ البحر المتوسط فانقسمت المملكة الكارولينية بين ورثتها، فلم يستطيعوا الدفاع عن أوروبا. – لقد أصبح تأثير البابوية في هذه الفترة ضعيفاً جداً قياساً إلى عمر المسيحية - . أما في القرن الثاني عشر اكتسبت الكنيسة استقلاليتها من القادة العلمانيين،وحصل هذا بسبب حركتين منفصلتين عملتا منذ القرن العاشر:1- السكسونية سنة 973 2- دور دير كلوني[8] 910، حيث بنت الجماعة البندكتينية تحت إشراف البابا، دير كلوني الذي أخرج مئات الرهبان في أوروبا، فعملوا من أجل استقلال الكنيسة من سيطرة العلمانيين، وسميت هذه الفترة (الإصلاح الغريغوري).

ولا ننسى هنا الإمبراطورية الرومانية في قسطنطينية، حيث كانت الكنائس تتحدث بلاهوتها وليتورجيتها باليونانية، وهذا أدى إلى انفصال كنيسة رومة عن قسطنطينية سنة 1045، حيث حرّم البابا كنيسة قسطنطينية. وقد استمر هذا التحريم حتى عام 2000 حيث

[8] فتح دير كلوني سنة 910 للجماعة البندكتية تحت إشراف البابا حيث بدأ هذا الدير يبعث الرهبان إلى أنحاء أوروبا ليثقفوا الناس وذلك بسبب ما تعرضت له أوربا من هجمات متتالية أثرت سلبياً على المجتمع الأوروبي.

زار البابا (يوحنا بولس الثاني) اليونان، وقدم اعتذاره في الكنيسة أمام الرؤساء والشعب اليوناني الحاضر.

الكنيسة الغربية في العصور الوسطى (1100 – 1350)

لقد اختبرت الكنيسة فترة من ازدهار الحضارة في وقت الإمبراطورية الرومانية، فصارت الكنيسة الآن في مركز حيوي من الثقافة، حيث استمرت في تربية الناس على الوحدة والبناء المسيحي، وأرسلت الإرساليات إلى (بروسيا) والدول الاسكندنافية، وعانت من الحملات العسكرية نحو الشرق (الأرض المقدسة)،وشّرعت الرهبنات مثل: الدومنيكية، والفرنسيسكانية، والأسيزية التي لعبت دوراً مهماً في الحياة المسيحية، وبُنيت مدن جديدة، ومراكز تجارية جديدة، ومصانع صغيرة. وهكذا صارت المدن مراكز لخدمات جديدة، وبرز بناء الكاتدرائيات، وإنشاء المدارس لتعليم الصغار، ودراسة اللغة اللاتينية، والموسيقى، والفنون الحرة (النحت والرسم).

الجامعات والمدارس

لقد انتشر المعلمون المتجولون أمثال القديس البرت +1142 (وهو معلم القديس توما الاكويني)، وأنشئت جامعات في باريس، واوكسفورد، وبولونيا، وساليرنو، ومونت بولي لدراسة اللاهوت والقانون والطب، فطرحت أسئلة جديدة بخصوص التقليد المسيحي. فكانت الأجوبة تعتمد على الجانب المنطقي من أجل توحيد المفاهيم، فظهر القديس توما الأكويني +1274[9]، الذي بحث استناداً إلى منطق أرسطو. والقديس بونافنتور +1274، الذي تابع

[9] الأكويني: استنادا إلى أرسطو تمكن من اكتشاف العلاقة بين الكائنات، وقال أن لكل مشكلة بعد جوهري، والكل مرتبط بالله، والفلسفة خادمة للسر الإلهي، وعلينا تقريب العقل مع الإيمان.

أفكار القديس أوغسطين ولكن من خلال المنطق أيضاً، وجون سكوت +1308، الذي ترك أعمالاً كثيرة تشكل نظامه اللاهوتي، إذن هذه الطرق هي طرق مدرسية تعتمد على المنطق والنظام. وهكذا تشكلت لدينا اعظم ثلاث مدارس لاهوتية اهتمت بالعقل الإنساني، وكان آخر الذين اهتموا بهذا اللاهوت (دانتي +1321 صاحب الكوميديا الإلهية).

العصور الوسطى

سيطرت خمسة عوامل على شروحات الكنيسة من سنة (1350 – 1517) حيث ظهر لاهوت جديد بديل للمدرسية بعد أن انتشر الموت الأسود (الوباء) فحصل اهتمام بتنوير الإمبراطورية الرومانية الوثنية، باستخدام المؤثرات الفنية والثقافية، فكان اللاهوت الجديد (لسكوتس الميتافيزيقي) الذي ادعى أن الميتافيزيقيا تبرهن وجود الكيان اللامتناهي لا الله اللامسيحاني، فاعتبر المسيح صاحب المعجزات وأن الله كائن مطلق القدرة فريد، ذات إرادة خارقة، يستطيع أن يصنع أي شيء، وهي تخرق عقله، وحتى في البشر فإن الإرادة أعظم من العقل، لأن الحب هو في الإرادة، وأن الحب عظيم في الله أكثر من معرفته. فان الخلاص يعتمد على قبول الله الحر للشخص لا على نوعية النفس، وهكذا لم يوافق توما الأكويني أتباع وليم +1349 -كان من أتباع سكوت وغابريل +1495- اللذين قالا:أن الله صنع الخلاص رغم طبيعة البشر غير المحبة، فيعطي النعمة الشخص رغم كونه لم يتوافق مع الله أخلاقياً وفي الأعمال الصالحة. لقد خلق هذا اللاهوت قلقاً لدى الناس في وقت الموت الأسود، حيث برز في هذا المجال أيكهارد +1328، تولارد +1361، سوسو +1360.

الغرب العظيم

أصبحت البابوية في القرن الرابع عشر، تحت سيطرة فرنسا إلى درجة انه لم يبق للبابا من سلطة، فهاجر إلى خارج روما. قامت القديسة كاترينا السيانية +1380،والقديسة بريجيت السويدية +1387،بحث البابا غريغور للرجوع إلى روما سنة 1377. وانقسمت أمم أوروبا بين الموالية للبابا، والموالية للملك (الإمبراطور الفرنسي)، فصارت الحالة سيئة حتى مجمع (بيسا 1409)، حيث كانت البابوية في حالة من الضعف. وفي القرن15 ظهر لاهوتي قانوني (ديترش)، اهتم بالإمبراطورية الرومانية المقدسة كما دعاها الإمبراطور الروماني وقال: إن على الكنيسة أن توافق على قرارات المجمع، فالتأم المجمع سنة 1414 وأكد على السلطة الكنسية باشتراك كل من الإمبراطور والباباوات.

عصر النهضة

كانت النهضة حركة معقدة بسبب المواضيع الفلسفية والفنية والثقافية التي أهتم بها الغرب الأوروبي، فانتشرت الحركة بصورة بطيئة في كل القارة، فقد وصلت إلى إنكلترا في القرن 16، وبلاد الاسكندنافيين فيما بعد، وكان كاتبهم المسيحي المفضل اوغسطين، كما اهتموا بكتابات آباء الكنيسة، واعتبروا اللاهوت المدرسي جافاً. ومن بين هؤلاء نيقولا 1464، رودولف 1485، كولراد 1508، روخلين 1522، أيراسموس 1536.

الإصلاح والمجمع التريدنتيني

لقد كان الإصلاح حركة دينية في الكنيسة في القرن 16 تدعو إلى التبشير بالإنجيل لأجل تجديد الحياة المسيحية، وتبسيط الممارسات الدينية في ضوء محبة

الكتاب المقدس، والعبادة طبقاً إلى كتابات القديس اوغسطينوس. فظهر تعليم بيلاجيوس (الذي أدانه مجمع أفسس في 431) وتبشير وكتابات لوثر 1546 وكلفن[10] 1564. وهؤلاء بشروا من خلال العهد الجديد؛ وإدعوا أن قبول الأب بيسوع هو خلاصنا ولسنا مُخَلَّصين بأعمالنا الصالحة، ولكن بالإيمان أن يسوع هو عطية الله لنا، وأنَّ الأسرار لا تسبب النعمة لكن قبول الله هو نعمة لنا. لكن جون كلفن اختلف مع لوثر بخصوص الخلاص الأبدي، حيث قال كلفن ان الروح القدس خلق الندامة والإيمان في المؤمن، وأن الإيمان يتأسس بواسطة الاتحاد الحيوي بين المؤمن والمسيح.

في سنة 1517 كتب لوثر[11] 95 احتجاجاً، أدانتها السلطة الكنسية، فأصبح لوثر بطلاً بعد انتشاره في شمال أوروبا بسبب مضايقته من قبل البابا، ثم اتبعت ألمانيا مذهب لوثر من خلال طقوس العبادة بدلاً من الليتورجية الكنسية الرسمية. ومن ذلك اليوم أطلق عليهم لقب (البروتستانت).وأخيراً وافق البابا بولس الثالث على عقد مجمع في إيطاليا، ولكن لم يعقد المجمع بسبب الحرب بين ألمانيا و فرنسا، فانتشرت البروتستانتية في سويسرا و فرنسا، وبدأ كلفن بقراءة جيدة لكتابات لوثر، وذلك لحاجة المناطق الجديدة للتعليم. وانتشرت البروتستانتية ببطء في البلدان المنخفضة (هولندا وبلجيكا).

وقد عقد مجمع التريدنتيني سنة 1545 لمناقشة الأمور وأبرزها إدانة البروتستانتية، ووّضح المجمع، أن المعمذ يحصل النعمة الأبدية بواسطة الأب في يسوع من خلال الروح القدس، وبين أن أسرار الكنيسة تشير إلى

---

[10] قام كلفن بتنظيم الطقس البروتستانتي، رتب لكلام الله، ترتيل المزامير، أزال التماثيل من الكنائس، أكد على التعليم المسيحي والحشمة.

[11] اكد لوثر على الإرادة والعدالة الإلهية، لا على النعمة، وإن الإنسان خاطئ، والعلم فاسد، والبار بالإيمان يحيا، والخلاص ليس بالأعمال الصالحة (المترجم)

تحوّل المسيحيين إلى المسيح، ودوره في خطة الله الخلاصية لكل الجنس البشري. وجدد التريدنتيني الليتورجية وحياة أسرار الكنيسة.

وقد ظهرت إلى الوجود الرهبنة اليسوعية التي أسسها القديس أغناطيوس دي لايولا (1491- 1556)، ورهبنة الكرمليين[12] الذين جددتهم القديسة تريزا الأفيلية1515-1582، ويوحنا الصليبي1542 -1591، حيث اهتم هؤلاء بالحياة الروحية، والرسالات إلى العالم الجديد الذي أهتم به البرتغاليون، والاسبانيون، والفرنسيون.

وهكذا، وخلال قرن حملت الكنيسة الإيمان إلى شمال الإمبراطورية، وأفريقيا، والهند، والفليبين، واليابان، والصين كأعظم انتشار رسولي في تاريخ الكنيسة.

المجمع الفاتيكاني الأول والثاني

لقد واجه المجمع التريدنتيني مشكلتين لم تحل، إذ كانت تدور حول:

1- ان البروتستانتية غير متوافقة مع تعليم الكنيسة فماذا ستفعل السلطة المدنية بهم؟

2- ما هي علاقة الأساقفة مع أسقف روما؟ لقد طلب المجمع منهم الولاء للكنيسة ولكن أساقفة فرنسا قاوموا هذا الشيء. وبعد قرن من المجمع التريدنتيني اختبر شمال أوروبا رعب الحرب الدينية، والهجرة. ثم ظهرت الثورة الصناعية، وانتشرت المصانع، والتكنولوجيا، وحصل تحول في الإهتمام من اللاهوت إلى العلم، حيث كان كوبرنيكوس + 1543 قد سبق وأن قال: إنّ الأرض كروية وتدور حول الشمس. ثم فظهر غاليلو سنة 1624،ونيوتن

[12] **الكرمليون: نساك في الأراضي المقدسة لجأوا إلى قبرص في القرن 13، أصبحت رهبنة فيما بعد،وترتبط روحياً بالنبي أيليا.**

1747،وديكارت 1650،ولوك 1704،وأصبحت الثقافة الأوروبية علمانية.

الكاليكانية

هي كنيسة فرنسية بشرت بالتحرر، وقالت أن البابا عندما يعلم حقيقة الدين الكنسي ليس معصوماً. وفي هذه الفترة برز (فولتير 1778) الذي عمل لأجل تنوير المجتمع والكنيسة!، وكانت قد نمت في ذلك الوقت بذور للثورة الفرنسية سنة 1789،رافعة شعار: الحرية والاخاء والمساواة.

المجمع الفاتيكاني الأول

أراد نابليون السيطرة على أوروبا سنة 1815 ولكنه فشل، ونتيجة لذلك عمّقت الكنيسة من عباداتها الدينية وولائها للبابا. وفي سنة 1870 عقد البابا (بيوس التاسع) مجمعاً لينـاقش حال الكنيسة، ومبادرات المجمع التريدنتيني، و المشكلة مع الكنيسة الكاليكانية في فرنسا سنة 1682، وأولوية كنيسة روما بالنسبة للكنائس والأساقفة، وأولوية البابا بالنسبة للأساقفة. وأعلن المجمع أن الكنيسة معصومة، وأن البابا يمارس تلك العصمة عندما يعلم الحقائق الدينية، كما أعلن دستوراً في الإيمان، وأدان الحلولية، والمادية، والعقلية. ولكن المجمع لم يكتمل بسبب اندلاع الحرب بين فرنسا وألمانيا، وقد حمت فرنسا رومة من قوة (فكتور عمانويل) الذي أراد توحيد إيطاليا. فتوضح لدى البابا أن سلطته خلال 1100 سنة الماضية قاربت النهاية، ولكن هذا القرار أدى إلى زيادة هيبة البابا لدى الكنائس، فعاد البابا يقود الكنيسة من خلال رومة. وفي سنة 1959 نادى البابا يوحنا الثالث والعشرون من أجل عقد المجمع الفاتيكاني الثاني، وعقد سنة 1962.

القرن العشرون

بعد تسعين سنة من انتهاء المجمع الأول، قاست أوروبا تغييرات كثيرة (الحربين العالميتين، تأسيس الدول، الثورة الروسية 1917 (الشيوعية)، وانتشار الماركسية في أوروبا الشرقية وآسيا، واضطهاد الشيوعيين للكنيسة ولكل الأديان. ولكن الكنيسة عظمت في أوروبا أكثر فأكثر. واختبرت تلك التغيرات في 1959حيث كان الحضور في الكنائس لا يتجاوز 20%. ولكن الكنيسة نمت في شمال وجنوب أمريكا، وفي استراليا وأفريقيا وآسيا والهند. واليوم أكثر من نصف المسيحيين يعيشون في العالم الثالث، وصارت الثقافة الكنسية الأوروبية غريبة. واليوم أغلب أعضاء الكنيسة يعيشون في الأقطار التي انتشرت فيها الأديان.

المجمع الفاتيكاني الثاني

لقد أدرك البابا يوحنا الثالث والعشرون أن الكنيسة بحاجة إلى تأوين (أي جعل الحقيقة الدينية حية اليوم) فأراد المجمع الفاتيكاني الثاني من الكنيسة أن تواجه الواقع، وتوفي البابا أثناء المجمع ولكن البابا بولس السادس أوصل المجمع إلى ختام ناجح. إنّ المجمع الفاتيكاني الثاني لم يعبر عن نفسه من خلال لغة قانونية، ولكن كانت وثائقه مقالات وكأنها ملتقطة من الكتاب المقدس لأجل أن ترسل إلى كل شخص مثقف لا إلى أعضاء الكنيسة فقط. فكتبت 17 مقالة تعبر عن الكنيسة التي تحاول أن تعمل وسط تغيرات العالم مشجعة الحوار بين الكنائس المنفصلة عن روما والحرية في التعبير الديني، والحوار مع اليهودية والأديان الأخرى والدفاع عن كرامة العائلة.
وتعتبر (3) وثائق مهمة بصورة خاصة، وهي:
1- الليتورجية الكنسية (الطقوس، القداس، المعمودية .....)

2- الوحي الإلهي الذي تحدث عن خبرة شعب الله وإرادة الله، وكيف إن آيات الكتاب المقدس تحتوي على الوحي الذي يجب أن يبحث بطرق معاصرة عبر التفسير الكتابي، فالكتاب حقاً هو كلمة الله، ولكن من خلال لغة إنسانية.

3- في الكنيسة: كل ما رسمه (الفاتيكاني الأول) فكل الأساقفة يكونون كلية لقيادة الكنيسة (أي الشعب الخارج باتجاه الله) وخدمة العائلة الإنسانية.

الأسئلة

1- ما هي المشكلة التي يبحثها تأريخ الدراسات الكنسية؟ ولماذا تهمنا اليوم هذه المشكلة؟
2- ما هي تأثيرات (ثيودوسيوس) بجعل الكنيسة لها الحق دون غيرها كي تكون الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية؟
3- ما سبب الانقسامات بين كنيسة روما والقسطنطينية سنة 1054؟
4- ماذا نقصد بالاصلاح وما تأثيره على الكنيسة والثقافة الأوربية؟
5- كيف ساعد المجمع الفاتيكاني الأول، والثاني، المسيحيين في تعميق فهمهم للمشكلة التي تمركزت عليها الكنيسة؟

الفصل الخامس

الإيمان المسيحي، نظرة معاصرة

هناك اقترابان لتحديد واقعة إيمان المسيحي ضمن التقليد الكاثوليكي. الأول هو انموذج عقلي محدد، الإيمان بقبول الإعلان الإلهي للحقيقة والمتضمن في تعليم الكنيسة الكاثوليكية. والاقتراب الثاني هو نموذج شخصي يشرح الإيمان كالتزام شخصي لمحبة الله المعلنة في يسوع المسيح، ويعبر عن الإيمان من خلال فعل الإيمان.

إنما ما يميز النموذج الأول عن النموذج الثاني هو ما يشرح محتوى الإيمان وفعل الإيمان، أن الأول هو تأكيد على الإعلان الإلهي للحقائق، بينما الثاني هو شرح لهذه الحقائق. وبهذا الاقتراب من الإيمان يتم قبول قدر كبير من المعرفة الإلهية، وهو أيضاً شرح العلاقة الشخصية مع الله بمحبة يسوع المسيح ويقودنا هذا الإيمان إلى خبرة تحول الشخصية مع محبة الله الغير المشروطة.

هناك اختلاف بين المجمع الفاتيكاني الأول والثاني، حيث الأول حدد الإيمان استناداً إلى النموذج العقلي، بينما الثاني أدخل الفهم الشخصي لإيمان اللاهوتيين الكاثوليكيين المعاصرين الذين تعاملوا مع الفاتيكاني الثاني، وبقي هذا الاتجاه. واستجابة لهذا التحدي نقول أن الإيمان الكاثوليكي هو قبول شخصي كلي، والتزام بمحبة الله الشخصية المعلنة في شخص يسوع المسيح في الكنيسة كجماعة المؤمنين. إنّ شرح عناصر هذا التحديد بدأ بتحليل محتويات هذا الإيمان وتركيبته الرئيسية باختيار ما يتضمنه فعل الإيمان أي استجابة الشخص الحرة من خلال نعمة التحول الخلاق، الإيمان والشركة، مراحل الإيمان. هذا الإيمان هو من رؤية كاثوليكية. وهناك أنواع من المسيحيين (المعمذانيون،

كنيسة المسيح، اللوثريون، الميثوديون، المشيخيون، الأنكليكان.....الخ.

محتوى الإيمان

سنتحدث عن فعل الإيمان في المؤمن وكيف انه يتميز عن واقع الإيمان الخارجي الآتي من الشخص من خلال أربع نقاط 1- الوحي. 2- يسوع المسيح.3- الكنيسة. 4- رموز الإيمان.

الوحي Revelation

الإيمان هو استجابة لوحي الله. انه ليس استنتاجاً إنسانياً (الدين هو استنتاج إنساني) وليس خلاصة منطقية. إنّ الاستجابة للإيمان ليس عملاً شخصياً إنسانياً (بشرياً)، ولكنه نتيجة الالتقاء القريب مع عمل الله، حيث توجد وحدة بين الوحي والإيمان. ولا يستطيع الإنسان فهم حقيقة الإيمان بدون فهم شيء عن طبيعة الوحي. الوحي: هو تسامي المحبة المطلقة (حب بلا شروط) وهي محبة جامعة لكل الرجال والنساء في كل العصور من كل جنسياتهم وأصولهم وأديانهم.

بالنسبة للمؤمن يقترح اللاهوتي البروتستانتي (بول تيليخ) "إنّ وحي الله هو خبرة قبول ما هو غير مقبول" وأن الله يحب الإنسان حتى لو لم يقبله كي يختبر محبة الله، اقرأ (هوشع 1-14)، ومثل الابن الضال (لوقا 15). تشرح وثيقة المجمع الفاتيكاني الثاني (الوحي الإلهي) الوحي كعلاقة شخصية بالله، حيث هناك أربعة شروحات له. الوحي هو: وحي بالثالوث، ووحي شخصي، ووحي تاريخي، ووحي مسيحاني. ففي الثالوث يتأكد سر الله الواحد والثلاثة ومن جهة أخرى هو عيش حياة المحبة الديناميكية الداخلية كما هي بين الأب والابن والروح القدس.

لقد سر الله بجودته وحكمته أن يكشف ذاته من خلال المسيح الكلمة بالجسد، وبالروح القدس للإنسان، كي يشارك الطبيعة الإلهية، وتقول الوثيقة: أن الله وحده هو موضوع الإيمان، وليس موضوع الإيمان الكنيسة أو آيات الكتاب المقدس، أو أسرار الليتورجية أو العقائد. فإن المهم هو خبرة الإيمان، حيث الله هو الهدف (اقرأ الوحي الإلهي2).

إنّ الهدف الأولي لعلاقة الشخصية مع الله، ليس الطاعة أو الموافقة العقلية، ولكن إتاحة المجال للجنس البشري كي يدخل في علاقة شركة إنسانية. الوحي هو تاريخي، لأنه من خلال عمل الله الخلاصي في التأريخ من خلال إبراهيم وموسى والأنبياء ويصل ملؤُه في يسوع المسيح الذي هو ملء الوحي. فيتضح لنا أن الوحي هو مسيحاني لأن مركزه يسوع المسيح.

يسوع المسيح

إنّه وحي الله الذي يكتمل ملؤه في يسوع المسيح، لذلك فالإيمان الكاثوليكي أساساً هو فهم يسوع صاحب الدور المركزي في الإيمان، وعندما يطرح سؤال من هو يسوع المسيح، فإننا نقصد المسيحانية.

هناك مسيحانية معاصرة منها: من هو يسوع المسيح؟ لماذا جاء يسوع؟ يسوع هو المهم ليس لأنه قال لنا شيئاً عن الله والإنسان والعالم، ولكن لأنه صالح الله مع الجنس البشري. في يسوع تتجلى خبرة الشخص مع الله، ولأجل تكامل الشخص. وهكذا إنّ المسيحية المعاصرة تقول إنَّ الطريق إلى خلاص العالم يأتي بالمسيح، لذلك فالمسيحانية تتجذر في التقليد المسيحي، وهذا يقودنا إلى المظهر الثاني من المسيحانية المعاصرة، أي التاريخية، ونقصد أعمال يسوع التاريخي. إنّ يسوع ليس شخصاً تاريخياً لموضوع الإيمان، ولكنه حياة وموت وقيامة

التاريخ. ان حدث المسيح (حياة، موت، قيامة يسوع) هي الموضوع المركزي للإيمان، والتبشير بيسوع المخلّص التاريخي وفق التعابير المكتوبة في كتب العهد الجديد. فلقد اعتمد العهد الجديد الإيمان بيسوع ومعنى الخلاص، فهو الرب، والمسيح، والعبد المتألم، وابن الإنسان، والنبي، والكاهن الأعظم، وابن الله،وكلمة الله الأزلية.

أخيراً طرح التساؤل حول من "هو يسوع المسيح" بأشكال فلسفية كالجوهر والطبيعة لأجل التعبير عن مسيحانية العهد الجديد بلغة حديثة للناس عبر مراحل التاريخ فعقد مجمع نيقية، ومجمع خلقيدونية. وكجواب لمخالفة (آريوس) فإن مجمع نيقية أكد على ألوهية المسيح؛ ومجمع خلقيدونية عقّب على التطورات بعد نيقية، وأكد على طبيعتين ليسوع (طبيعة إلهية وطبيعة إنسانية)؛ فيسوع هو حقاً الله وحقاً هو إنسان. لقد صارت الجمل أعلاه التعبير المسيحاني الكلاسيكي للإيمان بيسوع، واستمرت المعالجات حتى اليوم. إن كل المستقبل يعتمد على هذا التعبير، رغم ان اللاهوتيين اليوم لا يعيدون هذه الجمل، ولكن يعيدون الجمل المسيحانية للعهد الجديد. ولأجل أن يبقى الإيمان حياً يجب أن نعبر عنه بلغة اليوم، وأن نؤكد على المحبة. إنّ الحقيقة الأساسية لحدث المسيح تدوم في كل العصور، ويمكن للتعبير أن يتغير، فالمسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبدً،ولكن معنى الخلاص سيتغير من جيل إلى جيل، ومن ثقافة إلى ثقافة.

المسيحانية اليوم تميل إلى التأكيد على إنسانية المسيح، والمسيح القائم هو مصدر الخلاص للتعبير عن ألوهية الشخصية المؤكدة على المحبة. فإن على المؤمن أن يعترف بإنسانية يسوع، لذلك فإن لاهوت التحرير اليوم يهتم بيسوع الإنساني وحياته على الأرض. يسوع المشترك مع الناس، وفدى حياته بسبب حبه للفقراء، لذا فالمسيحانية اليوم هي التعلق بالآخرين، وليست فقط عطاءً روحياً.

ويؤكد لاهوت التحرير على أن عمل يسوع هو في كل جوانب الإنسان، حيث كل الرموز مهمة هنا، لأن التأكيد على إنسانية يسوع لا يعني نكران ألوهيَّته، لذلك فإن إنسانية يسوع هي الإيمان بألوهيته.

الكنيسة

بواسطة الكنيسة نعرف يسوع المسيح، ونؤمن أن الرفقة تتم من خلال جماعة الإيمان في الكنيسة. والإيمان الكاثوليكي لا يجعل المؤمن ويسوع واحدا بجانب الآخر، فالكنيسة في أصلها هي جماعات معمدة باسم يسوع والقادمون معاً للاحتفال وكسر الخبز. الكنيسة: كلمة يونانية تعني المدعوين للخروج. فمن خلال المجمع الفاتيكاني الثاني، ووفق اللاهوت الكاثوليكي المعاصر. تعرّف الكنيسة بتعابير شخصية، فهي جسد المسيح، وشعب الله، الكنيسة هي جماعة المؤمنين الأولى المتحدين بيسوع المسيح. وإن البابا والأساقفة لهم السلطة في الكنيسة الكاثوليكية. لقد ناقش ذلك المجمع الفاتيكاني الأول باعتباره المؤسسة كعنصر سلطوي في الكنيسة، وأن البابا والأساقفة معاً يقودون الكنيسة الجامعة وليس البابا وحده، وعلى الكنيسة أن تحافظ على الأسرار، والوظائف، وتعليم الخلاص، ومساعدة المؤمنين، وإتباع يسوع المسيح والله المعلن فيه. الكاثوليكي لا يؤمن بالكنيسة وبالبابا بنفس الطريقة التي يؤمن بالله وبيسوع المسيح، لذلك هناك بعض الضبابية في الإيمان الكاثوليكي وفي الكنيسة. ويكون أدق لو قلنا أن الإيمان الكاثوليكي يقصد به يسوع المسيح الحاضر في الكنيسة، وأن الكنيسة تقدم المسيح إلى الناس في عالم اليوم، لذلك على الكنيسة أن تختبر محبة الله المعلنة في يسوع المسيح.

رموز الإيمانSymbols of Faith

تعبر الرموز عن محبة الله من خلال يسوع المسيح، وهذه المحبة تلتقي وتختبر من خلال الرموز. إنّ رموز الإيمان هي التعبير عن الإيمان، وبعض هذه الرموز هي:(آيات الكتاب المقدس، وخبرة الرسل، وعقائد الكنيسة). استخدمت كلمة الرمز بمعاني متعددة لأجل جعل وحي الله في يسوع المسيح واقعياً. الإيمان والأسرار، والليتورجيا، والعقائد، والقوانين، والأخلاقيات، وشهادة القديسين، وحياة المسيحيين هي كلها رموز واسعة المفاهيم. وبما أن تعبير الإيمان (رموز الإيمان) هي ملفتة للنظر لدى البعض، وفي نفس الوقت هي مربكة لبعض الطلاب، لذا علينا أن نرجع إلى نماذج فكرية لإلقاء النظرة على محتوى الإيمان. الهدف منها هو لتأكيد الحقائق إذا كان الإيمان يجمعنا مع محبة شخص الله التي تفسر محتوى الإيمان الأولي. لذا فالرموز تفسر لنا التعابير الأساسية للإيمان. يشرح الفلاسفة واللاهوتيون اليوم لغة الإيمان كلغة رمزية تعبر عن فكرة الوحي كرموز واضحة في القرن العشرين. لذلك فإن التأكيد على يسوع المسيح يتم من خلال الرموز، فالرمز هو علاقة خارجية تعمل في الضمير الإنساني كي توضح له الالوهية، لذلك فإن لغة الإيمان هي لغة الرموز ليس للتعبير عن الإيمان فقط وكأن ليس له أساس من الحقيقة، بل تشارك رموز الإيمان في الحقيقة المعلنة المعاشة، وبنفس الوقت لا يمكن تحديد هوية رموز الإيمان قياساً إليها، لأن الحقيقة الإلهية لا متناهية وغير محدودة، ولذلك فان أي رمز يكون قاصراً عن التعبير كلياً عن حقائق الإيمان، في حين أن رموز الإيمان هي حقيقة لكنها محدودة. واستنادا إلى هذا الفهم فالرموز ليست ضعيفة وليست طرقاً شخصية لفهم الإيمان، وبالمقابل فإن قوة تأثيرها في المؤمن تكون بتماس مع موضوع حقائق الإيمان بعمانوئيل لأجل مقدرة المؤمن للتعبير عن هذه

الحقيقة الإيمانية بطريقة شخصية. إن اللاهوت يتحدث عبر مجموعة من الرموز، وهدفها التعبير عن سر الإيمان. ونشاهد في العهد الجديد التعبير عن واقعية يسوع، وكيف أن الرموز المسيحانية تطورت واستمرت بعد فترة العهد الجديد حتى اليوم.

يقول بعض اللاهوتيين اليوم أن هناك هرمية في رموز الإيمان، فهناك رموز أساسية وأخرى ثانوية بالنسبة للكاثوليك، لذا فإن رموز الثالوث هي رموز أساسية، كالتجسد، وكون الكنيسة شعب الله، وهناك رموز أخرى مثل المحبول بها بلا دنس وهذا لا يعني بأن على الكاثوليك أن يعتمدوا على الخبرة كي يختاروا بماذا يؤمنون، ولكن أن يتوقعوا بأن هذه الرموز هي بالضبط محاولة.

فعل الإيمان

إنّ فعل الإيمان يشير إلى صيغة الاستجابة وحالة الشخص النفسية استنادا إلى قبوله لمحبة الله في يسوع المسيح. إن مناقشة فعل الإيمان يتطلب تحليل هذه العناصر النفسية والتي تتضمن إستجابة الشخص الذي له خبرة الإيمان، وأدناه عناصر فعل الإيمان، وهي ستة عناصر نفسية في هذه الاستجابة:

1. الاستجابة الكلية للشخص:

الإيمان ليس استجابة لصورة شخصيتنا ولكن للشخصية كلها، فملء الوصايا هي كما في سفر (تث)،(أن تحب الرب إلهك من كل قلبك ونفسك وفكرك). يتطلب فعل الإيمان الاستجابة للمحبة، والعطاء الكلي للذات من خلال عناصر الثقة، والطاعة،والمحبة، والفهم، والموافقة، والوعد(العهد)، والعاطفة، والصبر. إنه ليس استجابة عقلية إرادية وعاطفية على انفراد

ولكن كل هذه الثلاثة معاً. فالإيمان يتضمن موافقة عقلية للعقائد، والقوانين، ومحبة الله، والآخرين، وطاعة الكنيسة بالمشاعر، والعواطف، واختبار محبة الله غير المحدودة.

يقول بول تيليخ: إن استجابة الإيمان إذ تتحدد بهذه العناصر وتستثني غيرها، فمن الممكن أن تشوه الإيمان.وإذا استثنى فعل الإيمان العقل فالإيمان يصبح قابلاً لحقائق الجسد.

2. الاستجابة الحرة من خلال النعمة:

إن فعل الإيمان هو حر عندما توافق القرارات الشخصية للمؤمن على تجلي محبة الله الشخصية في يسوع المسيح. فالشخص يجب أن لا يجبر على صنع أفعال الإيمان مكرهاً للتعبير عن الإيمان، لا في الحاضر، ولا في الماضي، ولا في المستقبل.

لحد الآن هناك مسيحية تؤكد على حرية فعل الإيمان، وبنفس الوقت تحمل فعل الإيمان تقليدياً شروطاً للتعامل مع نعمة الله (لأن الله أحبنا من دون شروط ولا داعي لوضع الشروط من قبل البشر). فبعض النصوص الكلاسيكية في الكتاب المقدس تعبر عن هذا الشيء كما يقول الرب على لسان يوحنا (6-44). "لا أحد يأتي إليَّ إلا اذا اجتذبه الآب" وأيضاً "نحن نحب لأن الله أحبنا أولاً"، أفسس 2: 8 (بواسطة النعمة خلصنا) وهذه ليست من قدرتنا أو فضلنا، ولكنها من نعمة الله.والقديس اوغسطينوس تحدث عن(الاستنارة الإلهية)، أمّا القديس توما الأكويني تحدث عن (الغريزة الباطنية) التي تدفع وتحرك الإنسان نحو الإيمان.واليوم يتحدث اللاهوتيون عن الرغبة الطبيعية لله، لقد وصفها هنري دولبار، كارل راهنر، أنها رغبة حرة غير مقيدة، وهي أيضاً رغبة طبيعية من أجل الله. لقد جادل اللاهوتيون المسيحيون

منذ البداية بخصوص فهم العلاقة بين الحرية والنعمة في فعل الإيمان.فأحياناً يؤكدون على حرية النعمة،ولكنهم لم ينجحوا.ويحتمل أنهم سوف لن ينجحوا في حل الشد أو إرخاء الشد الموجود بين الاثنين. ففي فعل الإيمان النعمة والحرية هما قطبان يشد أحدهما الآخر

على أية حال فان عطية الإيمان ستفهم أكثر إذا فهمنا النعمة طبقاً إلى الحالة الشخصية، ولهذا نقترب من فكرة أن النعمة ليست هي عطاء الله للبعض وللبعض لا. الإيمان هو عطية وليس خلقاً شخصياً ولكنه عطاء محبة الله غير المحدودة، ولا يستطيع الشخص الإنساني أن يسيطر على تأثير هذه المحبة عليه كلياً. الإيمان هو حر لكن ليس معناه أن ينجز من خلال العطاء الإنساني فقط. ويستطيع الشخص قبول أو رفض التجلي الشخصي لمحبة الله ولكن لا يستطيع الشخص تعطيل وجودها أو السيطرة على تأثيراتها.

3. **الإخلاص**:

ربما من أكثر عناصر فعل الإيمان المؤثرة والمثيرة للجدل، هو نوعية الإخلاص. ماذا يعني الإخلاص من الناحية الفسيولوجية للشخص؟ عندما يصنع الشخص فعل الإيمان فانه يحقق الموقف الإيماني الشخصي. لا يلعب الزمان والصحة والعمر أدواراً في هذا الموقف الإيماني، لذلك سنتحدث من الجانب النفسي عندما يصنع الشخص فعل الإيمان وانه يقبل تأكيد المحبة الإلهية الشخصية في يسوع المسيح و الثبات في ذلك وبقاء المؤمنين مدى الحياة. فعندما نردد فعل الإيمان فليس معناه أنني أختار أن أكون كاثوليكياً إلى حين مجيء حالة أحسن، إذا كانت هذه حالة نفسية للشخص عندما يستمر في البحث عن القرار الصحيح، لا يستطيع الشخص أن يكون كاثوليكياً أو هندياً أو بوذياً أو

بروتستانتياً أو علمانياً.....الخ والإخلاص لا يعني أن ذلك لا يحتمل، يستطيع الشخص أن يكون كاثوليكياً وفي نفس الوقت يحترم بقية الأديان التي تنفتح نحو الحقيقة الكاملة. الكثير من الناس في يومنا هذا يعتقدون أن الأخلاص حالة طيبة، ولكن هذا قد يربك الإنسانية حيث أن الأخلاص سيقيدنا ويبعد عنا حريتنا، فإذا لم تتغير الأعمال التي نريدها فإننا بسهولة نلقيها بعيداً ولا نرى أية نقطة ثبات في العلاقة والإيمان بها.

لا يرى اللاهوتي (كندي) أية عقبة في الحرية الإنسانية، حيث يهتم لاهوته في كيفية تطوير الحرية الإنسانية. فنحن نختبر حريتنا مقابل الأشخاص والأفعال من خلال إرادة قبول الاختيارات، فالشخص الذي يخاف من التقدم ليس حراً. وأخيراً الإخلاص ليس أعمى، لأنه يعني الانفتاح نحو التغيير، وأن فعل الإيمان ليس شيئاً ينجز مرةً واحدة كلياً. إنّه فعل ينفتح نحو التحول الكامن فيه وفي الآخرين وفي كنيستنا وفي العالم الذي نحيا به، ويمكن أن تصاحبه الشركة والإرادة لصنع الذبيحة.

التحول الخلاقCreative Transformation

يؤدي فعل الإيمان إلى التحول في الشخص من خلال استجابته حيث يتجدد ويعاد خلقه. وان هذا الفعل ينساب منطقياً من خلال الإدراك بأنه فعل مركزي ويشمل كل شخصية الإنسان. إنّ فعل الإيمان لا يهيئ المؤمن لمعرفة أكثر فقط ولكنه ينفذ في كيانه ويؤثر على طريقة حياته. انه يحول شخصية المؤمن وقبوله لإعلان محبة الله بيسوع المسيح ومن خلاله يتقدم نحو الوعي الجديد بالذات وبالعلاقة مع الله ومع الآخرين ومع العالم. وكأتباع يسوع، فإن المسيحي مثل يسوع هو شخص متعلق بالآخرين. تصبح حياة الشخص حياة المحبة وخدمة الآخرين وعطاء الذات لهم، ونتعلق مثل يسوع بالفقراء الهامشيين في مجتمعنا،

وأن الإيمان يحول العالم بتحول تراكيب المجتمع كما أشار إلى ذلك لاهوت التحرير، فالكنيسة والمسيحيون يجب أن يعملوا للتغلب على الضغط السياسي والاجتماعي والاقتصادي واللاعدالة الموجودة في عالم اليوم. وهذا يعني العمل لتعزيز تراكيب المجتمع المتسببة من قبل العرقية، والجنسية، والطغيان، وأشكال الشروع الاجتماعية،وغيرها.

الإيمان والشكFaith and Doubt

يُطرَح سؤال: ما هو دور الفكر الإنساني في فعل الإيمان؟ إن فعل الإيمان يجلب المؤمن إلى التأكيدات وراء أسئلة وشكوك الإيمان، وهو قبول محبة الله في يسوع المسيح. أما من جهة طبيعة الواقع التي تنعكس في الإيمان، فهناك عناصر غير مؤكدة وغامضة في فعل الإيمان (عبرانيين 11: 1) حيث يعلن الإله الشخصي أسراره لكنها غير مفهومة بالفكر البشري حيث يريد الإنسان دائماً أن يفهم أكثر وبوضوح أكبر.

في القرن الثالث عشر، قال القديس توما الاكويني: أن الإيمان هو التفكير والموافقة (thinking with assent)، لكنه ليس عنصراً أساسياً في فعل الإيمان اليوم، فاللاهوتيون أمثال(تيليخ، واوجين، ودول، وبون) يؤكدون على العلاقة بين الإيمان والشك،حيث عندما يتضمن الشك رفض الإيمان فانه يخرب الإيمان ولا يتوافق معه، ولا يستطيع أحد أن يكون مسيحياً ويشك بوجود الله، ولا يستطيع أن يكون كاثوليكياً ويشك بكنيسته. عندما تفسر رموز الإيمان خبرة الإيمان بقناعة الشخص لا يستطيع سوى أن يتساءل بعض أسئلته كجزء مكمل للمؤمن الباحث عن الفهم الملائم لفعل الإيمان وللشخص وللذات، ولمعنى الحياة وللتطور، وكيف تؤثر إيجابيا في التكامل النفسي للشخص البشري.

مراحل الإيمان

هناك أربع مراحل للإيمان، هي:
1- الطفولة المبكرة. 2- الطفولة المتقدمة. 3- المراهقة. 4- البلوغ. وقد رتب (جيمس فولر) مراحل الإيمان المختلفة اعتمادا على مراحل التطور الإنساني، ولكل مرحلة تهيئة مختلفة لذلك، فما يعطى ليفهم الطفل الإيمان يختلف عن ما يعطى للمراهق، فيجب تجنب توقع أن يعيش البالغ إيمانه مثلما يعيشه الطفل.

الخلاصة

يستطيع المؤمن أن يزودنا بشكل شخصي بالإيمان الذي يهتم بالحفاظ على جوهر الوحي المسيحي، وبنفس الوقت، بنقل هذا الوحي بطريقة تتعلق بخبرة الرجال والنساء المعاصرين. هذا من جهة كون الإيمان المسيحي ينظر إلى الماضي. إن التعريف الشخصي، إشارة إلى أنه جذور لخبرة إيمان التقليد المسيحي طبقاً إلى طبيعة الشخص. فالإيمان لا يُنظر إليه كخبرة ذاتية تكونت من قبل المؤمن، الإيمان له أرضية هي حقاً الوحي الذاتي لله بيسوع المسيح، وخبرة الرسل، وتقليد الكنيسة، ورموز الإيمان. إنه يؤكد على أهمية سلطة البابا، والأساقفة، والحاجة إلى المؤسسة الكنسية. وهو مع عصمة الكنيسة والحاجة إلى القائد والتعاليم.

ومن جهة أخرى، فإن حقيقة وواقع الإيمان المسيحي يجب أن يعبر عنه من خلال عنونة الحاضر والمستقبل، والتعريف الشخصي يفعل ذلك بقبوله تحدي المجمع الفاتيكاني الثاني بالتحدث عن " علامات الأزمنة ". إن واحدة من الإهتمامات الرئيسية للشكل الشخصي للإيمان هو التعبير عن حقائق الإيمان بكونها تتحدث إلى خبرة الرجال والنساء المعاصرين. إن التعريف الشخصي يؤشر كون الكنيسة والمسيحيين يتحملون مسؤولية بيان كيف إن

الإنجيل يتحدث عن المواضيع والمشاكل المعاصرة مثل: الفقر، والعنصرية، والجنس، والظلم، والحرب، والسلام، ومنع الحمل، والإقتصاد، والإجهاض، والعلاقة بين المسيحية وبقية الأديان، والبيئة...الخ. إن التعريف الشخصي يؤكد على المضاهاة بين رموز الإيمان التقليدية والخبرة الإنسانية والتي يجب أن تستمر. وبهذه الطريقة فقط سيدوم الإيمان المسيحي كواقع معاش، علاوة على أنه أثر مقدس من الماضي.

أخيراً، إن الشكل الشخصي للإيمان يشير إلى الثقة بالإيمان المسيحي، ويلعب دوراً إيجابياً في نمو وتطور الشخص البشري. إن الملحدين الكلاسيكيين أمثال فيربرباخ Feuerbach ونيتشه Nietzsche وماركس Marx وفرويد Freud وسارتر Sartre والذين يدعون إلى العلمنة، رفضوا الإيمان المسيحي لأنهم رأوه بطريقة أو بأخرى كعائق أمام نمو وتطور الشخص البشري. إن تعريف الشخص البشري للإيمان يظهر كيف أنّ الشخص البشري يمكن أن يتحول، ويتجدد ويولد مرة ثانية من خلال فعل الإيمان. وبالنسبة إلى المستوى الإنساني، فالشخص ينمو ويتطور بواسطة إختباره المحبة والعلاقة بالآخرين في المحبة ولكن كشكل شخصي. هناك نقطة تؤشر، وهي أن جوهر الوحي هو بالتأكيد مبني على محبة الله غير المشروطة والتي تتحدى المؤمن كي يحب الآخرين وفق نفس الأسلوب. فإذا استطاعت أن تؤثر على النمو والتطور الشخصي، فكم تستطيع أكثر خبرة المحبة غير المشروطة والمطلقة.

الأسئلة

1- ماذا نقصد بمحتوى الإيمان، وكيف يفهم الشخص فحوى الإيمان؟
2- ماذا نقصد بفعل الإيمان، وكيف يفهم الشخص فعل الإيمان؟
3- ماذا نقصد بالأمانة، وكيف نوافق بين الأمانة والحرية الإنسانية المنفتحة للتغيير والتسامح مع بقية الأديان؟
4- ما هو الدور الذي يلعبه الشك في الإيمان، وهل من الممكن أن يتوافق الإيمان مع الشك؟ أم إن الشك يتضمن تخريباً للإيمان؟

الفصل السادس

الأنثروبولوجية اللاهوتية

غالباً ما يشبه موضوع الأنثروبولوجيا اللاهوتية فريق مناظرة. إنه يحرض بطريقة تشبه تحريض رب البيت السقراطي للفكر، حيث نكوّن ونؤيد الأفكار الخاصة بالعلم والفلسفة والأدب والسياسة والدين. لقد لاحظت في السنوات اللاحقة تعابير مدهشة لدى الباحثين، وفي بعض الأحيان يتراجع البعض أثناء محاولتهم فهم تقرير عن محتوى المناقشات وأين تكون صلة القرابة؟

يمكن وصف لاهوت الأنسنة كمناقشة تبدأ قبل أن ندخل غرفة البحث، والمناقشة تكون حول شخصية الإنسان،فكلمة أنثروبولوجي (أي علم الإنسان) هي يونانية الأصل. حيث يبحث العلم عن أصل حياة الإنسان، وتطور الحضارة الإنسانية. لكن قبل خروج العلم إلى الأضواء بفترة طويلة، كان النقاش متواصلاً وبنشاط حول شخصية الإنسان في اللاهوت المسيحي. في الحقيقة إنّ الحضارة الإنسانية التي تدرس علم الإنسان بوفرة هي الحضارة الغربية، حيث يطرح التقليد المسيحي أسئلة حول شخصية الإنسان ويحاول الإجابة عليها.

لقد نجحنا – كقريبي العروسين- في الدخول إلى المناقشة حول اللاهوت الأنثروبولوجي اعتماداً على فهمنا للأسئلة الخاصة به. وقد تكونت هناك بالتأكيد العديد منها. كمختلف الجمل التاريخية المعقدة التركيب والتي لم تنشر، هناك أسئلة جديدة تم إضافتها. ولوحظت الأجوبة من خلال التعليق عليها كما يتم مع أية مناقشة جيدة. ومع ذلك قد تكون هناك بعض نقاط الإشارة الثابتة، كالمواضيع الملائمة كنقاط مهمة يدور حولها النقاش مرات ومرات.

يطرح اللاهوت الأنثروبولوجي الأسئلة التالية:-

أسئلة حول الإنسان والكون: ما هي علاقتنا بالكون الفيزيائي (المادي)؟ هل خلق لنا ليقوي حياتنا ويلبي حاجاتنا؟ وهل الإنسان هو قمة المخلوقات، ولذلك هل الإنسان هو المسؤول عن الأرض؟ أم هل الإنسان ليس حقاً منفصلاً عن المخلوقات، ولكنه أكثر خضوعاً إلى الكون؟ وما الفرق بين الإنسان والحيوان، وخاصة الحيوانات الأكثر تطوراً؟ وهل هو فقط إنسان روحي موجه بواسطة الله؟

أسئلة حول تركيب شخصية الإنسان: كيف تعمل الأجزاء المكونة للشخص تماماً مع بعضها:الأحاسيس، العواطف والدوافع، الفكر والحكم، الجسم، النشاط الجنسي، الرغبة. هل هناك "جزء " أفضل من آخر؟ أي أكثر بروزاً ، وهل هو من صنع الإنسان؟ وهل هناك جوهر روحي للشخص الذي ينشئ كل أجزاء الإنسان بطريقة تفوق الوصف؟

أسئلة حول متعة الإنسان: هل الأشخاص مقادون أساساً من قبل الرغبة الشخصية؟ أم بواسطة العواطف والمصائر؟ هل حركة الأشخاص حرة أم مقادة من قبل قوة خارجية؟ وعندما نتعامل بخبث فلماذا نخبث بكثرة؟وهل هناك أمر محتوم؟ وكم مقدار مسؤوليتنا؟

أسئلة تخص الزمن والتأريخ: هل الزمن ينتهي بالنسبة لنا عندما نموت، فتكون حقيقة الحياة هي في الأشياء التي هناك؟ وهل حياة الإنسان فردية؟ وأفعاله، هل لها أساس وقيمة ذات معنى؟ أم هل نحن قضية مهمة للناس القليلين العارفين بنا؟ أم على الأقل الذين يحبوننا؟ وهل هناك رقي في تأريخ الإنسان؟ وهل نتطور إلى أناس أفضل كالذين يتسابقون في الميدان؟ أم هل التأريخ هو تكرار تافه؟

أسئلة محيرة بخصوص الله نتيجة الأسئلة الخاصة بالإنسان: هل الله شخص؟ شخصية؟ فربما ما نطلقه كتعبير عن الله مبني على ما نقوله بخصوص العالم؟ وهل يستطيع الإنسان معرفة الله، وكيف؟ وهل يمكن أن نتصرف بحسب ما نعرف؟وهل لدى الله خطة لكل واحد منا؟ وما الفرق الذي أحدثه وجود يسوع الناصري في أية مجموعة من مجموعات الاسئلة الأخرى؟

سندرس في هذا الفصل أربع نقاط مهمة، أي أربعة مواضيع بخصوص الشخص البشري الغالي كثيراً إلى حد أنه يستحيل تخيل لاهوت مسيحي بدون هذه المواضيع، إنها تتضمن: الإنسان على صورة الله، الإنسان الشرير والمخلص، الإنسان كذات تقبل الله، والإنسان ككائن اجتماعي.

صورة الله

وقال الله: " لنصنع الإنسان على صورتنا ومثالنا ليتسلط على سمك البحر، وطير السماء، والبهائم،وجميع الوحوش، وكل ما يدب على الأرض " (تك 1: 26).

عندما يبدأ دين جديد فإنّ أصحابه حقاً لا يخترعون مصطلحات، أو أفكاراً جديدة، أو من العدم. ولكن بدلاً من ذلك فإنهم يستعيرون أنموذجاً من ديانات أخرى وحضارات حولهم، ويحررون، ويضيفون، ويركبون افكاراً، ويكيفون اللغة إلى أن يبصروا إبداعاً جديداً يظهره بوضوح.

لقد استعار المفكرون والواعظون المسيحيون الأوائل عبارة " صورة الله" من الكتاب المقدس العبراني عندما بدأوا بالتكلم عن الإنسان، ولاحقاً أحدثوا فرقاً صغيراً عن هذه الفكرة من خلال أفكار استعاروها من الفلسفة اليونانية، وربما ان سبب تولعهم بهذه العبارة الكتابية هو انهم كاليهود تعاملوا مع أفكار حضارية حول

الشخص تناقض إيمانهم، وأحياناً يتعمق فهم المصطلح اللاهوتي من خلال المصطلح المقابل إضافة إلى ما يؤكده أصلاً.

عندما إستقر بنو اسرائيل في فلسطين، تعرفوا إلى قصص متنوعة اسطورية كنعانية، ومن بلاد ما بين النهرين، تهتم بخلق الكون والإنسان. حيث قام رواة القصص اليهود وكتاب المخطوطات والمحررون الذين أنتجوا سفر التكوين بتعديل هذه القصص لتصحيح الأفكار التي تمركزت حول الشخصية. فعلّم مبدع القصص اليهودي أن الإنسان قد خلق بتأن بواسطة إله واحد، مصدر كل المخلوقات ليكون جزءاً من كون متعدد الأشياء، كون خُلق منسجماً بواسطة قوة إلهية مسيطرة. إضافة إلى موضوع مهم آخر لميثولوجيا الخلق اليهودية والذي كان لخير الخليقة كلها، خاصة إلى جسد المرأة حيث صُوّرَ كمشارك لطبيعة الرجل، وتحدث عنه كشريك له (أي لجسد الرجل).

كم هو الفرق بين الإنثروبولوجيا الكتابية هذه وبين تلك الموجودة في ميثولوجيا بلاد ما بين النهرين. يمكن أن يقدر الفرق فقط من خلال تفاصيل معروفة لكلا التقليدين. ولكن أنموذج خلق العالم وأنموذج الإنسان كان قد تم وصفه في هذه الميثولوجيا الوثنية كفعل متقلب ناتج من خلاف بين آلهة متعددة التنظيم للعالم المتكون من فوضى، حيث لم يكن عالماً مستقراً بل مشوشاً، بسبب الصراعات الداخلية المستمرة بين قوى الخير والشر أو الآلهة. فكانت طقوس الخصوبة أو القرابين للشعوب القديمة مساعي لخلق انسجام في الوجود التاريخي مع دراما تطور الكون.

وعندما يتحدث سفر التكوين عن الإنسان بأنه متسلط على المخلوقات الأخرى فإنه يؤسس علاقة بين الله المسيطر على الكون والإنسان. لقد ثبت السفر منزلة الإنسان من خلال التلميح إليه ضمناً عندما اختبر كتابه دور عمل الله الذي لا يختبر من قبل الخلائق الأخرى. هذا الدور أعطي

للإنسان من قبل الله، وهو أنموذج خلق للسيادة التي يتمتع بها في الطبيعة، مثلما يزمر المزمر في مزمور 8 ويقول:-
عندما أرى السماوات صنع أصابعك،
والقمر والنجوم التي كونتها،
فأقول: ما الإنسان حتى تذكره؟
وابن آدم حتى تفتقده؟
ولو كنت نقصته عن الملائكة قليلاً،
وبالمجد والكرامة كللته.

أحياناً يصبح التفكير المضاد لما تحويه ميثولوجيا الخلق اليهودية حاضراً ومرغوباً به في الشرق الأوسط في القرنين الأول والثاني الميلادي، حيث ثبتت المسيحية كدين جديد بعد تمييزها عن اليهودية، وفي هذه البيئة المتعددة الأشكال للشرك (تعدد الآلهة)، والجبرية (أي الإيمان بالقضاء والقدر)، والثنوية (أي الإيمان أن الكون خاضع لمبدأين متعارضين هما الخير والشر، وإن الإنسان ذو روح وجسد) أصبحت جزءاً من الحضارة الدينية الشعبية.

بدون رؤية دينية متماسكة مترابطة منطقياً كان الشعب يميل إلى نوع من التوفيقية لأجل قبول أفكار هذه الجماعات، وأحياناً التوفيق بين المعتقدات الدينية المتعارضة. فلقد قام المسيحيون الأوائل أمثال (جوستين، وثيوفيلس، وططيانوس، وكليمنت) بملائمة الأنثروبولوجية اليهودية لصورة الله مع الأفكار الشعبية المضادة والتي هددت الإيمان المسيحي، وكذلك في منتصف القرن الثاني (كايرياناوس وترتليانوس وهيبوليتوس) وآباء الكنيسة الآخرين.

لقد كانت الغنوصية من البدع الخطيرة البارزة، حيث كتبوا ضدها بنشاط. وقد توسع النشاط ضد الغنوصية والبدع الأخرى في القرون الثلاثة الأولى ليشمل المسيحيين الذين اهتموا بمفهوم كون الإنسان صورة الله. إن تكملة القصة كلها في هذه المناقشة، هي أمر مستحيل، لذا سننظر

إلى انهاء القصة كما هي مصورة من قبل (كيرلس) الإسكندري. فبناءً على تعاليم الآباء الأوائل، ظنّ كيرلس (+444) ان هناك عدة طرق يمكن فيها للإنسان أن يرى كصورة لله، طريقة واحدة تتعلق بامتلاك الخواص التي يملكها الله منذ القدم.

"لقد صنع ذلك الإنسان على صورة الله ...يعني بذلك الإنسان فقط فوق كل الكائنات الحية الموجودة على الأرض، ذلك لكونه رحيماً وقادراً على اكتساب النوعية الحقيقية للفضيلة، وأنه يمتلك القدرة على كل شيء في الأرض وفقاً لصورة الله التي بواسطتها امتلك شكلاً."

في هذا النص القصير، يؤشر كيرلس إلى أن السبب هو قدرة الإنسان الخاصة أو النوعية كي يكون مثل الله رحيماً وجيّداً.إنّ التأكيد على السبب تطور أثناء المناقشات التي دارت من قبل المفكرين المسيحيين في الإسكندرية حول المسيح – والذين استخدموا الأفكار اليونانية الأفلاطونية الحديثة -حينما اعتقدوا، أنه طوّر فعل الخلق، فيصبح الله الخالق أباً في ثالوث أقدس. إن الخلق في الفكر اليوناني معقد ومشوش، إذ ليس فقط صنع المادة ولكنه نظام مهيب، يتخيل فيه الفنان التصميم الإلهي. هذا التصميم أو اللوغوس، أي المبدأ المنظم لرغبة الله الخلاقة، صار له هوية مع الكلمة الذي صار جسداً. وهكذا فالمسيح مساو للآب، حيث كلاهما متماثلان في الأزلية وفعالان في خلق كافة الأشياء. عند نشوء هذه المسيحانية، صورت الإنسانية كصور لصورة كاملة لما لله والمسيح. فالمسيح فقط "هو الهوية الطبيعية بسبب كونه يملك نفس الصفات" كما يقول كيرلس. لقد خلق الناس صوراً مشاركة في عمل المسيح للحكم على عالمهم.

وعندما يقول كيرلس أن الإنسان "يستطيع اكتساب كل أنواع الفضيلة " فإنه يدحض أشكالاً متعددة للحتمية، مثل تلك التي عند الغنوصية. الغنوصية تؤمن ان البشر خلقوا ليكونوا أشراراً أو أخياراً استنادا إلى نزوة خالق الكون المادي، والذي هو عند أفلاطون قوة خلاقة، اله اقل شانا، أو هو القوة الخالقة. والحتمية عند الغنوصيين لا تجعل لله وعياً ليكافئ الفعل الجيد، أو يعاقب الفعل الشرير. ولكن للمسيحيين الحرية المفترضة مقدما في الفضيلة (الفضيلة هنا مذهب في علم الأخلاق) كمسؤولية شخصية فردية. هكذا فإنّ كيرلس يقول:

> "لقد خلق الإنسان في البداية بذكاء في وقت كان ارفع من أن يرتكب الخطيئة والآلام، ومع ذلك فإنه لم يكن عاجزا كليا لتغيير اتجاهه في أي اتجاه يروق له، فظن هذا المخلوق المتميز في الكون انه من الأفضل ان يخصص له مقر شعوري لإرادته الخاصة، وليترك لحركاته الذاتية الاتجاه كي تنجز ما يريد. والسبب لذلك هو إن الطهارة كفضيلة يجب ان تكون شيء هام لإختيار مدروس، وليس ثمرة الإكراه، كما انها ليست راسخة في الذهن بواسطة قوانين الطبيعة حيث لا يستطيع الإنسان ان يخطئ، لأجل هذا فهو مناسب للجوهر (أي الروح) الأعلى منزلة وتميزا."

وكما ان سيادة الإنسان تعكس سيادة الله وذكاء الإنسان الذي يصور الكلمة الالهية فإنّ كيرلس حدد التشابه الجزئي بين حرية الإنسان وحرية الله، ويقصد بحرية الله، ان الله وجد مستقلا عن أي شيء آخر ولا يحتاج أن يخلق. كما إن الله حر باختياره ليخلق كذلك البشر "يوجهون أنفسهم بواسطة اختيارهم المدروس "كما يقول كيرلس. ومع ذلك فإنها ليست حرية تامة للاختيار، أي صور الله كما هي عند كيرلس أو عند معاصره اوغسطين وعلى الأصح

انه اختيار للخطيئة أو للخير. فالخلق هو تعبير لاتصال الله الشخصي الخير،والمشاركة بالتكوين التي تنتمي إلى الله فقط، كما قال المفكرون المسيحيون المعتمدون على المعتقدات اليونانية. لذلك فإنّ الحرية الحقيقية التي تصور الله ليست الاختيار بين الخير والشر، ولكن اختيار الخير أو الشر لجعله ممكناً أكثر للبشر كي يختاروا الخير، ويضيف كيرلس:

> "ان طبيعتهم قد غرست فيه الشهوة والرغبة لكل أنواع الخير والرغبة ليراعوا الخير والحق. ولأجل هذا نقول ان الطريقة التي يصنعها البشر في صورة الله والمظهر الخارجي هي بقدر ما تكون الإنسانية حيوانية، فهي طبيعية جداً وحقيقية."

لذلك نرى أن التفسير المسيحي لعبارة "صورة الله" هو أن الإنسان قد خلق حسناً وذكياً وكائناً حراً بواسطة الله مصدر كل الضروريات. والصفة الأخيرة له قد أعطيت للمخلوقات كصورة تتم مع الموت.

صدرت في لندن سنة 1958،و1982رواية بعنوان (Things Fall Apart) ذات منحى أفلاطوني حديث، ولكنها تقاوم الثنوية التي ترى الشيء شراً. لقد تأثر الآباء بالتعليم اليوناني حول النفس كبعد للإنسان يستمر في الحياة بعد انحلال الجسم المادي. ففي الأفلاطونية الحديثة، لم يعد الانحلال عملية طبيعية كما في العلوم المعاصرة، ولكنه عاد نقصاً. وفي المعتقد اليوناني كانت الأشياء الأكثر كمالاً هي الأكثر توازناً أو غير المتغيرة. وفي الشرع الإلهي الحاضر وفق الفلسفة اليونانية كان الأكثر كمالاً هو غير المتغير الكامل. لقد تمتع الإنسان بمنزلة رفيعة أسمى من المخلوقات الأخرى، لأنها تمتلك روحاً ليست خلاقة ولكنها تشبه الله لكونها غير فاسدة.

لازال التأكيد ناقصاً بخصوص خلود النفس في الدين الذي أساسه الإيمان بقيامة الجسد من الموت. وما قد تم إنشاؤه هو اللاهوت الذي أكد: إن الكلمة من خلال التجسد، اتحد بالجسم البشري الفاسد ليحوله إلى آخر بعد القيامة والذي سيكون غير فاسد. ولقد كانت عقيدة القيامة التي أبطلت الشكلين القديم والحديث للأفكار التي تسئ وتتفّه الجسد.أي صلة وثيقة بهذا الموضوع عملته أفكار لاهوت المسيحيين الأوائل هذه في عالمنا اليوم؟ فعلماء الاجتماع الدينيون ميالون إلى الإشارة أنّ الدين يصيغ نظرة العالم وعبقريته التي يحيا بها وبتلك الوســـــيلة يتشكل وعيه الشخصي. وبالتأكيد فإنّ هذه الأفكار بخصوص الشخص أصبحت جزءاً لا يتجزأ في القانون والفلسفة الغربية، والفهم الشخصي لشعوبها. والأمثلة التي تتضمن ذلك منها التسليم بالكرامة والقيمة المطلقة لحياة الإنسان وجسده، وأهمية الحرية واحترام العقل كقاعدة لكل نظام اجتماعي وطبيعي، ومفاضلة الأفكار التي تتضمنها.

لسوء الحظ إن هذه الأفكار مثالية، وغالباً ما أعطت خدمة لسانية (كلامية فقط) في المجتمع، وفي بعض الأحيان أبطلت من قبل الكنائس المسيحية التي عاشت وفق تقليد صورة الله. إن المرء لا يحتاج إلى البحث طويلاً ليجد أمثلة لذلك، فلدينا مثال هو مَيِل الكتاب المسيحيين الرجال إلى رؤية الإناث أقل اكتمالاً لصورة الله. والميل غير الملائم لتفسير الزامية الحاجة للتحكم في الأرض لقهرها عبر الصناعات المتقدمة. بهذه الطريقة فإنّ المسيحيين اسهموا في تضارب العلاقات بين الكائنات الحية وبيئتها في عصرنا الحاضر.

ان القول بكون الشخص على صورة الله يظل مصدراً عندما تخطط المسيحية لأجل التأكيد على الكرامة المتأصلة في الناس. كما ان صورة الله هي مفهوم أساسي في اللاهوت الأدبي الكاثوليكي والمنشور في الرسائل الاجتماعية

البابوية خلال مائة السنة الأخيرة، واليوم اصبح مصدر لاهوتيي العالم الثالث حيث تسحق كرامة الفقراء والشعوب المضطهدة من قبل الأقلية الغنية، ولكن حتى في بلد مثل أمريكا حيث يشعر العديد من الناس بالعجز في مواجهة الاقتصاد المجهول والقوى الاجتماعية، فإنّ فكرة صورة الله يمكن ان تكون قوة للتحول والقرار الداخلي.

الشر والخلاص

تقول الأسطورة انّ بوذا عندما كان لا يزال أميراً صغيراً ولم يكن قد استنار بعد، جازف وخرج من قصره يوما ما، وهناك واجه رجلاً شيخاً، وآخر مريضاً، ثم صادف ميتاً، ومتسولاً. ان هذا المشهد ألهمه ليتحقق من مصدر المعاناة، وقاده إلى جوهر التبصر البوذي: ان الألم ينتج من التشبث بالأشياء، والرغبة في امتلاك الأشياء، سواء أكانت ثروة، أو صحة، أو حياة، أو النفس ذاتها. إنّ كل هذه الأشياء هي لا شيء حقاً. فالامتلاك، أو عدم الامتلاك لا يمكن أن يسبب معاناة للشخص المنور القادر على التحرر منها.

يواجه كل دين التساؤل حول الألم، فبرغم من أن هناك تشابهاً بين الإجابات المسيحية والبوذية بخصوص سبب الألم، لكنّ المسيحيين يميلون إلى القول لأصدقائهم البوذيين: "ان هذا الأمر ليس بهذه السهولة ". فالتحليل المسيحي لظاهرة الشر والألم هو مختلف جداً عن التحليل البوذي بنقطتين.

الأولى، بالنسبة للمسيحيين، الشر هو حقيقة تاريخية تواجه كل شخص، ويسبب الألم مهما كان ميل الشخص الداخلي.

الثانية، ان المسيحيين يبذلون جهداً لتطهير أنفسهم الجامحة الرغبات، ويشتركون شخصياً في الشر الواصل

إلى درجة ما حسب الحالة، فالدافع لفعل الشر ربما يمكن التغلب عليه بقوة الله المخلصة، وليس بالتعلم أو ضبط النفس فقط.

إن الدين المسيحي وحيد من بين الأديان العالمية الذي اصبح ضحية وشهيداً، فالصليب كما يقول بولس الرسول(60 ب.م) اصبح عاراً وحجر عثرة (1 قور 1: 23). لقد كان انعكاس موضوع الصليب مادة اعتمدت عندما تم التحضير لكتابة أول إنجيل، فالصليب دلالة للهلاك وطبيعة علاقة الموت الجوهرية بالوجود التاريخي.

لقد تم حمل هذه الدلالات إلى تلاميذ المسيح من أصل يهودي وذلك عندما عاشوا في نهاية العصر الكئيب للتأريخ اليهودي، من خلال العيش تحت تهديد الحكم الأجنبي في زمن الحرب واشاعاتها، وتحت تهديد التآكل الحضاري في العالم الهلّيني في ذلك الوقت. لقد كانت فلسطين زاخرة بأشكال مختلفة للرجاء بمستقبل جديد، حيث يبدو ان الرب يسوع المسيح أتى بالعهد الجديد لله، ولكن هذا الرجاء خاب عندما صُلِبَ، إنّ صَلبَه دلّ فقط للتأكيد على ان البشر يمكن أن يكونوا ضحايا، ولكن حين ذاك تحدث القيامة.

مهما تكن الدلائل على القيامة فيزيائياً موجودة، فإنّ المسيحيين الأولين فهموها كإبطال للشرّين التوأمين، أي الألم والموت. وكمثال كتابي مشهور؛ لدينا ترتيلة المسيح (طالع فيلبي 2: 6)، وكمثال آخر للترابط بين الآلام والقيامة؛ طالع رواية الظهورات لتلميذي عماوس عند لوقا، حقاً لم يكن هناك تقليد لآلام المسيا (أي المسيح) في التقليد اليهودي، ولكن لوقا تجرأ ليعطي واحداً! حينما قال: - "أما كان يجب على المسيح أن يعاني تلك الآلام فيدخل مجده؟ فبدأ من موسى والأنبياء يفسر لهما في جميع الكتب ما يختص به" (لو 24: 26-27).

يفهم اللاهوت المسيحي الألم والموت كأنهما حقائق خارج الشخص، وأنّ هذه الشرور الخارجية والإثم الداخلي للشخص مترابطة وبجذور يهودية. ففي معتقد الديانة اليهودية كانت تفهم خطيئة الوثني كسبب للعقاب الرهيب الذي يقوم به يهوه، عندما تنهار مملكة مثلاً، أو عرش ملكي، ومن الأمثلة خطيئة الملك داود، رحبعام،أحزيا. فأفعال الخطيئة تلك كان لها تأثير بعيد لأنها دفعت الشعب ليسأل يسوع عن حالة الرجل المولود أعمى: " يا سيد، من أخطأ، هو أم والداه؟ " (يو 9: 1).

ورغم ذلك فإنّ الكتب المقدسة العبرية لم تعرض فكرة صريحة عن الخطيئة الأصلية ولا للاهوت تطور الخطيئة الشخصية، ولكن في المسيحية (خصوصاً الغربية)، فقد توسعت الفكرة ضمن فهم نظامي للوضع الاجتماعي للعالم كرابط لا كمنفصل.

ان الشعور بالخطيئة الأصلية استغرق بضعة قرون لينضج في المسيحية الأولى، فيسوع نفسه، رغم ذلك كان دائم التحدث عن الخطيئة، وعرض المغفرة للخاطئ. والكنيسة الرسولية بدت انها تملك في الواقع نظرة متفائلة لتجعل الناس قادرين على عيش حياة متحررة من الخطيئة طالما اهتدوا إلى الرب. فعمل الرسل يصف طريق الحياة عندما تتم مشاركة كل الأشياء بمساواة واقعية رائعة، رغم كره الإنسان وشدة حرصه على التملك، فالتأديب الأخوي هو الوسيلة الوحيدة لتنظيم السلوك. فحتى القرن الثالث لم يكن في ما عدا طقس المعمودية طقس آخر لإعلان ذلك أي مغفرة الخطايا، مع أن ممارسة الاعتراف بخطايا الشخص في الجماعة بدت عملية جماعية (الديداخي 4: 14).

لقد تطور طقس مغفرة الخطايا بسبب الاضطهادات، وخاصة اضطهاد (ديقيوس249-250م Decius) فقد وجدت الكنيسة نفسها بعد انتهاء الاضطهاد برفقة أعضاء لها، أنكروا إيمانهم مفّضلين ذلك على خسارة حياتهم، والمشكلة

الرعوية كانت في إعادتهم إلى الافخارستيا، وممارسة التوبة التي تطورت لتصبح طريقاً يضمن أسف النادمين على خطاياهم، ويقومون بفعل تعويض ملائم، ذلك كي لا يكون غفران الله بدون فائدة، ومع ذلك، وكما قال مرة (جوزيف مارتوس) فإنّ رجل الكنيسة يتصرف كالقاضي بين أشكال الخطايا ودرجات التكفير. لقد كان هناك هدف للخطيئة، أي أن يتم رؤيتها عبر مصطلحات قانونية مقبولة ككسر للإلهيات أو لقوانين الكنيسة أكثر من كونها تمزق علاقة الحب بين الشخص والله والجماعة.

إن تطوير طريقة موفقة للتعامل مع فعل الخطيئة لا يبرر الدافع لها وعواقبها. فإنّ فكرة بعض الاباء بخصوص هذه الأسئلة لهي فكرة مدهشة الحداثة، فالقديس ايريناوس من ليون 190م حاول ان يبرهن ذلك أي إن أردت ان تكون على صورة الله يعني أن تكون قد خلقت خاماً أولاً (أي غير ناضج) كي تنمو نحو الكمال، فالله هو وحده غير مخلوق ولا متغير، وهو مثال، وكامل، لذلك يتوقع ايريناوس من الإنسان السقوط، وهذا ربما هو متوقع وذو معنى تربوي.

إن انثروبولوجية القديس ايريناوس المتطورة لم تكن قد سادت في اللاهوت المسيحي، وقد تم تجاوزه من قبل الانثروبولوجي القديس أوغسطين الذي أجاب على السؤال المتعلق بسبب كوننا نمتلك الدافع إلى الخطيئة، ولماذا يخطئ الكل، وما هي نتائج الخطيئة، وذلك بطرق مختلفة عن القديس ايريناوس.

لقد ظن معظم الباحثين ان حياة أوغسطين كان لها أثرٌ كبيرٌ في اللاهوت الذي انتجه. ففي سيرته الذاتية (الاعترافات) يخبرنا عن حياته فترة المراهقة، وتورطه مع بعض أصدقائه في عمل تخريبي ضد الممتلكات العامة والخاصة. عندما سرق العنجاص من أشجار البساتين، لقد كانت مجرد متعة أحس بها عندما كان يفعل شيئاً غير مسموح به. وقد دون أوغسطين هذه الخبرة التي أكدت رأيه

أن فينا روحاً جامحة، ومنها صراعه تجاه نشاطه الجنسي، رغم أنه قبل أفكار المسيحية التقليدية بخصوص الكبت الجنسي وعدم تعدد الزوجات التي لم يكن قادراً على عيشها. كان أسم ابنه Adeodatus ثمرة علاقة غرامية دامت 12 سنة مع خادمته، حيث يصف باختصار في كتابه عدداً من الحوادث الجنسية الأخرى، وخبرته، رغم أنه عرف بفكره ماذا ينبغي أن يفعل كالقديس بولس (رو 7: 15-25) الذي رأى أن إرادته ضعيفة جداً، فلماذا يرغب الله الصالح بخلق إنسان غير قادر على اختيار الشيء الحسن؟

للبحث عن أجوبة، انظم أوغسطين إلى طائفة دينية تسمى المانوية، والتي كان كهنتها يمارسون التبتل،العزوبية، فتبين ان لهم تفسيراً للشر نسبوه إلى قوى الشر الكونية المتصارعة، وفي الإنسان أيضاً لأنه كون صغير. وكذلك آمن المانويون أن قوى الخير قد حوصرت من قبل المادة والجسد وشهواته الجنسية. لقد نضج ونما اوغسطين في النهاية ليتجاوز الأجوبة المانوية، ومن خلال القديس امبروسيوس تعرف إلى الفلسفة الافلاطونية الحديثة.

لقد حصل هذا في وقت اهتدائه إلى المسيحية. وتم إضافة مجلدات من التعليقات إلى كتاباته الشخصية. ولكن أي شيء يمكن أن يقال، سوى ان اهتداء اوغسطين كان نعمة بعد ان طلب وعاش الحقيقة. وفي وقت انهمار دموعه بسبب شعوره باليأس،أدرك حضور الله كقوة فعالة في نفسه مكّنته من قهر القوة التي تحارب في داخله.

ان خبرة الاهتداء تلك مكنّت أوغسطين كي يصيغ أجوبة مختلفة للأسئلة الخاصة بالخطيئة. حيث –وضد المانويين- ناقش كون الشر ليس قوة مساوية للخير، ولكنه غياب الخير. وهذا الغياب لا يمكن أن يكون سببه الله الذي خلق الخير فقط، لذلك فالشر سببه الإنسان، وخصوصاً حريته التي تستثمر بشكل خاطئ عندما يختار الإنسان الشر

بدلاً منه. فالحرية تفعل هذا لكون الفكر يخطئ عندما يختار عمل الشر بدلاً من الخير، والحد الأدنى بدلاً من الخير الأسمى. فالحرية يمكن أن تعاق من قبل الفكر عندما العاطفة (كالرغبات مثلاً) تمنع الإرادة من اختيار الخير. وهكذا في داخل الإنسان يعمل الفكر، والإرادة، والعواطف في تضاد بعضها مع البعض الآخر لتبعد الإنسان عن اختيار الخير، وبالتأكيد هذا ليس ما قصده الله.

ان نتائج اللاهوت الأوغسطيني كانت بمثابة الكارثة الروحية عندما حطمت صورة الله من جذوره. تلك الكارثة سميت الخطيئة الأصلية، خطيئة آدم. فالطبيعة البشرية مجروحة، وتم وراثتها من نسل آدم، وقد فسرت لماذا يخطأ كل البشر، ولماذا الفكر مظلم والإرادة ضعيفة، ولماذا العواطف تتسلط على الفكر والإرادة، ولماذا العالم اليوم في حالة يرثى لها.

يأتي المسيح إلى هذه الحالة ليشفي الطبيعة الإنسانية المجروحة، فصورة المسيح عند أوغسطين هي صورة الطبيب، والنعمة هي دواء المسيح الذي يقدمه للنفس، وهذه "القوة الأخرى"هي انتصار الله الناجح ضد الشر، انها ليست مثل صلب المسيح أو تعليمه بالأمثال والآيات المخلصة، انها النعمة القوية الخارقة له، والتي تعكس ضرر الخطيئة الأصلية. فأوغسطين ناقش قوة نعمة الله التي هي ترياق للطبيعة البشرية الضعيفة ضد المعارضة أمثال بيلاجيوس (وهو راهب بريطاني أنكر الخطيئة الأصلية ونادى بحرية الأرادة)، كي يتم إدانة بيلاجيوس وأتباعه بشكل مقنع كهراطقة في مجمع قرطاجة سنة 418، ومرة أخرى في مجمع أفسس 431).

إن للاهوت أوغسطين بخصوص الخطيئة الأصلية عدة نقاط قوية: الأولى إظهاره أن الإمبراطورية تخلق من قبل أناس خاطئين، وتعكس خطيئتها ضمن نظامها

وسياستها، وتزود بلاهوت تفسيري للأزمة (هذا تم في زمنه عندما سقطت الإمبراطورية الرومانية).

الثانية، إن التعليم بخصوص الخطيئة الأصلية ساعد على خلق وعي – ولو نسبي-لممارسة كنسية جديدة لعماذ اليافعين.

أخيراً، كونه على اختلاف مع التعاليم الأخرى، وكان هذا ممكناً إثباته عبر فحص الذات لأنه يفسر انقسام الذات بسبب الفكر الناقص والإرادة الضعيفة كميراث لسقطة آدم. إن هذا ساعد الآخرين ليفهموا جهادهم كي يحيوا حياة وفق الإنجيل.

لقد أصبحت الخطيئة الأصلية مذهباً أساسياً للمسيحيين من خلال الاصلاح اللوثري، وخاصة لدى كلفن ليس فقط من خلال اعادة تأكيده عليها، ولكن أصبح لها نظرة متشائمة لديه أكثر مما عند الكاثوليك، بسبب الضرر الذي أحدثته الخطيئة في صورة الله. وعبر التأريخ الأكثر حداثة، وخلال التفاؤل السائد في الستينات ناقش بعض الناس الخطيئة الأصلية طالبين اهمالها مقابل انثروبولوجيا أقل تشاؤماً. واليوم ومع هذا الانحطاط الأخلاقي وعنف القرن العشرين يقدم لنا مرة ثانية وصف واقعي للإنسان.

ان نقد التعليم هو أمر ضروري، طبعاً لأجل تنقية فكرة الخطيئة الأصلية من أساطيرها القديمة، وذلك باستصغارها للجسد، وكسرها للقاعدة الكتابية.وعندما يتم ذلك، تصبح الخطيئة الأصلية اعترافاً أن سياق الكلام بخصوص كون الشخص المولود هو أصلاً يحمل الخطيئة الأصلية. ترمز الخطيئة الأصلية إلى أننا نرى العالم – عندما نولد فيه – ينقصه الجمال والانسجام الذي أراده فعل الله الخلاق، وتبين حاجتنا لله ليس فقط كخالق نتحمله، ولكن كمخلص لنا من الشر المخرب خارج أنفسنا أيضاً بشكل مأساوي.

الذات أمام الله

في مسرحية لروبرت بولت بعنوان (رجل كل المواسم) والخاصة بحياة القديس توماس مور الذي قطع الملك هنري الثامن رأسه سنة(1535) لرفضه السماح بطلاق الملك، يقول مور: من غير الممكن أن أدين ملكي، ولكن لدي القليل من الامكانية كي أحكم نفسي، مساحة أصغر من ساحة تنس، فعندما يأخذ الإنسان على نفسه عهداً فإنه يجعل يديه على شكل كأس، وعندما يفتح أصابعه لا مجال لرجاء في أن يجد نفسه مرة أخرى، وبعض البشر ليسوا قادرين على هذا، ولكن سأكون مشمئزاً عندما أظنّ أن أباك واحدٌ منهم.

لاشك أن موقف توماس هو موقف شجاع جعله بطلاً لكل العصور، ولكن من غير المحتمل أنه قال الكلمات التي كتبها الكاتب (بولت) في مسرحيته. فالإنسان يكون صادقاً مع ذاته عندما يمتلك ذاتاً داخلية لها أهمية مطلقة. وهذه هي الأفكار التي لم تظهر حقاً بشكل واضح حتى حوالي القرن التاسع عشر. إن المجتمع وفق الفلسفة اليونانية أكثر أهمية من الفرد، وإن حاجات المجتمع لنوع معين من الأشخاص فرض الصفات المرغوبة فيه. وحتى وقت توماس، الخادم المخلص للملك كان يثمن، ليس بأفعال فردية ذات بعد نفسي، ولكن ربما ان توماس اتخذ موقفه، لأنه عرف البابا (لا الملك) كسلطة مطلقة عليا على الذي كان خاضعاً، مفضلاً ذلك على أي معنى لكونه نزيهاً فريداً.

عندما نتحدث عن النفس، فإننا نتحدث بكلمات تتضمن ثلاثة مصطلحات مرتبطة جداً بصورة عامة وتستخدم بتبادل مع بعضها البعض: الشخص، والفرد، والنفس. فنحن لا نستطيع استعراض كل التاريخ الفكري

للكلمات الثلاث، ولكن بضعة أفكار قد تكون ضرورية لإدراك ما سنتحدث عنه.

يشار إلى "الشخص " في اللاهوت والفلسفة عبر خاصيات أو طبائع مشتركة يمتلكها كل واحد منّا لكوننا أعضاء في الجنس البشري. فعلى سبيل المثال تحدث في العصور الوسطى كل من Boethius بويثيس ثم تلاه Aquinas الأكويني عن الإنسان كجوهرة فردية قائمة بذاته، ولها طبيعة عقلانية (منطقية) وتفكيرها عالمي يعمل عبر أفكار أبدية بنفس الطريقة لكل شخص، ومستقلة عن الفروقات الفردية. هنا " الشخص " يؤكد على النفس كونها أبدية أيضاً، فالبشر جسدوا أنفس إنسانية، وأصبحت النفس مبدأ الوجود الشخصي للجسم، لكن الجسد مائت بينما النفس خالدة. لذلك فإنّ أفكار ومعتقدات القرون الوسطى ركزت على هذه النفس الأبدية ووحدتها مع الله والأنفس الأخرى. إنها تحدثت حول الوجود المتجسد فرديا في التاريخ كتهيئة للحياة الابدية، وبالأحرى كشيء مهم في حقه الخاص.

ان المصطلح الحديث (ذات) يحدد الفرد مع خصائص وسمات تتميز عن بقية أعضاء الجنس البشري. الذات تنمي وعيها الذي يتطور من خلال انعكاساتها على نفسها، وتذكر انعكاساتها كالفكرة التي كونها اوغسطين. الذات هي شخصانية بصورة رئيسية، ذاتوية فردية تتطور عندما نعمل ونريد ونتذكر، وتتكامل خبرتنا في تفاصيل وتطور طباعنا. الروحانية الكاثوليكية اليوم تتحدث أحيانا عن الذات بمعاني تاريخ خاص يبنى من خبرتها.

تفهم الذات عند الفلاسفة كموضوع يعمل، ورؤية منظورة مدينة كثيرا إلى عمل توما الاكويني. كان لتوما نظرة موجّهة لعمل العقل والإرادة في الشخص البشري من فعل اوغسطين (أي فكرة القديس أوغسطينوس عن الفعل). إن نظرة العقل عند توما يمكن أن تقارن مع المصباح الأمامي لسيارة تبحث عن الطريق الصحيح للإرادة، قدرة

الاختيار كي تسير باستقامة، وعلى الرغم ان توما آمن بالنفس وبطبيعة الإنسان العامة، فإنه أيضاً علّم ان الشخص له خواص الإنسان عندما هو(أو هي) يفعّل ضميره، مع المشورة طبقا إلى نور العقل. وبالنسبة للاكويني، (أن تكون) إنسانا (أي كون الإنسان يعيش إنساناً حقاً)هو للعمل ضمن طريق الإنسان. ولأن كل شخص متفرد هو كائن مسؤول يملك وعيا لا ينتهك. فالاكويني يصر على ان ذلك الفرد يجب ان يعمل وفق قضاء مسؤول حتى في الحالات التي فيها استندت هذه الأحكام على بيانات خاطئة أو معقولة.

استمر اللاهوت الكاثوليكي بعد الاكويني في السير حسب الفلسفة الأفلاطونية التي أكدت على الكونيات، نحو الفلسفة الارسطوية التي بدأت بصورة خاصة. هذا الانحراف يتوازى متماثلا بحركة في فكر علماني. مفكرين بالشخص لأجل التحول من الجوهر والطبيعة للإنسان الكوني والذي هو نادرا ما يؤكد ذاته كفرد زائل، نحو التأكيد على شخص فردي، وجوده وسلوكه الفريد هو قاعدة لأي فكرة يمكن تصديقها عن الطبيعة الإنسانية.

أخيرا اصبح الاهتمام بالذات الشخصية تياراً قوياً للفكر تمت تغذيته من قبل حركات مثل: الأنسنة، والعاطفية، والقومية، وأخيرا الوجودية. وبينما أستمر هذا الاتجاه، فإنّ الكنيسة الكاثوليكية أصبحت معروفة في اللاهوت. حقيقة ان البابا بيوس العاشر ضمّن الوجودية في تأكيده على الخبرة الفردية ضمن قائمة للأفكار الخاطئة التي أدينت كأفكار عصرية سنة 1907.

ربما ان فكرة الفردية والضمير الفردي وحكم الفرد على ذاته بدت خطرة، لأن الوحدة لها دافع مركزي في تاريخ اللاهوت الكاثوليكي. فتاريخيا ان الواجب الرئيسي للكنيسة هو توحيد عدد من الأشخاص المنفصلين عن الكنيسة والذين قد توقفوا تماما من خلال نظام رموزهم

وممارستهم وإيمانهم المتماسك في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي تهيئ عقائدها، حيث جسم الكائن الفردي عندها هو جزء من مساهمة أشياء انفصلت بعيدا عن وحدة الواحد والكيان نفسه. لذلك فإنّ الهدف الروحي للشخص كان للسفر راحلا نحو الخلف للاتحاد بالخير.

أما الكنيسة فترى نفسها في وحدة عضوية بين البابا والأساقفة الذين يوحدون الكنائس المحلية في الكنيسة الواحدة. والكنيسة إذ تفضل الوحدة فإنها على الرغم من ذلك جاهدت باستمرار عبر الجدالات مع المنشقين، حتى اختبرت الانقسام في البابوية نفسها. ان العنف المفرط والحرب المرتبة للإصلاح البروتستانتي والثورات القومية التي تلت ذلك بدت تؤكد على الاعتقاد الكنسي ان نتائج على الصعيد الفردي قادت إلى نتائج مدمرة.

ان بعض الأفكار العصرية كانت حقا مؤذية لفكرة الشخص، وخصوصا عندما نراها الآن في فترات بارزة عبر القرون. مثلا ان تطور الفكر المبكر لمح انه لا توجد هناك أفكار ثابتة للحقيقة، ولكن نسبية فقط، وان أسس الأخلاق فقط لها تقليد اجتماعي. لقد اقترحت على السلوك الإنساني أنواع مختلفة من الأحكام يمكن أن تفهم بطريقة وافية رجوعا إلى الدافع الاقتصادي، أو إلى الصيغ الحياتية0 فالوجود المبكر كان محددا بفكرة أن الشخص البشري ترك وحيدا في مرحلة ما، كي ينجز خياراته الصعبة، والتمست الفلسفة الإنسانية Positivistic humanism(فلسفة تنادي بقيم الإنسان الأخلاقية دون الرجوع إلى الدين (م) إلاّ أن البشر ليسوا بحاجة إلى الدين ويستطيعون حل أي مشكلة بأنفسهم، وهذا يتضمن خلق عالم جديد.

وتزامنا مع الأحداث بدأت الكنيسة قبول عناصر نظرة العالم المعاصر، والتي تتضمن فهم الذات. هذا الموقف الجديد كان جزءا من عملية اقتراب ذات فارق

دقيق مع الثقافة العلمانية من خلال الكنيسة واللاهوت الكاثوليكي. وقد أشر اللاهوتي الكاثوليكي الأمريكي البارز دافيد تراسي .David T إلى أن الكنيسة أحيانا تقاوم الأفكار الخيرة بسبب سوء تفسيرها للرسالة الإنجيلية. لذلك فالكنيسة يجب ان تنقذ نظرتها الخاصة.

وعلى أية حال فإنّ النقد الذاتي لا يقتضي قبولاً عفوياً للأفكار العلمانية، ولكن أيضاً أن تكون خاضعة لنور الإنجيل، وأن تنقد عند الحاجة. وهذا هو عمل اللاهوت. لذلك فإنّ الوثيقة الراعوية للكنيسة في العالم المعاصر، تؤكد على روحية المجمع الفاتيكاني الثاني، وترفض الأفكار المعاصرة بخصوص الذات. وانها تؤكد بشكل حاد على مصاحبة الإبداع الإنساني. وتؤكد على كرامة الضمير والمحبة الإنسانية الشخصية. فرجاء ولهفة الذات الإنسانية، وتساؤلاتها بخصوص ذاتها وعالمها، هي حقا بيانات منها تبدأ انعكاسات هذه الوثيقة

ان التقليد الكاثوليكي يرفض الأفكار الخاصة بالذات (أو النفس) كتلك التي ألمحنا إليها. إنّه يرفض أصلاً أي فهم للشخص، الذي يتخلص من الله كعامل مكون في تعريف الشخص. وبكلمات أخرى فإنّ التقليد الكاثوليكي لا يعتقد ان الذات يمكن ان توصف وصفا ملائما بدون الرجوع إلى الله. فإنّ ما تراه ليس ما تحصل عليه. الذات تقدم باستمرار علامات كونها تحمل بعداً متسامياً، وإن وعيها علامة قدرة. وهي تستمر في انفتاح وعيها الخاص من خلال طرح التساؤلات على العالم وعلى نفسها. عبر كلمات أوغسطين، فإنّ القلب الإنساني لا يهدأ. وعلامة أخرى على التسامي هي ان الذات الفردية لها رجاء في المستقبل. رغم كل الفروقات حيث تحافظ على الكفاح لأجل ذلك.

تكوين الإنسان

"ان الإنسان الواحد في جوهره، رغم انه مكون من جسد ونفس، يمثل في تكوينه الجسماني ذاته خلاصة لعالم الاشياء التي تجد فيه قمتها، وتستطيع في شخصه ان تمجد الخالق تمجيدا اختياريا حرا.

ولذا يحظر على الإنسان ان يحتقر الحياة الجسدية، بل يتوجب عليه بالأحرى ان يقدر جسده ويحترمه، هذا الجسد الذي ابدعه الله والذي سيقوم في اليوم الأخير. غير ان ما أصاب الإنسان من سهام الخطيئة، يشعره بثورة هذا الجسد. لذا فإنّ كرامة الإنسان ذاتها هي التي تحتم عليه أن يمجد الله في جسده، فلا يتركه خاضعا لنزوات قلبه الفاسدة.

لا ريب ان الإنسان على حق عندما يعتقد انه أسمى مقاما من هذه العناصر المادية، وانه لا يمكن ان ينحط بحيث يصبح في منزلة قطعة من هذا الكون المادي، أو عنصراً لا أسم له في المجتمع الإنساني. فإنّ الإنسان بحياته الروحية، يسمو في عالم الأشياء، فهو ينفذ إلى أعماق نفسه في كل مرة يرجع إلى ذاته، حيث ينتظره الله فاحص القلوب، وحيث يقرر هو نفسه مصيره الشخصي تحت أنظار الله. وهكذا يتعرف الإنسان على نفسه الروحية الخالدة ولا ينقاد لخياله في تفسير وجوده عن طريق الأوضاع الطبيعية والاجتماعية وحدها، بل على عكس ذلك ينفذ إلى أعماق الحقيقة."

من وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني /الكنيسة في العالم المعاصر

إذا لم يكن بالإمكان فهم الذات بطريقة وافية بدون الله، فإنّ العديد من اللاهوتيين اليوم يؤمنون ان التحديد الوافي لله يجب ان يتضمن العودة إلى الذات الإنسانية، فعلى سبيل المثال يحدد اللاهوتي البروتستانتي (شوبرت أوكدن) الله (كموضوع يتأسس في حقيقة ثقافتنا التي لا تزول بالقيمة النهائية لوجودنا). وبالنسبة لكارل راهنر الكاثوليكي فإنّ الله هو الأفق اللامحدود الذي ينحسر نحو اللامتناهي أمام أرواحنا المستفهمة.

ان التفكير بالذات اثر على طريقة عمل اللاهوتيين النظامين اليوم عند الكاثوليك والبروتستانت. فتساؤلات الذات المتحدثة لاختبار ممكن التصديق. او نسبة الإيمان في نتاجات اللاهوتين.

ان أنثروبولوجية اللاهوت الكاثوليكي موجودة تعمل ضمن معايير فهمها الكاثوليكي، فالشخص هو ذات في علاقة مع الله. في وقت هناك احترام كبير بسبب التكامل الوعي الفردي ولكل العناصر المساهمة في المفهوم المعاصر للنفسية الفردية، ربما يبدو التقليد الكاثوليكي متحفظا في اوقات وفي مواقف ضمن المجتمع المعاصر. يؤشر العديد من المدرسيين scholarsإن خواص الكاثوليكية هي تفضيلها لأفكار متباينة متوازنة علاوة على اختيارها واحدة بعد أخرى. فالكاثوليكية تفضل انثروبولوجية تؤكد على الذات الفردية، بينما في نفس الوقت تؤكد على عناصر عامة للشخصانية، وعناصر مثل العقل، النفس، وعلاقة مع الله الذي يتصل بكل الناس أينما كانوا، وبدون أي تقدير للشخصانية فإنّ التأكيد المعاصر للذات يمكن ان يصبح عبداً للذات. لذلك فإنّ الناس فقدوا القابلية على تجاوز رؤيتهم الخاصة إلى الأمور لأجل الحوار مع الآخرين، ومنهم كي يخلقوا العالم حيث مختلف الأشخاص يمكن ان يعيشوا بانسجام. ذلك الاقتراب الذاتي الفردي يكمن من

خلال العلاقة في الموضوع الرابع للانثروبولوجية الكاثوليكية.

الشخص كإجتماعي

"ان ما يجب أن نهدف إليه هو الإنسانية الكاملة..... حيث لا يوجد تقدم نحو تطور كامل للانسان بدون تطور متزامن للانسانية بروح الاخوة."

البابا بولس 6 في تطور الشعوب (42، 43)

ان الصورة الاجتماعية للشخص، واتصالها بالأشخاص الآخرين والأشياء في العالم قد تجذرتا بعمق في التقليد الكاثوليكي. لقد رأينا كيف ان القديس اوغسطينوس ميز الاتكال المتبادل بين سلوك الأشخاص ونظام العالم. وعلى الرغم من ان القديس توما الاكويني تحدث بخصوص الضمير(أو الوعي) الشخصي، والذي لم يتطور كنظرية بخصوص الحقوق الفردية. وبدلا من مناقشته للواجبات الاجتماعية للأشخاص التي عالجها في "حالة الحياة" والعلاقات، فعلى سبيل المثال: هل هم تزوجوا أم هل هم عزاب،أم مكرّسون، أم أغنياء، أم مسؤولون،أم... الخ. إن الوصية العظمى: " أحبب قريبك كنفسك" ألهمت تقليداً واسعاً للتعساء الذين هونت عليهم بالعطف في المسيحية. وأخيرا، فإنّ نظام الأسرار الكاثوليكي أسس علاقة بين الشخص والاشياء المادية، حيث قد تتوسط النعمة كما هي بين الشخص والجماعة الكنسية، وتتأسس من خلال الروابط الأسرية.

بسبب الازدراء من التعليم العميق هذا، فإنّ الطبيعة الاجتماعية للشخص لم يتم التأكيد عليها في التاريخ الكاثوليكي. وعادة فإنّ متابعة القداسة الفردية كانت الحالة

المسيطرة على الحياة الروحية للكاثوليك، واستقرت في الحياة الرهبانية والمكرسة كي تعبر عن شكل اجتماعي اكثر للمسيحية. ان المشاركة في قضايا العالم قد تم النظر اليه عبر الحط من قيمة إمكانية الكمال الروحي، لأن العالم (أو لأنه) اعتبر اسفل تركيبة من كون ذي تركيبتين. وعندما حان الزمان فإنّ هذا الإيمان اصبح فكرة بدون دليل بشكل قاطع، لان العالم العلماني كان مناوئاً للاتجاهات الدينية للشخص. ومن هذه الرؤية الموضوعية (رؤية الأمور على حقيقتها) فإنّ الحقيقة التاريخية لملكوت الله أصبحت الكنيسة نفسها وتركيبتها العضوية.

استرجعت في هذا القرن الطبيعة الاجتماعية للشخص، كي تبرز في التعليم الكاثوليكي من خلال موضوعين عامين: الصورة الأقدم للشخص الذي اصبح مقدسا عبر العيش ضمن الجماعة المسيحية، والصورة الثانية الأحدث، والتي تتحدث عن إلزام الأشخاص للمشاركة في النظام الاجتماعي وتحويله.

ان الأمثلة عن الشخص في الجماعة تتجوهر في وثائق الفاتيكاني الثاني، فالمحبة المتبادلة للمتزوجين تم التحدث عنها كعنصر أساسي في الزواج، والذي هو نواة الجماعة المسيحية. فالأزواج يصبحون مقدسين من خلال علاقتهما الواحد بالآخر ومع الأطفال.(دستور عقائدي في الكنيسة11،دستور راعوي حول الكنيسة في العالم المعاصر 48-51). فالكنيسة نفسها يعبر عنها عبر مصطلحات اجتماعية كشعب الله (د،ع 2)، وكصورة ذات جذور روحية وأبوية. أما ما هو الجديد في وصف المجمع فهو ان السلوك الذي سيطر على الجماعة، اشترك مع هذه الصورة. ان العلاقة داخل شعب الله يجب ان تكون ناضجة رغم كونها هرمية. لذلك فإنّ مشاركة الأعضاء هي مشجعة، والأساقفة يتعلقون الواحد بالآخر بطريقة مجمعية، ويكونون خداما لشعبهم.

وبالنظر إلى الموضوع الثاني الخاص بالتحول الاجتماعي، فإنّ المجمع يعلّم ان الكنيسة يجب ان تنفخ نور الإنجيل (د،ر 41؛57-59) في النظام الاجتماعي. والقديس توما الاكويني يحتفظ بالدولة والكنيسة كي يعهد الواحد إلى الآخر، ويمهد الاثنان لأهداف الشخص الروحية، كل في ميدانه المنفصل. واليوم، عالم الحدث الكنسي والدولي يستندان الواحد على الآخر (د،ر 42). إن كنيسة الفاتيكاني الثاني تفهم انه من الأفضل (أو الأسوأ) – مثل الزواج -، ان يكون لها موضوع في العالم. لذلك فإنّ تقدمها هو مع العالم. وعلى نفس النمط، فإنّ كرامة ورفاهية الشخص تعتمد على حالة النظام الاجتماعي. وإن هذا التثمين الجديد للاعتماد المتبادل للكنيسة، والمجتمع، والشخص، يقودنا إلى انعكاس الوضع الروحي الآنف الذكر دراماتيكيا (أي القداسة والأنفة من العالم) وتفسر " كأكثر الأخطاء الخطيرة في عصرنا" (د، ر 43).

هل إن زيادة التعقيد في النظام الاجتماعي يعني ان الكنيسة ستحاول إعادة تعهد الشكل الأقدم للكاثوليكية والتي به حاولت لعب دور قيادي في النظام الاجتماعي، وغالبا ضمن اسلوب اوتوقراطي؟ تؤكد وثيقة المجمع بصراحة على ذاتية الحكم "على الأشياء" في المجتمعات، وميادين المعرفة، والقيم العلمانية المتوافقة مع الإنجيل (د،ر 36 / 7 5, 42 .cf). إضافة إلى ذلك، هل إن معنى تأثير نظام المجتمع سيكون اقل هرمية مما كان في الماضي؟ أم إن الحوار والمشاركة والتأثير المتبادل هي تفاصيل للتفاعل المتبادل الذي تم جعله ضمن رؤيا الفاتيكاني الثاني. ان الشخص الذي يحمل نور التقليد الكاثوليكي للنظام الدنيوي هو علماني فردي وليس ضابطا كنسيا. فهو (أو هي) يفعل هذا من خلال إعلان البشارة، وحتى من خلال العمل الإنساني الذي يحول المواد والثقافة ويعلن طبيعة الشخص الخالقة والكريمة.

ان بعض الأسئلة غير المجاب عنها بخصوص العلاقة الجديدة بين النظام الاجتماعي والشخص في الكاثوليكية بحاجة إلى عنونة حتى بعد المجمع. فهل على الكنيسة أن تحث أعضاءها كي يضغطوا على التجمعات والمؤسسات ومنها الأمم المتحدة. وهل على المسيحي الملتزم أن يكرز رسميا حيثما يكون هناك حلول وسط مثلاً؟ وهل على الشخص الكاثوليكي العلماني الزام فقط، ليصغي باحترام، أم أيضاً أن يطيع عندما تتحدث الكنيسة بخصوص المواضيع الاجتماعية مثل الاقتصاد والسلام؟ وما هي إرادة الكنيسة كي تخاطر في أماكن حيث كرامة الإنسان تسحق في وقت كتابة هذه الكلمات؟ وهل الضغوط المنطوية تحت هذه الأسئلة تلقنا الرجوع إلى الخلف نحو فهم للشخص، وللمشروع الإنساني الأكثر فردية وروحية؟

بدون شك ان العمل الذي يعكس تعاوناً متبادلاً إنسانياً بين الكاثوليكي والنظام الاجتماعي سيكون مشروعا متقدما. على أية حال، هناك تطور مهم في العالم. فالأساقفة الأمريكان اصدروا رسالتين رعويتين: واحدة عن السلام والأخرى عن الاقتصاد، كان لها تأثير عالمي. توصي بالعدالة التي تحاول تغير الأنظمة الاجتماعية، واعتادت على أن تلحق بها إجابات التقليد –الرحيمة – لمشاكل المجتمع. وفي أمريكا اللاتينية تطور مهم، هو تكوين جماعات القاعدة الصغيرة. وهذه الجماعات تغذي الإيمان الداخلي للناس، وتدفعهم إلى تحويل نظام مجتمعهم. انهم يشكلون طريقا جديدا لكيان الكنيسة، ويمثلون التوجهات العامة والمجتمعية لانثروبولوجيا الاعتماد المتبادل أي (التعاون المشترك).

ان الدعوة إلى تحويل النظام الاجتماعي تستلزم فهم الطبيعة الاجتماعية للشخص، وهي موضوع جديد يهم الانثروبولوجيا الكاثوليكية، حيث تمتلك إمكانية جلب الكاثوليك واتباع بقية التقاليد للذين يرغبون في إعادة حل

المشاكل كالجوع والتشرد والكوارث البيئية والحرب. لذلك فإنّ هذا الموضوع سيخلق روحية جديدة سيحملها الشخص، ومسؤولو العالم والعلاقات الاجتماعية حقا يؤكدون على سر حضور الله في الحياة الإنسانية.

الاستنتاج

إن علم الإحياء لا يفهم أن للإنسان بيئة خاصة كي يحيا بها. وبدلا من ذلك فالإنسانية يجب أن تخلق بيئة وثقافة تحوي أشياء عديدة بحاجة إلى أن تحيا، متضمنة أدواراً وقواعد أخلاقية للسلوك الإنساني. إن أرضية هذه الأخلاق هي مؤسسة اكثر على الإيمان المؤسس والذي يحدد الشخص. ذلك التحديد هو حاسم بما انه يشكل كل شخص إنساني جديد ولد في ثقافته ومجتمعه

يتضمن علم الإنسان في هذه البواعث ما هو لاهوتي انثروبولوجي، لان كل باعث يفسر الشخص رجوعا إلى الله. وكصورة الله فإنّ كل شخص له كرامة وكفاءة وحرية ومسؤولية أرضيتها هي في فعل الله الخلاق، هذه الحالة لا يمكن أن تلغى من خلال الشخص، ولا أن يتم التجاوز عليها من خلال المجتمع.

يعمل الله في الدافع الثاني: الخطيئة، والخلاص، كمخلص، أو كمحور يساعد الشخص على ان يكون ما وجب أن يكون، أي أن يكون جيدا ضمن التاريخ الشخصي والاجتماعي أيضاً والذي عادة يؤشر بالشر.

الدافع الثالث: الذات تميز تلك القراءة أمام الله. إن الانعكاس الذاتي لا يمكن أن يفهم بكفاءة دون الرجوع إلى الله كهدف للجهد الإنساني، وأساس التساؤل، والرجاء الإنساني. إن تسامي أوجه الذات نحو ذلك هو اكثر منها، لذلك لا تستطيع أن تنزل إلى ما كان، أو ما تم لأنها ذات علاقة مع الله، كمصدر للإمكانية.

إن الطبيعة الاجتماعية للشخص تتأسس في لاهوت الخلق، وهذا اللاهوت يهدف إلى خلق الشخص ضمن سياق خلق كل شئ، ويشرح الشخص الإنساني كصورة الله.

إن انثروبولوجية الاعتماد المتبادل والمساواة في العلاقة تصبح ممكنة. وتصبح دالة في الأخبار السارة في الإنجيل. لذلك على المسيحيين " أن يكونوا واحدا كما أنا والاب واحد " (يو 16: 22) وان يصلوا ليأتي ملكوت الله على الأرض، كما في السماء. وعندما يشرح الإنثروبولوجي* المسيحي هنا، فإنه يفهم ويتفاعل. إنه موجود بالقوة ليصبح رؤية مفروضة على كل ما هو ذي معنى كي يصبح إنسانياً. لقد أكد البابا يوحنا 23 – الذي مهد للمجمع الفاتيكاني الثاني -: ان الكنيسة لها النور لتتقاسمه مع كل الناس، نور حيث العالم بحاجة اليه. وربما هو ضمن وسطه الانثروبولوجي، وأكثر مما هو في أي مجال من مجالات اللاهوت. وتلك هي حكمته وبصيرته التي يمكن أن ترى بوضوح أكثر.

أسئلة

1_ ماذا يقصد الكتاب المقدس بقوله أن الشخص الإنساني خلق على صورة الله، وماذا يحفز هذا القصد للاهوت الانثروبولوجي؟

2-كيف يجب أن تفهم الخطيئة الأصلية؟

3-ما هو المفهوم المعاصر "للذات" والذي نميزه عن المفهوم التقليدي "للشخص"؟

4-كيف تلخص الموضوعين أدناه، وكيف ان كل واحد يتأسس لاهوتياً: أي الشخص في الجماعة، والتحول في النظام الاجتماعي.

---

* **علم الإنسان: وهو يبحث في أصل الجنس البشري، وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته**

الفصل السابع

اللاهوت الأدبي
الإيمان وطريق حياة المسيحي
الإيمان والأخلاقية المسيحية

ان جوهر حياة المسيحي، هو الإيمان بيسوع المسيح. والمسيحيون يعرفون المسيح كابن الله، الكلمة الأزلي المتجسد من الآب، ويسوع هو الوسيط بين الناس والله، والذي علم اتباعه ان يدعو الله " أبا " الآب لأجل إعلان القرب من الله. عبد المسيحيون بعد يسوع الإله الحقيقي خالق كل شيء. فالله، هو المصدر اللامتناهي للجودة ومقياس كل شيء. وعلاوة على ذلك؛ وكما وعد يسوع، فإنّ المسيحيين نالوا الروح القدس الذي قادهم في طريق الله. إن العيش وفق الروح القدس يعطي قوة دافعة وتوجه لحياة المؤمن. وباختصار، فإنّ الإيمان المسيحي بالله الثالوث يجعله (أو يجعلها) شخصا جديدا كما هو (أو هي) يكون في علاقة شخصية مع المصدر الشخصي وقياس كل صلاح.

يستخدم طريق واحد في تحليل صور مضامين الذات الحاملة للإيمان المسيحي في عقيدة مفهوم حق الاختيار الأساسي (لبرنارد هارينغ). لقد ربط هارينغ مفهومين كتابيين، العهد والقلب، كي يكشف عن الأسس الأساسية للحياة المسيحية. يؤكد الإنجيل ان الله أعطى لكل شخص عهدا جديدا من خلال يسوع المسيح. وتبعا لذلك، فإنّ كل الناس يستطيعون أن يصبحوا مسيحيين من خلال وضع قلوبهم في المكان الصحيح. وإيداع كل حياتهم لدى الله. ان حق الاختيار الأساسي هو ذلك الفعل الحر للإيمان – بإيداع قلب الشخص ليدخل في عهد مع الله، والذي اصبح ممكنا بواسطة يسوع المسيح.

وكما عبر هارينغ، فإنّ حق الاختيار الأساسي ليس حقاً خاطفاً (أي سريع الانقضاء) للاختيار الذي يعمله الشخص، كما يقال لأول وهلة، شاب يقرر العماذ رغم انه متعلق بالتوجه الأساسي لحياة الشخص – حيث ينطوي قلب الشخص. انه ليس عمل شخص ما، ولكن فوق كل شيء هو اتجاه قرارات وأفعال مختلفة ومتصارعة تتضمن حياة الشخص.

إن حق الاختيار الأساسي للمسيحي هو مقرر بواسطة الشخص. انه ليس ولا يمكن ان يكون مقررا من قبل الآخرين. وكنتيجة فإنّ حق الاختيار الأساسي يعد خط الأساس الذي منه ترى وتقاس الأفعال الخاصة في نطاق حياة المسيحي. ان حق الاختيار الأساسي للإيمان بالله، وللدخول في العهد الذي أعطاه الله، يستحضر محبة الله ومحبة القريب مثلما يحب الذات كي تقاد وتقاس الأفعال الخاصة في نطاق حياة الشخص. وللإرشاد، فإنّ انموذج محبة الله ومحبة القريب تخدم المسيحي الذي يتعهد قرارات عظيمة للحياة، إذا كانت زواجاً أو حياة دينية، مهنة، أو وظيفة كخبرة حق الاختيار. وكقياس فإنّ محبة الله والقريب تشكل قاعدة بها يحكم المسيحي على أعماله المؤكدة كي يعيش دعوة الله إلى المحبة ثم نتائجها في الوعي المسيحي بالخطيئة.

اللاهوت الأدبي

اللاهوت كمغامرة أكاديمية يرسم موضوعه من وجود المسيحي كجماعة إيمان بيسوع المسيح. فالمسيحيون يجدون أنفسهم يصلون، ويقرأون الكتاب المقدس، ويسعون ليصبحوا أحسن الناس، ويواجهون مشاكل الحياة اليومية. الآداب المسيحية، التي هي الإيمان وعيش المسيحية، ناظرين إلى ما هو صالح وشرير، وما هو صح وخطأ في عيشهم كل يوم، صار جزءاً من المسيحية منذ تعاليم يسوع

والرسل. وحتى القرن السادس عشر ألبس الأساقفة واللاهوتيون المسائل الأدبية كجزء من الحلة الكاملة للتعليم المسيحي. حيث لم تكن هناك مساحة خاصة للاهوت المتعلق بالأخلاق على وجه التحديد.

وعلى أية حال، ففي زماننا الحاضر تطور اللاهوت كاختصاص في حيز من الآداب.إن حقل اللاهوت الأدبي يسمى ذلك الجزء من اللاهوت الذي تعتبر الآداب المسيحية مسألته الموضوعية. هذا التخصص يتطور مع التقليد الكاثوليكي كجزء من الكنائس الكاثوليكية التي تحاول المقابلة مع الاصلاح اللوثري. إن المجمع التريدنتيني (1545 – 1563) شدد على أهمية الأسرار السبعة خصوصا سر التوبة. واعتبر المجمع إن كل كاثوليكي عليه أن يعترف بسلسلة خطايا نوعية وعددية. كان اللاهوت الأدبي الفصل الدراسي في المعاهد الكهنوتية كي يتعلم الطالب التعامل مع سر التوبة.

كانت العديد من الأشكال المميزة وسياق حقل اللاهوت الأدبي معروفة من خلال المتعلقات العملية للتعامل مع هذا السر. وكل كاهن هو بحاجة لمعرفة لا فقط أشكال التمرين، ولكن أن يكون له ملء القدرة للاستجابة إلى أي سؤال حول كون مسألة الخطيئة خاصة أم لا. وبالنظرة إلى ممارسة الاعتراف بالخطايا، فإنّ الحقيقة بالنسبة للنادم هنا هي ذات أهمية مساعدة.

إن النادم يأتي إلى الكاهن وقد امتحن ضميره الخاص أن يكون واعياً لإرتكابه أفعالاً محددة، هو يعلم انها ستكون خطايا. وربما هو أيضاً في شك بخصوص أشياء ستحدث، ويبحث عن دليل أدبي من معرفه. انه يتوقع من الكاهن أن يكون حاضرا وذا إرادة وقادراً على دقة وسرعة إعداد هذا الدليل.

لقد كان فصل الدراسة في اللاهوت الأدبي يهدف إلى تحضير الكاهن لهذه الوظيفة. ولمدة اربعمئة سنة بين

المجمع التريدنتيني والفاتيكاني الثاني، فإنّ فصل الدراسة هذا كان يتضمن عادة – في عمل واحد – عدة أجزاء تتعدّى "الدليل" إلى اللاهوت الأدبي. وكل دليل كان عادة مقسماً إلى جزأين، اللاهوت الأدبي العام، واللاهوت الأدبي الخاص. لقد تضمن اللاهوت الأدبي مواضيع مثل طبيعة اللاهوت وتحليل الفعل الإنساني والضمير والقانون وهلم جراً. إن جميع هذه المواضيع كانت طبقا إلى تصنيف القديس توما الاكويني. وعلى أية حال، فإنّ الجزء الأعظم من الدليل كان متعلقا بلاهوت أدبي خاص، يناقش بشمولية مختلف أنواع الخطايا لأجل تحديد هوية الخطايا المميتة وغير المميتة (العرضية). لقد تضمنت المميتة الرفض المباشر لله وتبعا لذلك خسارة نعمة الله الخلاصية. إن إرتكاب الخطيئة المميتة يتطلب ثلاث حالات كي تكتمل:

1 – وجود المسائل المميتة (الجسيمة).

2 – أن يتعامل معها الشخص بحرص ينعكس على تصرفاته.

3 – أن تتم برضى الشخص الكلية.

أما الخطيئة العرضية فهي أية خطيئة تتدهور باتجاه المميتة.

كي ندرك عدة مواضيع في الحياة الأدبية، فإنّ (الدلائل) نظمت الخطايا طبقا إلى انتهاكات الوصايا العشر، أو الفضائل الإلهية. فمع كل تصنيف قائمة طويلة لحالة نوعية تم طرحها، تظهر كي يتم التعامل مع نماذج قياسية للخطيئة المميتة في كل حالة. ان هذا التعامل لنظام ضيافة حالات الخطيئة المميتة دعي (casuistry)، وهو فن أو علم التعامل مع نماذج معيارية عامة للخطيئة المميتة ذات الأفعال الأدبية الخاصة. وكان كل كاهن يتوقع التمكن من التحليل، وأن يكون قادرا على الاستجابة بأسلوب مقبول مع مختلف أشكال الندامة المتعلق بكل شكل من الخطايا.

لقد تغير اللاهوت الأدبي منذ الحرب العالمية الثانية، وتفصيليا بعد المجمع الفاتيكاني الثاني. وقد توقف منهاج تدريس الدلائل. وبالإضافة إلى ذلك فهناك تغير رئيسي آخر في اللاهوت الأدبي تم بسبب التغير الاجتماعي.

بدون شك إن اللاهوت حدد للكهنة كي يتثقفوا به في المعاهد الكهنوتية. والعديد من اللاهوتيين الأخلاقيين هم الآن في الجامعات. واليوم يواجهون تحدي تثقيف طلبة الكليات والمعاهد، وعلاوة على ذلك فإنّ هناك اليوم علمانيين أساتذة في هذا الاختصاص من الرجال والنساء. ان هدف التثقيف في الجامعات مختلف مما هو في المعاهد الكهنوتية خصوصا في سياق الحياة الأسرارية التي لابد منها للكنيسة.

وكنتيجة لذلك فإنّ اللاهوت الأدبي تقدم ليصبح أشبه بعلم الأخلاق المسيحية، وهو المصطلح العام عند العلماء البروتستانت لمراجع ذلك الفرع من اللاهوت الذي يختبر الصور الأدبية للحياة المسيحية. لقد تطور كحقل متخصص مع اللاهوت البروتستانتي فقط في مائة السنة الأخيرة. تواجد هذا التخصص في كليات وجامعات بروتستانتية تمركزت على تحضير الطلبة للعيش في مجتمع يزداد علمانية. إن اللاهوت الأدبي يكتفي بالمسيحية خصوصا في مبادئه وأفكاره، وقد كان متعلقا بالموضوع لأجل تنظيم المجتمع.

وكنتيجة للاتجاهات الحالية في كلا التقليدين. فإنّ العلماء الكاثوليك والبروتستانت يقرأون بتواتر أعمال أحدهم الآخر. ولأن إعادة الرؤية مستمر فإنهم أوجدوا مصطلحا جديدا " اللاهوت الأخلاقي" للدلالة على التخصص اللاهوتي في الآداب والتي عنونت إمَّا اللاهوت الأدبي أو الأخلاق المسيحية.

قضايا في اللاهوت الأدبي
الأخلاق المسيحية
لاهوت الأخلاق

آيات الكتاب المقدس كمصدر للآداب

إن الكتاب المقدس هو مصدر حياة وإيمان المسيحيين. ولكن المشكلة هي وجود مجابهة بين الأخلاقيين المسيحيين واللاهوتيين الأدبيين من أجل فهم عدة طرق يشكل فيها الكتاب المقدس الآداب المسيحية والحياة الأدبية المسيحية.

في وثيقة إصلاح الحياة الكهنوتية يلقي المجمع الفاتيكاني الثاني (62 – 1965) الضوء على هذه النقطة في دعوته إلى تجديد اللاهوت الأدبي خصوصا ما هو موجود في دلائل اللاهوت الأدبي:

> "كما يجب بذل عناية خاصة في الوصول بعلم اللاهوت الأدبي إلى كماله. فيجب أن يؤدي العرض العلمي لهذه المادة، متشبعاً أكثر بتعليم الكتاب المقدس، إلى توضيح سمو دعوة المؤمنين في المسيح والتزامهم بحمل ثمار في المحبة لأجل حياة العالم"

من مرسوم في التكوين الكهنوتي

ارتأى المجمع تصحيح عدد من المشاكل التي أثرت على نظام اللاهوت الأدبي بالاستناد إلى استخدامه لآيات الكتاب. دعونا نثبت ملاحظتين: الأولى، إن المسائل بالعموم، ترى إن دلائل اللاهوت الأدبي تشد على ثقل صور القانون في آيات الكتاب، ولأول وهلة الوصايا العشر. ولكن آيات الكتاب تحوي أكثر من قانون. ثانيا، إن الدلائل بصورة خاصة تتبع القانون الطبيعي والحق القانوني. فالآيات يجب أن تظهر اكثر عادية في دور سياق البرهان،

ذلك لأن النص الكتابي يظهر بعد صياغة النص، لذلك يبدو إن الجملة تصاغ قياسا إلى آيات الكتاب. المشاكل مع مضمون سياقات النصوص، أولا، انها تذهب بعيدا عن السياق. ثانيا، الآيات لم تكتب كي تكون مع قالب الجملة الأدبية.

استنادا إلى المجمع الفاتيكاني الثاني، فإنّ الرجوع إلى الآيات الكتابية يجب ان ينجز برفقة احسن علماء الكتاب المقدس. لذلك فإنّ النص الكتابي يجب ان يفهم وفق نصه الأصلي وسياقه القانوني لذلك يستطيع المسيحيون معرفة ماذا يريد النص والرجوع إلى ما يتعلق بالنص المطروح الآن كي يقرروا ما وجب ان يعني اليوم

آيات الكتاب المقدس، القصة، والرمز

يشدد بعض اللاهوتيين اليوم على أهمية القصصية في اللاهوت، هذه المدارس تقترح ان آيات الكتاب مملوءة من قصص تظهر الحقيقة بخصوص الله والجماعة. ان دور آيات الكتاب بالنسبة إلى الحياة الأدبية أكبر من الوصايا التي أكدت عليها الآيات الكتابية. فإنّ المدى الكلي لقصص الكتاب المقدس يتحدّث لنا عن الله، والعالم الذي نعيش ضمنه كخلق لله والطبيعة وقصد إنسانيتنا في العلاقة مع الله. وباستخدام هذه القصص ينار العالم الذي نعيش فيه كما تتوضح إمكانيات عيشنا وكوننا فيه.

يلاحظ اللاهوتي (ستانلي هاورواس) انه لم يكن حدثاً وضعياً، إن كل بشير يقولب مشروع كتابة إنجيل يسوع بشكل قصة حياة وموت وقيامة. ان المعرفة الكنسية ليسوع هي أشبه بقصة. لذلك فإنّ معرفة يسوع – أي القصص التي سردتها الكنيسة عن يسوع وعاشت وفقها – الشخصية تصبح مصاغة لرجل وامرأة يعيشان حياتهما بالعلاقة مع يسوع، والله أبي يسوع، والفارقليط هو الروح الذي يُرسل بيسوع. هذا الروح القدس يعمل داخل كل

مسيحي. وحينما يأتي المسيحيون ليروا هذه القصص خاصة بهم، تنعكس عليهم، ويستخدمونها كدليل حياة.

خذ لوهلة شخصاً معاقاً، يسأل الذين يساعدونه (لماذا تساعدونني؟)، الجواب بسيط (أريد أن أكون السامري الصالح). هذا الرجوع إلى السامري الصالح، يعني ان الشخص يعمل بطريق يسترشد بها من خلال قصة السامري الصالح. عموما ان مدى إمكانية انتباه الشخص تعتمد على إمكانية القصص التي يعرفها، والتي هي قادرة على قيادة أفعاله.

بالتأكيد إن هذا الطريق يجلب انتباه المسيحي، وبالتالي ستتكون شخصية مسيحية. إن جزءاً من حياة المسيحي وتطوره هو، كي تشرح أعماله من خلال حساب مسيحي لها. أكد (مارتن لوثر كنغ) إن الإنسان لا يجب ان يحكم "حسب لون جلده ولكن حسب مضمون شخصيته"، فنحن غالبا ما نربط الشخصية بالكمال. ونحن نثق بالشخص الذي يعمل وفق سياق أدبي.

إن الرمز لم يُعطَ له طبيعة، ولا هيئة بايولوجية، مثلا أن يكون له عينان زرقاوان، ولا وفرة في الحياة الاجتماعية، كأن يكون له مائدة عشاء جيدة، ولا دور لهمّة ذاتية. إنها مسالة شكل يعطيها الشخص له (أو لها) ويعزوه إلى الطبيعة والتربية. وبكلمات أخرى، فإنّ الشخصية ليست تحت القضاء والقدر، ولكن هي طريق للتكون الذي ينظم ويعطي تناسق الأفكار إلى مختلف العناصر التي يبدو انها أعطيت بتأثير الوراثة والبيئة، وتبعا لذلك الأشكال الشخصية لحياة الإنسان.

ان قصص حياة القديسين تعطي لنا معرفة شخصية لمحبة الله العظيمة لنا. فمثلا في اعترافات القديس اوغسطين، ان مذكراته المبكرة لازالت تقرأ اليوم بشكل صلاة لأجل رؤية الله بوضوح وما يعمله لأجل الناس. واكثر من ذلك، فإنّ بعض المسيحيين يحيون اليوم كلام الأم

تيريزا على سبيل المثال، التي تعمل كالقديسين، لأن قصصها تعلن نعمة الله وإن باستطاعته تحويل حياة الناس.

الفضيلة والفضائل

ليس العيش وفق الآداب مسألة سهلة، فما هي متطلبات " جعل الأشياء تعمل بشكل صحيح؟ " إنه ليس كافيا معرفة ما هو الصحيح كي نعمله فحسب. هناك أوقات يعلم المسيحيون ماذا يجب أن يعملوا، ولكنهم لا يعملوه. ورسالة بولس الرسول إلى رومية تقول هذا الشيء:

> " لا افهم ما اعمل، لان ما أريده لا اعمله، و ما اكرهه اعمله. وحين اعمل ما لا أريده، أوافق الشريعة على انها حق. فلا أكون أنا الذي يعمل ما لا يريده، بل الخطيئة التي تسكن في، لأني اعلم ان الصلاح لا يسكن في، أي في جسدي. فإرادة الخير هي بإمكاني، وأما عمل الخير فلا"

(روم 7: 15-24،19)

المشكلة هي في ضعف الإرادة، فالشخص يعرف ما هو الصحيح ويرغب عمله، ولكنه لا يفعله. هذه هي خبرة عامة.

ان الطريق الوحيد لفهم هذه المسألة هو التحدث حول العادات أو المزاج (الطباع) فمثلا تختار الإقلاع عن السجائر، ولكن لا تستطيع بسبب العادة القوية. وهي (أو هو) تعاطت السجائر لسنوات واختبرت صعوبة الإقلاع عنه. وكالعديد من المدخنين أدركت ان قوة الرغبة ليست كافية. لذلك تستمر في رغبتها الشخصية لتعد نفسها لتؤدي هذا العمل مرة أخرى. وبالطبع إن كل العادات سيئة للصحة كالتدخين. إن اغلب قدراتنا، مثل السير والركض، أو الأكثر تعقيدا مثل قيادة الدراجة الهوائية والقراءة والحاسوب، هي حقاً عادية، وكما نقول في هذه الكلمات

"التمرين يصنع الكمال"، لذلك فإن معظم ما نحن عليه، وما نستطيع أن نعمله، هو موجود وفق تطور قدراتنا للعادات الأحسن.

نتكلم أخلاقيا ونقول إن هناك عادة اسمها الفضيلة؛ عادة كمال قدرة الإنسان وإمكانيته. فالكمال يتطلب صورتين. ليتعلق أحدنا بالعمل الممتاز، وذلك هو ان يكون قادراً على عمله جيدا. أرجع بفكرك إلى الزهو الذي يشعر به كل واحد منا عندما يتعلم أخيراً انه لا قيادة الدراجة بيدين ولكن بيد واحدة. لأنه على أية حال ملء معنى الكمال، وفعل العادة بحاجة إلى توجيه نحو الأمام لأجل هدف جيد. خذ سائقين، الاثنان ذوا مهارة عالية، ولكن واحد منهما سارق بنك يهرب بالسيارة، والثاني هو ضابط شرطة يلاحقه بحماس. إن هدف ضابط الشرطة هو ممتاز لأن السرقة تخرب الخلق الأدبي.

ومثلما هناك العديد من الفضائل، فهناك إمكانيات إنسانية تضمنها. ولكن البعض اكثر أهمية من الأخرى للعيش وفق الآداب. فاليونانيون حددوا أربع فضائل أساسية تتصل بكل الفضائل الأخرى، وهي خصوصا: الحكمة والعدل والاعتدال (ضبط النفس) والشجاعة. فالحكمة اسم لفضيلة معرفة ما هو صحيح كي نعمله في أي مسألة علمية. والعدالة هي فضيلة إعطاء الآخرين استحقاقهم. والشجاعة هي القابلية على التغلب على المشقات والعقبات بواسطة الأعمال الصالحة. ان غياب أي واحدة منها، هو علامة سلبية للآداب الحسنة.

إن الفكر المسيحي يتجذر في آيات الكتاب المقدس الذي يضيف ثلاث فضائل أخرى، أي الفضائل اللاهوتية، الإيمان والرجاء والمحبة. كصيغة رسمية للحياة المسيحية. إن الإيمان يعني ثقة المؤمن بالله، ووعده بالخلاص من خلال يسوع المسيح. والرجاء هي فضيلة مقاومة اليأس، والسعي إلى الأمام نحو ملء وعود الله في المستقبل.

والمحبة أو الحب هي أن تكون كل شيء، وكمال الحياة المسيحية: محبة الله والقريب

تختلف الفضائل اللاهوتية عن الأساسية بأنها عطايا الله. فعند المستوى الأعمق لا يوجد إنجاز إنساني ولكن تأثيرات للنعمة الإلهية. لذلك فإنّ فضائل الإيمان والرجاء والمحبة الإلهية لا تكتسب من خلال المادة كأعمال محددة كعادات طبيعية. ولكنها تجعل توجيه كل الشخص الإنساني نحو الله ممكنا. وأخيرا فإنّ المحبة: محبة الله، ترتب مختلف مراحل الحياة الأدبية، فإنّ اختلاف الفضائل والأفعال التي توحدها تنصب في حياة كلها موّجهه إلى الله. فالجودة الحقيقية تتطلب التوجه الشديد نحو الصلاح والله

أخلاق الكيان وأخلاق العمل

الأخلاق هي طبيعة الآداب. وهما مراراً ما تحسب اثنتين مختلفتين تتنافسان، وحتى تعتمد الواحدة على الأخرى. ان الطريقة الوحيدة هي فحص أخلاق الكيان. فأخلاق الكيان تتمركز على نوعية كيان الشخص. لذلك فإنّ خط فكر هذا الفصل اعتمد على أخلاق الكيان والذي يدعى الآن بالفعل الأدبي، وأخلاق العمل. ومن جانب آخر هو طريق التفكير بالحياة الأدبية. إن أخلاق العمل تتمركز على الفعل الصحيح، على صنع القرار. فماذا يجب ان يعمل المسيحي بخصوص أعماله؟ ربما القارئ يسقط في أية مواضيع أدبية تربكنا اليوم: الإجهاض، الحرب والسلام، والقتل الرحيم، والجريمة، والمخدرات، والطلاق، والاستغلال، والتميز العنصري، والإساءة إلى الأطفال، والفقر، والأسئلة الجنسية، الاغتصاب، الخيانة، وأية صفة متعلقة بها. بالنسبة إلى الشخص، إن أخلاق العمل تمركز اهتمامها على تكوين ضمير الشخص، ماذا يجب أن اعمل؟ على أساس أية قاعدة يجب أن اصنع قراراتي؟ كي نجيب على هذه الأسئلة يجب أن نحلل طبيعة الضمير.

الضمير

استخدمت كلمة "الضمير" من قبل الناس بطرق مختلفة، ولكن في اللاهوت الكاثوليكي لها معنى واضح. يقدم المجمع الفاتيكاني الثاني في (دستور عن الكنيسة في العالم المعاصر) التعليم الكاثوليكي بخصوص الضمير بشكل موجز

كرامة الضمير:

يجد الإنسان في أعماق ضميره شريعة لم يفرضها على ذاته. ولكنه يشعر بوجوب الامتثال لها. وهذا الصوت الذي لا ينفك يحثه على محبة الخير وممارسته وعلى تجنب الشر، يهتف في أعماق قلبه، في الوقت المناسب: (افعل هذا وتجنب ذاك). و لا غرو فإنّ الله قد طبع هذه الشريعة في قلب الإنسان، وكرامة الإنسان منوطة بخضوعه لها و هي التي ستدينه.

إن الضمير هو مركز الإنسان الخفي وهيكله الذي يختلي فيه مع الله، والذي فيه يسمعه الله صوته. وهذه الشريعة التي تكتمل في محبة الله والقريب، تنكشف للضمير بصورة عجيبة. والمسيحيون، إذا أرادوا أن يخلصوا لضميرهم، يجب عليهم بالاشتراك مع سائر الناس ان يستقصوا الحقيقة ويبحثوا عن الحلول العادلة لتلك المشاكل الأدبية الكثيرة التي تهز الحياة الفردية والحياة الاجتماعية على السواء. وبقدر ما ينتصر الضمير السليم بقدر ذلك يتجنب الأفراد والجماعات التهور الأعمى، ويتوقون إلى المحافظة على مقاييس الأخلاق.

الا ان الضمير كثرا ما يضل بسبب جهل طارئ يستحيل التغلب عليه، وهو في هذه الحالة لا يفقد كرامته. في حين يفقدها الإنسان الذي قل اهتمامه بالبحث عن مواطن الحق والخير وذاك الذي تعود ارتكاب الخطيئة فتطرق العمى تدريجيا إلى ضميره. رقم 16

إن المناقشات الحالية عن الضمير، وخصوصا في ضوء تعاليم الفاتيكاني الثاني، تقترح بخصوص مصطلح الضمير اليوم أن يستخدم في طرق ثلاث مختلفة:

الأول، الضمير يعني المبدأ الأول للآداب، وقانوناً مكتوباً في قلب الشخص، فأول مبدأ أدبي هو " اعمل الخير وتجنب الشر "، ومبادئ أدبية عامة توصف الخير هنا في أن يكون متواصلا مع تجنب الشر.

والثاني، يعني الضمير العملية الداخلية لتحليل وانعكاس أولي لفعل القضاء والذي يسمى أحيانا العلم الأدبي. والثالث، الضمير بمعنى حصر العمل المعادل بحد ذاته " افعل هذا، تجنب ذلك " واكثر خصوصا تجديد الضمير كفعل بالنسبة إلى صحة أو خطأ الأمور المنجزة أو التي هي في طريق الإنجاز

إن الفهم الكاثوليكي للضمير يجب أن يميز بوضوح عن بقية المعاني الممكنة، فالبعض يجب ان يتصور الضمير اكثر من ذلك: أي كشعور مقيت أو شعور بالذنب. إضافة إلى الجانب العاطفي للحياة التي تلعب دورا في الآداب. الضمير هو مبدئيا صورة عقلنا، لا شعورنا، ربما يحدث مرارا ان حكم الضمير يقودنا إلى امتلاك الشعور بالذنب لأن أحدنا ينتهك أو انتهك حكم الضمير. الآخرون التابعون لرؤية العالم النفسي سيجمون فرويد، يحملون بدل " الضمير " مصطلح " الأنا العليا". فحسبه الأنا العليا

تكونت في السنوات الخمس او الست الأولى من الحياة حينما يكبت الطفل أوامر الأكبر سنا.

أنه وعلى الرغم أنّ الأنا العليا هي جزء مهم من عملية النضج مثلما هي طريقة نفسية لنبض السيطرة، فهي كي تحل محل ذلك من خلال السيطرة العقلية على الأنا. وبنفس خط الرؤية هذه، يرى التقليد الكاثوليكي الضمير كتطور عقلي خلال الحياة. لذلك فإنّ الضمير ليس أنا عليا، ولكن فقط بعض الأثر الباقي للطفولة كي ينمو. إضافة إلى الضمير يجب أن يتكون باستمرار من خلال حياة الشخص.

عندما علم المجمع الفاتيكاني الثاني ان على كل شخص واجب اتباع ضميره. فالضمير الذي يجب أن يتبعه هو الحكم الذي يجب أن يصنعه (" أنا ملزم أن اعمل هذا "عمل ما" أنا أكون قد فعلت خطأ إن عملت ذلك"). هذا الحكم هو شخصي داخلي. انه يؤدي إلى قيادة الشخص لعمله الخاص، لا عمل الآخرين. واحسن مثال على هذا يطرحه روبرت بولت في مسرحية حول سير توماس مور (رجل لكل المواسم).

قال مور أنه لا يستطيع القسم على ما لا يؤمن به، وما زال موافقا لحقيقة إن الآخرين ربما يؤمنون بطرق مختلفة، ولذلك فإنهم ضمن الضمير الصالح يقبلون قسماً لا يستطيعون هم عليه، وقد علم المجمع الفاتيكاني الثاني ذلك (أعلاه).

فماذا يعني مصطلح " عدم المعرفة غير مقدورة الدفع " بالنسبة للمجمع؟ كي نتحدث حول ذلك وبنفس الوقت نتحدث عن أهمية استطاعة ضمير الشخص أن يخطأ، وهل يجب على الشخص أن يتبع ضميره (أو ضميرها) حتى لو كان على خطأ؟

من الواضح انه لا توجد مشكلة حقيقية في الحالات التي يعرف الشخص ان ضميره (أو ضميرها) على خطأ. فالفكرة تتضح من خلال النتائج الخالية من العمل الخاطئ واتباع ذلك الحكم. ولكن ماذا بخصوص الحالة الأخرى،

حيث ضمير الشخص خاطئ، ولكن الشخص غير واع للخطأ؟ وعند هذه النقطة فإنّ السؤال يتحول الى نتائج فيما إذا كان الشخص على علم واضح أم لا. وهل الشخص مسؤول عن الخطأ؟ أو تقليديا، السؤال يطرح ذاته، هل الجهل يقهر أم لا يقهر؟

(الجهل الذي يقهر) يعني ان نوع الخطأ الذي لا يفترض أن يعمله الشخص يجب أن يكون معلوما بصورة جيدة. خذ على سبيل المثال السياقة وقت السكر. هل هو سلوك دفاعي عقلي عندما السائق يعلن انه كان ثملا كي يعلم أنَّ عليه أن لا يسوق؟ أم انه من العقل محاولته البرهنة كونه لم يكن يعلم ان السياقة كانت ضد القانون؟ ومثال ثاني، كي تكون لدينا رخصة مثل السائق، يجب على كل شخص أن تكون له معرفة معبر عنها وأساسية للقانون بالإضافة إلى القابلية على السياقة. فأن نجهل كوننا مسؤولين ليس بعذر. ففي الحالة الأولى، الإقرار بالسكر هو مساو للإقرار بالذنب. لذلك فإنّ " الجهل غير مقدور الدفع " يعني الحالة التي لا يستطيع بها الشخص أن يتحمل مسؤولية عدم المعرفة. إضافة إلى أن الشخص يعمل عملا خاطئاً ولم يعمل بانتباه، لذلك هو معذور من الملامة. لذلك فإنّ عمل الشخص لا يعتبر صالحا، علاوة على ان الشخص ليس معذورا من اللوم.

إن مناقشة قهر وعدم قهر الجهل يقود إلى نقطة أنّ كل شخص يتحمل مسؤولية معرفة ما هو صح كي يعمله. وكل واحد منا يجب ان يكرس نفسه لمحاولة إيجاد ما يجب فعله وما يجب تجنبه. هذه المعالجة في الحياة الأدبية تدعى تكوين الضمير. إن تكوين الضمير عملية مستمرة خلال الحياة حيث تكون تجانساً مع حالات وأزمات جديدة تتطلب حلولاً أدبية (تصريح المجمع أعلاه).

أحيانا نتساءل هل نحن اليوم نستطيع معرفة المواضيع القياسية للآداب المسيحية وتحمل مسؤوليتها؟ وهل كل الآداب نسبية تماماً؟

القانون

اعتقدت المسيحية لمدة الفي سنة ان الآداب ليست مسألة موضوعية فقط ولكن شخصية. إن الطريقة العامة للتحدث عن دور الشخصية في الآداب تستعمل مفهوم القانون. فالمصادر الحاسمة لمواضيع التقليد الكاثوليكي وتعليمه بخصوص القانون تعود إلى القديس توما الاكويني (1224 – 1274) م

إن نظرة توما القانونية تجذرت في فهمه لأهمية العقل. فالعقل هو مبدأ للفعل الإنساني، انه قاعدة ومقياس للفعل الإنساني. ومثلما ان القانون يلعب دورا ويقيس الأفعال البشرية، فانه دالة للعقل. ان التحديد العام للقانون أعطي بواسطة القديس توما " كتعيين العقل للصالح العام ينبثق من الشخص الذي يهتم بالجماعة، ويشرع رسميا"يقوم القديس توما بهذا التحليل عن القانون في بحثه التعليم المسيحي عن الله.

الله هو الخالق ومصدر كل صلاح. كما ان الله قائد الكون، كذلك المسيحيون يتحدثون عن العناية الإلهية كحكم لله لأجل كمال الكل. إن العقل الإلهي يعطي خطة حكم كل شيء يحمل رمز القانون. وكما أن الله وهو خالق الزمان والعقل الإلهي هو خارج الزمن، فإنّ حكم ومقياس كل شيء في الله يسمى (القانون الأزلي)، وهو خطة الحكمة الإلهية.

إن جميع الأشياء تشترك نوعا ما في القانون الأزلي. والكيان الإنساني موهوب بالعقل، لذلك يشترك في القانون الازلي بطريقة خاصة. و(القانون الطبيعي) حيث هو محتوى القانون الطبيعي يبدأ مع المبدأ الاول للآداب: أعمل

الخير وتجنب الشر. يميل الإنسان إلى عمل الخير.ان خيور حماية الذات، استمرارية الجنس البشري، ومعرفة الله، والعيش في مجتمع، تؤسس أرضية المبادىء الأدبية والتي هي قاعدة ومقياس الأفعال. أن الآداب متعلقة إلى هذا الحد بكل الناس في كل الأوقات وفي كل الأماكن. وعلى أية حال، في حين اننا ننتقل من مسائل عامة إلى اسئلة اكثر خصوصية، فالقديس توما أدرك ان الأشكال الأدبية يجب ان تصبح خاصة اكثر. وقد أطلق على هذه الأشكال الخاصة (الأحكام الثانوية للقانون الطبيعي) وكتحديدات اكثر الأحكام العامة الأولى للقانون الطبيعي، ان هذه الأحكام الثانوية مطابقة للمواضيع المختلفة في المسائل ذات العلاقة

تبقى هناك أيضاً الحاجة للإنسان أن ينظم نفسه في المجتمع، لذلك ظهرت الحاجة إلى نوع آخر من القانون لأجل صياغة تحديدات خاصة للمسائل المحددة، والتي سماها القديس توما: (القانون البشري). وعلى الرغم من أن مقاييس الناس يتضمنها عمل توما في القانون البشري. فعموماً هذه القوانين بحثت من قبل الحكومات لأجل صلاح كل الجماعة، إذا كانت القوانين رصد العدالة. إن القانون البشري يجب ان يكون طبقا إلى القانون الأزلي من خلال ملائمته للقانون الطبيعي. إذا كان القانون البشري ينتهك القانون الأزلي، فانه لا يمكن ربط أي شخص بالضمير. ان مناقشة القانون لم تكتمل لحد الآن، حيث هناك حاجة للمسيحيين كي يتمموا موضوع الكتاب المقدس.

كيف يكون قانون الله في الكتاب المقدس مطابقا مع تحليل توما؟ يستخدم توما مصطلح (القانون الإلهي) ليشير إلى القانون الموجود في الكتاب المقدس. لذلك فإنّ القانون الإلهي يتضمن في جزأين: القانون القديم الموجود في العهد القديم، والقانون الجديد للعهد الجديد. حسب فكر القديس توما، ان القانون الإلهي تم تبسيطه للناس من خلال قيادة

القانون الطبيعي، والقانون الإنساني. لذلك فإنّ الناس يجب أن يعلموا ما توجب عليهم عمله و ما يجب تجنبه.

ومثلما أن مناقشة تعاليم توما حول القانون تجعل أمر القانون الأبدي واضحا. فإنّ القانون كما هو في فكر الله معروف لدى الجنس البشري من خلال مصدرين: العقل الإنساني كقانون طبيعي، والوحي الإلهي في آيات الكتاب كقانون الهي. يجب ان يكون هناك في الفكر الكاثوليكي مصدران كي يكون مقبولا أساساً. فحتى الآن لا الفكر البروتستانتي ولا الكاثوليكي وحدا الآداب المسيحية مع الآداب الكتابية. يحدد المسيحيون يسوع والعهد الجديد كامتداد للعهد القديم ولكن كمسائل متغيرة. لذلك فإنّ التعاليم في العهد القديم يجب أن تتوافق مع الحياة المسيحية، علاوة على أن الوصايا العشر لازالت سارية المفعول لدى المسيحيين.

الأشخاص والمسؤولية

اعتبر المسيحيون الآداب المسيحية في الماضي ذات صبغة قانونية حيث الحياة المسيحية في أحسن نظرياتها تعني الطاعة للقانون. ووفق هذه النظرة فإنّ كل ما يجب عمله كي نكون صالحين هو أن نكون كما تريد دعوة الله لنا، أي ان نعرف القانون ونطيعه. وعلى أية حال فإنّ معظم حياتنا ومعظم ما نحن عليه وما نفعله هو وراء نطاق ما يمكن أن نتقدم به إلى أمام ضمن القوانين المكتوبة.

ومع إعادة رؤية اللاهوت الأدبي، فإنّ هناك تحول في التأكيد على مفهوم الأشخاص والمسؤولية. إنَّ الصورة المسيطرة اليوم، هي أننا يجب أن نعمل بمسؤولية وبعلاقة مع الأشخاص الآخرين. الناس، هم لحم ودم، روح وقلب، مع فضائل وخواص؛ لهم ماض، وحاضر، ومستقبل؛ يعرفون أنفسهم والآخرون، يعرفون بدرجات مختلفة التعابير الخاصة عن حياة كل واحد. ومن خلال المعرفة

الخاصة، فإنّ الناس (والمكان الذي نجد أنفسنا فيه)، يختبرون الالتزام الأدبي وراء ما يمكن ان يحدد بالقانون. إن الواقع الموضوعي للقيم الشخصية والإنسانية يتطلب الاستجابة للحرية، والخلق، والإيمان من أعماق الشخص. هذا هو المعنى الحقيقي للوصية (أحبب قريبك مثل نفسك). إنّ القلب الإنساني يختبر العمل كي يتوجه إلى ما وراء ما يمكن الحديث عنه عندما نلتقي مع حاجات الآخرين. هذا العيش الفعال مع القريب بالمسيحية هو شكل للحياة المحبة التي أوصى بها الله. إنها تجسد لاختيار الله الأساسي عند المسيحيين.

الآداب الشخصية / الآداب الاجتماعية

لا يجب على المسيحيين ان يلغوا الطبيعة الاجتماعية لطريق المسيحي في الحياة، فإذا توجه أحدنا إلى الكتاب المقدس كي يقوده. فإنه سيجد أنّ الأفكار المقبولة بهذا الخصوص ليست الفردية ولكن الجماعية. لأول وهلة نرى أن فكرة العهد مع الله تسيطر على الكتاب المقدس. والعهد المنسق كالفسيفساء الذي تأسس على جبل سيناء، خلق بني إسرائيل كشعب خاطبه الله. وهكذا فإنّ العهد الجديد المعلن بيسوع في العشاء الأخير خلق هوية جديدة لأتباعه؛ تلك هي الكنيسة. وفي كلا العهدين فإنّ الله يبادر في دعوة الناس إلى طريق جديد مع الله الآن وفي مركز حياتهم.

أن تعليم الكنيسة وفي مائة السنة الأخيرة أكمل الاتجاه الاجتماعي لطريق المسيحي في الحياة. والتعليم البابوي حول المسائل الاجتماعية يعلن من فوق منبر يضيء اليوم هذه المواضيع الملحقة. ولكي نحتفل بالذكرى المئوية لهذه الإرشادات الاجتماعية؛ أصدر البابا يوحنا بولس الثاني سنة 1991 رسالة لمناسبة السنة المقدسة centesimus annus مرسلة إلى نظام العالم الجديد بعد انهيار اوربا الشرقية والاصلاحات في الاتحاد السوفيتي.

وبخصوص التعليم الاجتماعي الكاثوليكي، فقد شهد إصدار رسائل بابوية اهتمت بالمشاكل الاجتماعية الرئيسية في أيامها. وهذا التقليد بدأ من سنة 1891 مع البابا لاون الثالث عشر ورسالته الشؤون الحديثة(rerum novarum) للدفاع عن حقوق أعمال في الدول الصناعية.

والبابا بيوس 11 أصدر سنة 1931 رسالة بعنوان: (تعليم الكنيسة الاجتماعي) تبحث مواضيع في حق الأجر في البلدان الرأسمالية. وفي سنة 1963 مضى البابا يوحنا الثالث والعشرون قدماً في رسالته (الكنيسة أم ومعلمة) حول التعليم الأدبي الضروري لسلام العالم، وإعداد دفاع كامل عن حقوق الإنسان كجزء من التعليم الأدبي. وفي 1967 اصدر البابا بولس السادس رسالة بعنوان(ارتقاء الشعوب) وضع في مركز التعليم الكاثوليكي الحاجة إلى تطوير الناس كدليل أولي للنظام العالمي.

وقد اهتم الأساقفة أيضاً بمسائل عديدة في تعليمهم الاجتماعي عندما التقوا في المجمع الفاتيكاني الثاني. ففي 1965 أصدروا دستورا رعويا حول الكنيسة في العالم المعاصر لأجل تسليط نور المسيح على مشاكل العالم. وقد ركزوا على خمس مشاكل:

1 – الزواج والعائلة 2– تطور الثقافة الإنسانية 3 – الاقتصاد والمجتمع والحياة السياسية 4- العلاقات بين الشعوب 5 – السلام العالمي ومشاكل سباق التسلح.

وحتى اليوم يحلل الأساقفة الكاثوليك مشاكل المجتمع، ومن الأمثلة على ذلك اهتمام أساقفة أمريكا اللاتينية في مؤتمرهم (بميديلان) بكولومبيا سنة 1986 بخصوص الحرية والسلام والعدالة. فقد أصدروا رسالة مؤثرة حول المجتمع والاقتصاد والمشاكل السياسية في بلدانهم، والحاجة إلى إصلاح الكنيسة للحالة عبر المثاقفة وتطوير الضمير الاجتماعي الذي اصبح حديث الساعة.

أما أساقفة الولايات المتحدة فقد اصدروا رسائل رعوية سنة 1980 حول تحدي السلام (نشرت سنة 1983) لبحث خطر تكديس الأسلحة والجيوش، وحاجة الولايات المتحدة إلى التحول وفق التعليم الاجتماعي الكاثوليكي. وكيف تستطيع هذه المبادئ العامة جعل هذه الأهداف تصل إلى حيز التنفيذ من خلال الإحاطة بالضمير المسيحي، فالنظرة الضيقة تقول: أن نعترف بالخطايا فقط فهذا قد يعني ان الفكر المسيحي هو فكر سلبي، ولكن علينا إضافة إلى ذلك عدم انتهاك حرمة القوانين مثل القوانين الخاصة بحظر الجريمة والدعارة.

أن أحسن طريقة للاستفادة من هذا التعليم، هي المساهمة الإيجابية في المجتمع والذي يفترض أن يقوم به المسيحيون.

الاستنتاجات

ألقى هذا الفصل نظرة إلى عدد من المواضيع التي تعكس الحياة الأدبية المسيحية. ان أهمية الضمير، واتباع شريعة الله يجب التأكيد عليها. وهناك مواضيع كثيرة يجب اعتبارها، مثل طبيعة الكيان المسيحي وتطور الشخصية وامكانياتها وأهمية التساؤلات المتعلقة بالمسؤولية تجاه القريب. هذه الآداب الشخصية متعلقة بالتوجه الإنجيلي وأهمية حضور الكتاب المقدس في حياة المسيحي. لذلك فإنّ تحدي اللاهوت الأدبي يبقى مهما لتسليط الضوء على حياة وموت وقيامة يسوع.

الأسئلة

1 – ناقش فكرة الاختيار الأساسي. وبأية طريقة تعتقد ان أفعال الشخص يمكن أن تعلن أو تظهر العلاقة الأساسية مع الله؟

2 – اشرح الطرق التي بها تطور حقل اللاهوت الأدبي في علاقته مع عمل الكنيسة، وملاحظة أنواع التغيرات التي تجري في أيامنا؟

3 – عدد الفضائل التي نوقشت في النص. وحدد أشكال الفضائل الأخرى التي يجب أن تتصف بها نوعية الشخصية التي يُدعى إليها المسيحيون؟

4 – ما هو الضمير؟ لماذا يجب على المسيحيين دائما اتباع ضمائرهم؟ وما الذي جعل من الصعب على الناس اتباع ضمائرهم؟

الفصل الثامن

الحياة المسيحية
الأسرار والليتورجيا

يقوم طلاب الكليات اللاهوتية لسنوات عديدة بأخذ سلسلة محاضرات لاهوتية ودينية، وهذه على الأغلب ليست مطلوبة منهم، ويشعر أساتذتهم بالحيرة بسببها عندما تدخل في خطة الكلية كبرنامج ينشر معرفة كاثوليكية، لأن العدد المتزايد للطلبة هو من غير الكاثوليك، وهذا يجعل الطلبة أكثر حذراً عند مناقشة الهموم الخاصة بصورة دقيقة. إضافة إلى هذا، فهناك الشك أصلاً في إيمان المسيحيين الذي لم يعد معقولاً وطريقاً موثوقاً له في عالم اليوم. إن إيمان أية جماعة هو قضية ميل شخصي أولاً. والطلبة يعبرون عن قناعتهم بطريقة منظمة تؤهل الشخص ليقبل آراءه الخاصة، وليس مهماً كم هي آراء رسمية، فعندما تتطرق إلى أمور دينية، فإنّ الكثيرين من ذوي العقول - وهذا يشملهم جميعاً - يكون الإيمان مهماً لديهم وربما نافعاً عندما يجعل الإنسان جيّداً. إن الإيمان الصحيح لتابع هذا الدين أو ذاك والفروق بين الأديان تظهر بسهولة.

ومهما تكن هناك اختلافات في التقاليد الدينية فإنها تمتلك صفات مشتركة، رغم وجود اختلافات حقيقية وواقعية بينها. وهناك حيرة كبيرة لتمييز هذا الشيء واحترامه. واذا لم يتم احترام التقاليد الدينية االمتنوعة، فإنّ أية اتفاقية في القناعات الدينية المشتركة ستكون قصيرة الأمد.

وعندما نأخذ بنظر الاعتبار ما هو مختلف في الكاثوليكية، فإنّ الناس تفكر بالبابا، والعصمة البابوية، ودور مريم العذراء، والتعليم حول تنظيم النسل، والإجهاض، أو دور الكهنة والرهبان. ومهما تكن الأهمية

التي تمتلكها هذه التساؤلات والمفاهيم في التعليم الكاثوليكي والحياة، فإنه يجب أن ترى في منظار أكبر للصورة. حيث ضمن هذه الرؤية الواسعة هناك توكيد قوي على كشف أو تجلي نعمة الله، وحضوره والتحول الناتج عن ذلك في ومن خلال وحدة الإيمان والعبادة المقدسة في الكنيسة.

إن هذا التباين يجعلنا ننتبه إلى أهمية الكلمة في الكتاب المقدس، وللإيمان الشخصي بالخلاص الآتي من خلال الإيمان بيسوع المسيح. إن هذه يعبر عنها عند الاجتماع للصلاة وأمور الدين، ولكن في التقليد الكاثوليكي هناك انتباه معطى للإعلان والاستماع إلى الكلمة، وتأكيد على أهمية الأسرار المقدسة كتعبير للعلاقة بين الإنسان والله.

إن الموضوع يجب أن لا يطرح هنا بقوة، سواء أكان التأكيد الخاص على الكلمة، أم على السر المقدس. أن عدداً من التقاليد المسيحية المختلفة توافق على أن الديانة تلعب دوراً حاسماً في تنشئة حياة المسيحيين الإيمانية والعملية. وبدون شك فإنّ كل المسيحيين يتفقون على أن ما يقال ويعمل في ديانة الجماعة يتماشى مع طريقة عيش الإيمان من يوم إلى آخر.

هناك تقاليد مسيحية مشتركة هنا، ومهما تكن هناك تعابير عن خصوصية إيمان الناس من مختلف الكنائس والتقاليد، فمن الصعب الإصرار على المعارضة مع الفكرة التي تقول، أن هناك علاقة ضرورية بين ما يقال وما يعاش " في الكنيسة " وفي عيش الحياة اليومية. وهذه القاعدة المشتركة ليست للمشاركة فقط من قبل المسيحيين، فالناس حملة مختلف أشكال الإيمان لن يناقشوا كون صلواتهم وأمور ديانتهم تحمل أثماراً في طريق حياتهم مستقبلاً، ولكن أن يتم هذا فهو سؤال معقد وبعيد جداً.

إن هدف هذا الفصل هو تحضير مقدمة في الأسرار السبعة، والمتجذرة في الإيمان الراسخ ذي المضامين الأخلاقية المستمدة من أسرار الدين المقدسة. إننا ننظر إلى عيش الأسرار في الكنيسة، حيث يمكننا تطوير التكيف الاجتماعي ومعرفة كيف نكون لبقين (من اللباقة)، وهكذا ننمو أكثر فأكثر في مهمة كوننا مسيحيين.

وقبل المضي قدماً في تعريف الأسرار، سيكون من الضروري إعطاء وصف عام لنظرة العالم إلى الأسرار كمدخل لفهم الأسرار. فمن الضروري تعريف بعض المصطلحات التي تعتبر مفاتيح لها علاقة بالأسرار مثل: المذهب، والطقس، والدين، والليتورجيا، والنعمة الإلهية، والإشارة، والرمز.

إن التعامل مع الأسرار السبعة سيكون ممكناً حينها لإظهار أن هناك علاقة جوهرية بين ما يقال وما يتم إنجازه في طقوس الأسرار، والطريقة التي يحيا بها المسيحيون بقية حياتهم. أي بمعنى آخر، إن حياة الأسرار في الكنيسة هي تعبير عن الأفق الأخلاقي الذي يُمَكّن من تأسيس مسيحية عن طريق اتخاذ اختيارات واقعية، تحاكي حياتهم وحياة الآخرين. إضافة إلى الكلمة في الكتاب المقدس، وتعليم الكنيسة، وتقليدها. إن كل هذه إضافة إلى القانون غير الرسمي، والالتزام بالتقليد الذي يمليه الضمير. إن الأفق الأخلاقي الذي يعبر عنه في ممارسة الأسرار، يوفر نظرة عن كيفية عيش المسيحيين مع بعضهم البعض ومع الله.

نظرة العالم إلى السر

إن الإيمان والدين يفهمان غالباً على أنهما مسألة ذوق شخصي يعتمد على الشخص، فالدين يزود بالخبرة والعيش ضمن علاقة " واحد مع الآخر "، العلاقة مع الله رغم الاختلاف، فإنه يبدو غريباً التحدث عن علاقة بين شخص والله وكأنها شيء يلائم حياة البشر جميعاً. إن

هذه الملاحظة متجذرة في نظرة العالم الرمزية أو ما يسميه البعض منظور الأسرار. إنها تستند على الإيمان الذي يخفف من الاختلاف الواسع بين الله والعالم. فحقيقة الله واضحة في العالم. وكنتيجة فإنّ حياة الإنسان وكلماته وأفعاله وأهدافه وأحداثه لقادرة على كشف أو إثبات وجوده وفعاليته الخفية، كالنعمة الإلهية والحياة الحقيقية له، واللتين هما حضور الهي في العالم. إن كل شيء موجود قد صار بواسطة الله. وهكذا هو حال كل شيء موجود، وعلى الأقل ممكن، كالأسرار، لأن الله يظهر للعالم وكل البشر، بالفعاليات والكلمات والأحداث والتأريخ. إن هذه كلها قابلة لكشف حضور وفعل الله الذي من الطبيعي جداً أن يُعبّر عن حبه وينقله إلى العالم.

وبصورة أكثر وضوحاً، فإنّ نظرة العالم إلى الأسرار تقول لنا أن هناك انسجاماً بين الطبيعة الإنسانية ونعمة الله، ذلك أن التحول الذي أحدثه الله لجعل الطبيعة الإنسانية المخلوقة من قبله أكثر كمالاً حيث تتقدم إلى أمام كل المخلوقات إن كانت بشرية وغير بشرية، لأنها مكان حضوره والتحول الذي يفعله هذا الحضور حوله.

لا يمكن أن يقال أن الله والإنسان متشابهان، ولا التلميح أن البشر وأعمالهم هي إلهية، أو أنهم قد أصبحوا آلهة في عملية التحول من خلال النعمة الإلهية وذلك بعرض النقاط المشتركة في علاقة الله والإنسان. يجب أن يكون مقبولاً أنه مهما تكن مناطق التشابه التي ربما تكون موجودة بين الله والمخلوقات، فهناك في الوقت عينه مناطق اختلاف حيث إن كلماتنا تفشل في تبيان المسافة بيننا وبينه.

السر والأسرارية

إن حياة الأسرار هي قبل كل شيء تعبير عن عطية النعمة الإلهية. إنها في الوقت عينه تعبير عن رغبة الإنسان ليحيا بعلاقة مع الله. وهذه الرغبة يعبر عنها بالصلاة، التي ربما توصف كجهاد التائب ذي العلاقة مع الله، والذي يستسلم لحضوره الذي غالباً ما يكون مروعاً وغير متوقعٍ، وبالحقيقة ممزقاً للأحداث وشخصي الطابع. فبالنسبة إلى

المسيحيين، فإن السر هو دعوة المؤمنين أن يطلبوا مجيء الله في شخص يسوع الناصري. فصلب وقيامة يسوع، هو اكتمال كشف السر للمؤمنين بسمو الله.

إن فهم أهمية الأسرار السبعة يستند على تقييم نظرة البشر ليتمكنوا من التعبير ونقل استجابتهم والتحدث به لله الخفي الأبدي الكريم والمتجلي في الشخص التاريخي الفريد والخاص؛ يسوع الناصري. كانت وستبقى نعمة الله –ضمن هذه النظرة- متوفرة في كل أرجاء المعمورة وعبر التأريخ. ولكن سر حب الله الذي يلازم قلب كل المخلوقات، أصبح واضحاً في يسوع –نعمة الله الذي صار جسداً، فنعمة الله هي في الحقيقة متجسدة في الأسرار.

إن أسرار المسيحيين هي استجابة الإنسان لمبادرة الله بالمسيح. وهذه الاستجابة ممكنة طبعاً لأن الله بدأ أولاً بعلاقة مع المسيحيين؛ في ومن خلال الاستجابة ليسوع. وبهذا المعنى، يكون يسوع للمسيحيين سر الله الرئيسي والأول. ففي حياته التقى الإلهي بالإنساني. فنقول في يسوع: الحياة، والخدمة، والكلمات، والعمل، وغير المرئي، والله الأبدي، وأصبح مرئياً وملموساً. وعندما قام تلاميذ يسوع بالتعبير ونقل رغبتهم أن يكونوا في علاقة مع الله فعلوا ذلك خلال ومع وفي المسيح. إن اتصالهم مع الله أصبح ممكناً في، ومن خلال الكلمات والأفعال والأشياء والأحداث في مركز حياة المسيح، مثل الكسر والمباركة والمشاركة والخبز والخمر والمسح بالزيت ووضع اليد. وبجانب الحدث الرئيسي للكنيسة التي أنشأت الأسرار السبعة، هناك فعل غسل الأرجل للذين هم أقل مغفرة وحباً حتى لأعدائهم، وإعطاء الصدقات ومنح الشفاء، كل هذا كي تفهم الأسرار وفق معناها الأوسع.

إن كلمة، وفعل، ومعنى رسالة يسوع لم تنته في وقت موته. فهؤلاء الذين تبعوه، آمنوا أن كمال الله قد كشف في حياته. والكاهن يدعو الله كي يستمر في مجيئه بشخص يسوع حتى رغم موته. أولئك الذين وضعوا إيمانهم فيه ظهر لهم يسوع المسيح في اليوم الثالث. وهذا هو الإيمان الفصحي الذي يستند عليه تقليد المسيحيين: " الذي صلب قد عاد إلى الحياة ". إن سلام الله الذي كشفه يسوع مستمر

في المجيء ويحيا في وسط هؤلاء المجتمعين بالإيمان والعبادة لذكراه وبكلماتهم، وأفعالهم وحياتهم الاجتماعية البسيطة، يدوم حضور وفعالية سر سلام الله باستمرار. لقد أصبحت الحياة والفعاليات الاجتماعية البسيطة للتلاميذ المجتمعين باسم المسيح، مكان التعبير الذاتي والتواصل مع الله في المسيح.

وهكذا بالإضافة إلى حياة المسيح، فالكنيسة نفسها بمشاركتها الحياة والممارسة هي سر الله. وفي إحيائها ذكرى المسيح، والتزامها لكلمته وعمله، ومواصلتها عيش معناه ورسالته في حب التضحية بالذات وفق الظروف المتغيرة وأساليب تحول الوعي والوجود. إن إتباع يسوع الذي أسس الكنيسة أظهر استمرارية مجي سلام الله في حياة البشر والتاريخ والعالم.

وكما أن حياة الكنيسة استمرت بعد فترة التأسيس، وكما أن أعضاءها أصبحوا كثيرين أكثر فأكثر، وكما أن هؤلاء الأعضاء تعودوا على صعوبة عيش رسالة يسوع ومعناها في بيئات وحضارات متعددة، وأجزاء مختلفة من العالم، فإنّ علاقة الشعب المسيحي بالله أصبح يعبر عنها بطرق أقل تشابهاً للممارسات الدينية في الأزمنة الأولى. وبمعنى آخر، فإنّ هذه الممارسات التي دخلت إلى المسيحية من اليهودية قد وضعت جانباً واعتبرت خارج مسار ومعنى رسالة يسوع. إن الوصول إلى قرار حول أية ممارسة كانت بانسجام مع عقلية المسيح لم تكن قضية سهلة. فمن الواضح إن أي كتابات شكلت الكتب المقدسة المسيحية الموثوق بها، وأي ممارسة مسيحية قد تأسست، فقد تطلبت وقتاً طويلاً في الإعداد. ولكن خلال سير التأريخ المسيحي، فإنّ الأسرار الكنسية نشأت مثل الطقوس الاجتماعية البسيطة و الفعالة التي هي أكثر قرباً إلى مهمة كون المرء مسيحياً. ففي الأسرار سنجد حينذاك تعبيراً أكثر خصوصية لها،لأنه في هذه الأفعال الطقسية

الاجتماعية البسيطة السبعة للكنيسة يعبر المجتمع المسيحي عن هويته كجسد للمسيح.

إن إدراك الأسرار يقتضي الإقرار أنه ضمن هذه النظرة الشاملة لها هناك أربعة مستويات لها: الأول، المسيح هو سر الله. وفي يسوع يكون المسيح وبكلمته وعمله وفعله الشخصي هو السر الجوهري الذي يسميه المؤمنون الله، وهو صريح وواضح ونهائي وحاسم ولا يمكن تغييره.

الثاني، اجتمع اتباع يسوع بعد موته كي يذكروه في حياتهم المشتركة عبر الممارسات الدينية والإيمانية، ملتزمين بالخدمة والتضحية بالذات، فالله آت دائماً في الكنيسة حيث هي سر المسيح. كما أن جسده في العالم، والكنيسة تشارك في سره الدائم.

الثالث، تصبح الكنيسة في هذه الطقوس الاجتماعية البسيطة والفعالة أقرب إلى الصعوبات التي تواجه المرء وهو مسيحي، فهي قد عبرت عن علاقتها مع الله بالمسيح، في كلمة وسر، خصوصاً الافخارستيا، حينما تحتفل بسر اتصال الله الشخصي في حياة وموت وقيامة المسيح. وعندها تكون الأسرار الكنسية في المستوى الثالث من الأسرار.

الرابع أو الأخير، ونقصد المستوى الرابع للأسرار، أي إن حقيقة الله تتبين في العالم، والحياة البشرية، والفعاليات، والحوادث، والتأريخ، إضافة إلى الحياة غير البشرية. إنّ تسبب الصراع في أي شيء ربما يبدو فيه حضور الله، ونعمته، وأعماله، والتحول في الحياة، أي تلك التي تسبب ذلك، فالإنسان(ذكر أم أنثى)هو حر في العالم.

بعض المصطلحات المساعدة

قبل التحدث عن كل سر من الأسرار السبعة، ربما من المفيد أن نقدم شرحاً موجزاً عن بعض المصطلحات المساعدة لفهم لغة الأسرار: كالمذهب، والطقس، والليتورجيا، والديانة، والنعمة، والإشارة، والرمز، والسر.

إن الطقوس والشعائر الدينية هما قريبان جداً من بعضهما، ويشيران إلى قانون مفروض ومصدق عليه،وموافق عليه بالكلمات والإيماءة، والعمل المنظم أو المسهل. وربما من المفيد لو تم التمييز بين الطقس من حيث هو منتقل من عصر إلى عصر بشكل مكتوب أو شفهي، وبين الطقس وهو قانون الطقس. فالفرق بينهم يجب أن لا يؤخذ بحدية، فالمصطلحات غالباً ما يتم استعمال أحدهما مكان الآخر.

إن الطقسيات لا يمكن إدارتها فقط من قبل المكرسين. هناك طقوس ليوم الأحد، وللزواج، وللخدمة العسكرية، وللحياة اليومية الاعتيادية، وتلك التي تنظم الديانة. إن الديانة عمل مركب، متكون من كلمات، وتراتيل، وإيماءات، وأفعال لها معان يقوم بواسطتها الشخص أو مجموعة الأشخاص بإعطاء التسبحة والشكر لله. والديانة المسيحية أشارت إلى كل هذه الأشياء الأساسية وغير الرسمية، المكتوبة وغير المكتوبة، الكلمات العفوية والقانونية، وأفعال بواسطتها يتقابل المسيحيون بواسطة الله في اجتماع الكنيسة.

الليتورجيا هو مصطلح وثيق جداً بالعبادة، إنه يصف عمل الناس الذي يتم فيه تسبيح الله وتعظيمه. وغالباً ما يستعمل المصطلح عند الإشارة إلى الطقس، أو قوامه بمعنى إدارة الجماعة لديانتها الشعبية. ولكي نتحدث عن الليتورجيا، يجب أن نتحدث عن عبادة اجتماعية بسيطة، أو خدمة عبادة اجتماعية بسيطة، أي إنها مثال قابل لأن يتنبأ به، وذو معنى، وهذه العبادة شعبية في طبيعتها.

عندما كُتب مصطلح *ليتورجيا* كان القصد منه أن يشير إلى كتاب طقوس، أو إلى طقس الافخارستيا، أو القداس. الليتورجيا ليست شيئاً مبنياً للمجهول، وليست هي طقس أو طقوس. الليتورجيا، كطقس وكطقوس، هي على ما هي عليه لأنه قد تم تشريعها. فالطقسي في كتاب الطقس

ليس سوى حبر على ورق، كما أن كلمات النبي هي حروف ميتة عندما لا ينادى بها، حيث تسمع ولا تطبق. فالحروف على الورقة هي كلمة الله المتكلمة عبر الأنبياء عندما يقرأونها، ويسمعونها، ويطبقونها، ويعيشونها. فالطقس والطقسي والليتورجيا تبقى حروفاً ميتة كالجثة ما لم يقم العقل والقلب برفعها إلى الله في الصلاة، وتؤدي إلى تحول عميق في الحياة، وعبادة مخلصة لله.

إن المصطلح المتقاطع في لغة الأسرار هو "النعمة". فللكثيرين النعمة هي حقيقة كمية، وشيء خفي، أو شيء متدفق نحو البشر. ونحن نحصل عليه إذا ذهبنا إلى الكنيسة أيام الآحاد، وسيتم حرماننا من بعض هذه النعمة إن لم نذهب إلى الكنيسة. أما المفهوم الدقيق فهو أن النعمة هي ملك الله الحر، ووسيلة اتصاله الشخصي بالمخلوقات. من هذه النظرة يمكننا القول أن الأسرار إذا كانت لوحدها، فهي ليست جيدة لنقل النعمة وخاصة للتعبير عن عطية الله للنفس، والتحول في حياة البشر الذي يظهر في الاستجابة لاتصال الله الشخصي.

عندما نعّرف الإشارة، والرمز، والسر، نقترب من النقطة الحاسمة في تحقيقنا. حيث إن بعض القراء ربما لهم ألفة مع التعريف الأولي للسر كإشارة جسدية تأسست من قبل المسيح لمنح النعمة. فمع ذلك هناك ميزة واضحة للشرط الواضح من قبل هذا التعريف. فالدراسات المعاصرة تناقش بقناعة لتوضح فهم الأسرار كرمز حقيقي. فالرمز هنا لا يشير إلى شيء ليس في الواقع حقيقياً، مثلما يشير الناس بإيماءة هي رمز لا غير، أو إلى قوة الملك أو الملكة التي هي " قوة رمزية". الرمز هو حقيقة معقدة، وغنية، وأعمق من الإشارة.

الإشارة هي فعل، وإيماءة، وكلمة، أو شيء يستعمل لإيصال معلومات صحيحة أو تعليمات واضحة حول كيفية العمل في العالم. أو على الأقل أن يكون مقصوداً بها هكذا.

فعلامات الوقوف "توقف" تعني "لا تذهب" هناك مجال قليل هنا لتفسيرها. فإشارات الشوارع معدّة لتزود سائقي السيارات والمشاة بفهم واضح للاتجاهات. والمعلومات التي تزودها الإشارات تعني ان الجهة اليمنى للطريق تعود للمستخدمين الآخرين يجب أن تكون خالية ومباشرة كي نتجنب الارتباك، وتؤدي وظيفتها في مساعدة الناس لمعرفة طريقهم.

ومن جانب آخر، فإنّ الرموز هي كلمات، وإيماءات، وفعاليات، وأشياء توصل المعنى والقيمة. الرموز تساعد على حدوث اتصال خاص بالعلاقات بين الأشخاص، وتساعد على حصول المشاركة. فإعطاء وردة أو زهرة لا يعني أبداً معنى واحداً، كذلك الحال مع المصافحة، فمصافحة الأيدي ربما هي إيماءة للصلح بين المتخاصمين، إنها ربما تكون تعبير عن الترحيب أو الوداع، إنها ربما الفعالية التي تضمن الاتفاقية بين طرفين.

تختلف الرموز عن الإشارات من حيث ان الإشارات يجب أن تعمل وفق عالم المعرفة والعمل، بينما الرموز تعمل مع عالم المعاني والقيم. وليس الفرق واضحاً دائماً، ولكن من المفيد حفظ هذا التمييز كي يكون في متناول اليد.

الرموز باليونانية تعني تأليفاً سريعاً يشجع المشاركة في الحقائق العميقة، ويشير إلى غموض، وهي أشياء، وإيماءات، وأعمال: انها تنتمي إلى بيئة ثقافية معطاء، وتحتمل التكرار والآراء المرنة التلقائية، وتلتقي بمؤثر بحاجة إلى معنى وانتماء، وهوية جماعة واضحة حتى لو أن البعض كان في اتصال أكبر بالجماعة،والبعض الآخر كان على انفراد، الرموز هي مواضيع للتغيير الحاصل مع تطور الزمن، وتحريك النظرة، وتطور أهمية القيم.

يمكننا مع هذا الفهم التحدث عن الرموز المسيحية – سواء أكان كسر الخبز ومباركة الكأس – أم أشياء جامدة، واحتفالية، وإيماءات،

وكلمات تعبّر عن معنى وحقيقة الجماعة المسيحية كجسد المسيح. ومن خلالهم يكتسب المجتمع ويعّبر عن هويته كجسد المسيح.

يجب هنا تذكر ان الرموز المسيحية هي مثل الرموز الأخرى ذات المعاني الغنية والمتعددة الجوانب. إنها أبداً لا تعني شيئاً واحداً فقط. وكمثال، في المعمودية يعتبر صب الماء على الرأس، أو الأفضل غمر الطفل أو البالغ في حوض ماء "باسم الآب والإبن والروح القدس" عملاً مرتبطاً بغفران الخطايا، وهو إشارة وعلامة للإندماج في جسد المسيح، وتعهد بالمشاركة في طرق عيش الجماعة، ونموها بالطهر والاستنارة بكلمة وعمل المسيح. ومع ذلك فالمعنى لا يتوقف هناك.

أن الخاصية الثانية للرمز هي، ان هناك الرمز والواقع المرموز، فإنّ تقديم وردة كتعبير عن المحبة تستلزم إدراك ان محبة المعطي هي أثمن واكمل من الوردة نفسها، أو إعطائها. كما إن فن النحت هو تعبير عن نفسه. إن التخريب القاسي الذي وُجّه إلى أعمال ميخائيل انجلو كان شهادة للكثيرين على الاعتداء على المقدس نفسه، وعلى ميخائيل انجلو. ولكن العمل ليس ميخائيل انجلو وليس أمرا إلهيا. ان الرموز المسيحية بالأخص يجب أن تدرك بطريقة مختلفة عن المواضيع والفعاليات والمشاعر وكلمات الاتصال المعبرة عن السر وملء السر نفسه.

إن عمل الرموز الدينية يتضمن تعدد الأشكال. ويُعّدُ للاتصال بمختلف أشكال حضور الله. وحتى عندما تؤخذ إجماليا فإنّ كمال رموز المقدس هي عاجز عن الاتصال بملء حقيقة كون الله في العالم وكون الإنسانية في الله. إنّ أي شخص مكرس او مجموعة يجب أن تدرك أن عليها إعلان الحقيقة والعيش وفق معنى نهائي حُدّدَ كناقص.

ونفس الشيء يجب أن يقال عن نظام مجاميع الرموز. تحتفل الجماعة المسيحية بالإيمان في المسيح والروح القدس من خلال العمل الجماعي والفعاليات

والحركات والكلمات. وبنفس الوقت يجب على المسيحيين ان يبقوا واعين أنّ هناك اختلافاً بين رموز حضور الله في الحياة الإنسانية والتاريخ والعالم والكنيسة وملء الحضور الإلهي. إنّ التعبير والاتصال الإيماني في المسيح والروح القدس عبر الكلمة والسر يجب ان تثير فينا صوراً عميقة لما لا يمكن إعطاؤه والاتصال به او التعبير عنه بكلمة أو سر كما هو مدرك بعمق

تعريف السر

في ضوء هذا الشرح للطقس والطقسي، والعبادة والليتورجيا، والنعمة والعلامة، والرمز، من الممكن البرهنة على تعريف واضح وعملي للسر قبل اختبار الأسرار السبعة كمركز الفكر والعبادة. إن إعطاء هذه الرموز هو لفهم الاشياء والفعاليات والحركات والكلمات المستخدمة للوصول إلى اتصال وشركة شخصية مشتركة، وتقديم الدعوة إلى مشاركة كاملة في المعنى النهائي والقيم العالية التي يدركها الكيان الإنساني. فالأسرار يمكن ان تعرف كرموز لحضور الله في الحياة الإنسانية والتاريخ والعالم والكنيسة. ولكي نقول انها مؤسسة من قبل المسيح يجب أن ندرك إن هذه الفعاليات، والأشياء، والحركات، والكلمات (أي المستوى الثالث للأسرار). هي أعمال الكنيسة (أي المستوى الثاني للأسرار) والمتجذرة والمتأسسة عبر معنى ورسالة وكلمة وعمل يسوع (أي المستوى الأول للأسرار).

إنّ حياة الأسرار للكنيسة قد تغيرت، ونمت في تاريخ المسيحية. وكما في أية عملية نمو، فقد حصلت أخطاء وتحولات غير صحيحة. وأحيانا من المهم ان نسأل فيما إذا كانت ممارسة الأسرار، في الماضي، أو في الحاضر هي تعبير ملائم عن محاولة الكنيسة للتعبير وتقبل هويتها كجسد المسيح. وفيما إذا كان الجواب لهذا السؤال،

باقياً كحالة الأسرار كما فهمت من قبل الشعب المسيحي كتأكيد على النعمة ومركز الحياة العملية بملء أكبر من سر موت وقيامة المسيح.

الأسرار وحياة المسيحي

يتطلب الفهم المعاصر للأسرار الانتباه إلى ما يعرف بأصل الأسرار من دراسات العهد الجديد، ومن دراسات القرون المسيحية الأولى. فمن السهل إدراك وجه التحول في العبادة الأسرارية عبر تاريخ المسيحية. فبعض المسوحات يستحيل عرضها عبر هذه الصفحات القليلة. ولكن احسن عمل يمكن القيام به هو الفهم المعاصر للأسرار استنادا إلى ممارسات الإصلاح الأسراري المعلنة من قبل المجمع الفاتيكاني الثاني (62 – 1965)، فبدءاً من الإدراك ان بعض الإصلاحات كانت قد أدركت دراسات العهد الجديد مثلما وعت لوجه التحول في العبادة من خلال التاريخ المسيحي.

من خلال رؤية الأمور على حقيقتها في النظرة الشاملة على الأسرار فإنّ الأسرار السبعة ليست لحظات معزولة يمكن ان تحصر في أزمنة وأماكن محددة، وكمثال الكنيسة يوم الأحد. ان الكتاب المقدس ووثائق الفاتيكاني الثاني كليهما مثلما تاريخ الأسرار والعبادة، يؤكدان على الاتصال القوي بين الليتورجيا والحياة، والسر والحياة. فمما يريده ويرجوه المؤمن بالمسيح، هو القيم والأهداف العليا في الحياة الإنسانية والظاهرة في السر. إن الاحتفال بالسر هو تعبير عن ما هو معد للعيش بحق قياسا إلى الآخر، والآخرين والله.

هذا كي نقول، انه في أسرار الكنيسة، يستطيع المسيحيون تبيان الأفق الأخلاقي، والمستوى الذي فيه يكون الشخص سالكاً ضمن أي توجه حياتي.

إن الإشارات المؤدية إلى الطرق التي يحيا بها المسيحيون في علاقة مع الآخر والآخرين ومع الله موجودة في آيات الكتاب المقدس وتقليد مختلف الجماعات المسيحية، والدلالات موجودة في تعاليم الكنيسة بالنسبة إلى الكاثوليكية. لذلك فإنّ (تعليم الكنيسة الرسمي magisterium) يلعب دورا مركزيا، كي يتم الوثوق بها. ان إعطاء شكل للضمير هو اتجاه حيوي في قضية عيش حياة أخلاقية او أدبية. ولكن للذين تقليدهم مؤشر بنظرة عالمية أسرارية قوية، والتي تقول وتعمل ضمن الأسرار المعبرة عن أعمق إيمان شعب يهتم بكيفية استطاعة الشخص ان يتعلق بالآخر أو بالآخرين أو بالله.

أسرار التنشئة: العماذ والتثبيت

إن العماذ والتثبيت سران بهما ينشأ الشخص في جماعة الإيمان والعبادة كي يعمذ باسم المسيح، يعني أن يندمج في جسد الأشخاص الذين يشاركون حياتهم في جماعة تأثرت بموت وقيامة المسيح. هذا يتطلب المضي قدما في التحوّل(أي تغيير الإنسان جذرياً) بواسطة المسيح من خلال المشاركة في حياة ورسالة الكنيسة وتعليمها، والمضي قدما في صراع لأجل الحياة كي ترفع قيمتها. في المعمودية، الماء والكلمة علامات تدل على أنّ هذا الطفل، أو هذا الصبي، أو هذا البالغ قد دخل القبر مع المسيح وقام معه في طريق الحياة الجديدة

العماذ هو خلق جديد، موت عن الخطيئة والعيش في نور وكلمة وعمل يسوع. إنّه اندماج في جسد المسيح، والكنيسة هي جواب للإيمان بموت المسيح لعيش التلمذة المسيحية، واستلام واجب المضي في تحويل الذات والعالم من خلال نعمة الله في المسيح

في التثبيت، نتقوى ونُختَم بالروح المعطى بالماء وكلمات العماذ، ان الدهن مع الموهبة والتكريس من قبل

الاسقف هو علامة الروح التي تقّوي وتفيض المسيحي كي يحيا حياة السلام، والصبر، والمحبة، والفرح، والتهذيب، والتواضع. وبالتثبيت تعهد بالمضي في التحول نحو اعمق حياة في المسيح.

وفي الاحتفال بالشكر (الافخارستيا) يكون المضي في التغيير الذي يحدث بواسطة المسيح معبراً عنه وقوياً و بسرعة. ووفق نفس المفهوم، فإنه إضافة إلى العماذ والتثبيت، يجب علينا التحدث عن الافخارستيا كسر تنشئة، فكلما يحتفل الشخص كلما تكتمل تنشئته أسبوعا بعد أسبوع، أو يوما بعد يوم حتى ملء سر الفصح المسيحاني.

مضامين الأخلاق

ينشأ الشخص في سر المعمودية، في عهد أدبي من خلال الانضمام إلى موت وقيامة المسيح. وتدعو المشاركة في موت وقيامة المسيح، إلى سلوك طرق جديدة للحياة المستندة على عهد دمه، وتمهيدها للآخرين من خلال التبشير به وبتعليمه. كالتطويبات على وجه الخصوص. هذا هو الأدبي او الأخلاقي الذي يتجذر في المحبة والإخلاص، علاوة على القانون. الأخلاق لها صبغة المسؤولية تجاه الآخر، والآخرين، وتجاه الله، إضافة إلى الاهتمام بالالتزام والاعتبارات. هذه هي المسؤولية التي تبرز كنتيجة لعلاقة العضوية في شعب الله من خلال العماد. انها الآداب التي تتأسس في العلاقة مع الآخرين عبر الشركة، مع المسيح الرب. إن الحياة الأدبية وقف على واجب المضي في النظر إلى أعمال الشخص والآخرين في ضوء العلاقة الربية ليسوع المسيح، لذلك فإنّ المضي في التحول إلى المسيح يبدأ بالمعمودية وربما يصل إلى الكمال. فكل شيء، وكل واحد هو كي يرى في ضوء هذه العلاقة الربية وفق رؤية قدرة روح المسيح للتحول.

إن المسح بالدهن، هو فعل مركزي في سر التثبيت وفي هذا الفعل وفي هذه الكلمات المصاحبة، يتعرف الفرد وتتعرف الجماعة وتعترف بجذب وقيادة الروح، فيناشد (وتناشد) المزيد من الروح.

ان التثبيت ليس أساسا سر الاختيار أو الالتزام كما يعتقد، انه يشير إلى (التخلي والطاعة) إلى قوة الروح حيث يؤدي إلى نتائج بفضل حضور الروح. ان سماح الشخص لتأثير وقدرة الروح يقوده إلى العيش طبقا للروح. لا طبقا للجسد.

الافخارستيا: سر جسد المسيح

في الاحتفال بالافخارستيا، يحضر المسيح في الجماعة بذكرى موته. وفي كسر الخبز وبركة الكأس، تعبر الجماعة المسيحية وتستلم هويتها كجسد للمسيح. وعلى مائدة الرب يجتمع المؤمنون ليسمعوا قصة حياة يسوع وخدمته وآلامه وموته وقيامته. وهناك على المائدة، الكلمة والسر لأجل الاحتفال بالسر المسيحاني، حيث يقودنا العماذ والتثبيت. وفي العلاقة مع سر الافخارستيا تفهم بقية الأسرار بشكل صحيح – المصالحة، مسحة المرضى والموتى، والزواج، والخدمة المكرسة – من هنا فإنّ ليتورجيا الافخارستيا تفهم كمصدر وذروة الحياة الأسرارية المسيحية (في الليتورجيا - رقم10)

الافخارستيا هو مركز الحياة الأسرارية المسيحية، حيث بقية الأسرار تشتق معناها فيه، وفي العلاقة معه، ولهدفه في رسم مسيحية أكثر كمالا عبر الاحتفال. انه يختلف عن بقية الأسرار لأنه يجمع ويحتفل بجسد المسيح. إن الاحتفال بحضور المسيح في الجماعة،أي بذكرى موته هو المركز حيث تأتي الكنيسة إلى كمال التعبير. وفي الافخارستيا تجد جماعة المسيح النقطة المركزية التي

تجمعنا معا في تعبير عام عن الإيمان والاحتفال برموز تعود إلى السر الفصحي للمسيح في الكنيسة.

تحضر الكنيسة بوضوح، عبر إعلان وسماع الكلمة، وكسر الخبز وبركة الكأس، وتقترب لفهم الافخارستيا كعطايا بسيطة للخبز والخمر، والكنيسة تحتفل بعشاء الشكر الذي فيه حضور الله وعمله بالمسيح هو ذكرى وإعلان العطاء للحاضر، وسبب للرجاء في المستقبل. هذا هو العشاء الذي فيه يحتفل المسيحيون بالشركة مع الله بالمسيح وبالآخرين، خصوصا بالفقراء والضعفاء والمضطهدين والمنبوذين، أولئك المهمّشون في المجتمع، هؤلاء هم من الأوائل في ملكوت الله الذين عاش يسوع ومات لأجلهم

المضامين الأخلاقية

بينما التعبير المركزي لدعوة الكنيسة هي للشركة والعدالة، فإنّ الافخارستيا تشمل قلب الآداب المسيحية. وإن الانقسامات والفشل هي إشارة تشير إلى عدم المقدرة الحاصلة لأجل إدراك جسد الرب.

ان عدم الرغبة في العيش وفق الافخارستيّا (تقديم الشكر)، وعطاء الذات، وبذلها، وغفران كل فشل في إدراك حضور الله، كل هذا ذلك يذكر ويرجى في رتبة كسر الخبز وبركة الكأس. وأولئك الذين يحتفلون بحضور المسيح في الجماعة بذكرى موته يضعون أنفسهم مرة أخرى للعيش طبقا للعهد الأدبي الناتج من العلاقة العضوية في شعب الله، كي يحيوا طبقا للروح وليس طبقا للجسد (روم 8).

إن إرادة المسيحيين للمساهمة تمتد ما وراء المجتمعين حول المائدة، وما وراء عهد الشركة لجميع الذين تتضمنهم العائلة الإنسانية. مع تركيز خاص على الفقراء والمرضى – الذين وعدهم يسوع بأفخر موضع في

ملكوت الله. والملاحظ في عشاء الافخارستيا في وقت المشاركة بالعشاء الطقسي للشركة والعدالة، فإنّ الافخارستيا لا تسمح للتميز بين الأشخاص: بالانقسامات، الانفصالات، أو التميز بين الشخص وفقا للعرق، والصنف، والجنس، والعوق، والطبقة...الخ. والإرادة المعبرة بالعمل لأجل التغلب على الانقسامات والمذهبية، فالمسيح هو الكل في الكل (غلا 3: 27 – 28). كي نحتفل بالافخارستيا، فإنّ هذا يتطلب عيش حافزنا برؤية الشركة والعدالة. كي نكسر الخبز ونبارك الكأس، علينا عيش ذكرى الام وموت المسيح كي نموت معه، وهذا يعني العيش لأجل الله ومجيء ملكوته حيث ان قوة المحبة تسود على الشر.

أسرار الغفران والشفاء: التكفير والمسحة

إن شركة الاحتفال بسر جسد المسيح (الافخارستيا) هي نعمة الله المعطاة والاستجابة الإنسانية لذلك، وربما تشبه نعمة العطاء والقبول. وكاستحقاق أي عطية غنية بالمعنى، لا يمكن الوثوق بها، ويجب ان تعامل بوعي كبير. إن حياة المسيح يسوع المحتفل بها في أسرار التنشئة والمشاركة في ملء الافخارستيا تضمحل بسبب الإهمال وإساءة استعمال عطية النعمة. إن حياة الأفراد والجماعات عادة ما تكون مرعبة ومحطمة بسبب حضور الشر، والخطيئة والألم

إن سر التكفير هو تعبير عن رحمة الله الواسعة وغفرانه. انه عطاء يمتد إلى الأفراد والجماعات في ضوء الحاجة للمضي قدما بالتحول في المسيح، حتى خصوصا عندما يكون حضور الشر والخطيئة حاملين تحطيما قاسيا لعلاقتنا مع الله، وأعماق ذواتنا، وجماعة الكنيسة. إنّ سرّ التكفير وفق النظرة المعاصرة لا يحتاج إلى فهم كونه يعني الرجوع عن الآثام المرتكبة. إنه احتفال في مدح رحمة الله التي تجلب الشفاء، التحول والمصالحة مع الله ومع الضمير

والجماعة، فبدون شك إن الإثم محزن، وكم هي ذنوبنا جسيمة.

إن سر المسحة أو الاعتناء الرعوي بالمرضى والمدنفين، هو تعبير عن خدمة المسيح المستمرة، وإن شفاءه ضروري بسبب تأثير الشر والخطيئة في العالم. فمن المؤكد حضور فعل المسيح في الكنيسة بمواجهة مرض الإنسان وآلامه وموته. فالمسحة للمرضى والمدنفين مع الدهن المبارك يقصد بها إعطاء عون لأولئك الذين هم مرضى بجسامة، أو يموتون على رجاء اقتناء القوة، والتعزية، والشفاء الفكري والجسدي. وهذه القوة والمصالحة والشفاء هي كي يكونوا على رجاء حتى عندما المرض الجسيم يقودهم، خصوصا، إلى الموت. فالاعتناء الرعوي، ومسحة المرضى والمدنفين، هو سر التعبير عن خدمة الكنيسة الكبيرة للشفاء في ومن خلال صراعها ضد المرض والألم.

المضامين الأخلاقية

يعبر المسيحيون من خلال الاحتفال بسر التكفير عن نظرة متميزة للواقع. انهم يوثقون انتباههم إلى العيش مع توقع رحمة وغفران الله. فالعلاقة الربية مع المسيح، وفيض الروح القدس، هو معيار به يتم القضاء والقرار. إن المسامحة هي العلامة الكبرى الأخلاقية هنا. والقضاء (إعطاء الحكم)في شأن الحياة الخاصة وحياة الآخرين يتّم بنور الوعي بالخطيئة والنعمة في أحداث حياة الإنسان. وكنتيجة، فإنّ حياة الرفض، والازدراء، والنبذ، ونسيان أولئك الذين أدينوا، تجعلهم معوّزين وعديمي الفائدة في معايير الكفاءة. فالثمار يجب ان تظهر من توقع رحمة الله وغفرانه.

في ضوء الوعي بالخطيئة والنعمة، فإنّ المجروحين والضعفاء، الصغار والفقراء ينظر إليهم مرتين، أي من

نعمة الله ورحمته التي تمسنا في أعظم حاجاتنا. والذين يستجيبون إلى محبة الله وينجذبون إلى قلب الخاطئ التائب وسط الصغار والمسنين و الضعفاء؛ يصبحون علامات نقية لمحبة الله المصالحة في عالمنا. والحياة بحد ذاتها تصبح صدى العهد كما يقول بولس: في ضعفنا تكمن قوة الله (2قور 12: 9 – 10).

من خلال سر المسحة، فإنّ الجماعة المسيحية تحيا في ذكرى خدمة المسيح الشافية. كما أنّ المسيحيين مدعوون إلى الاعتناء بالمريض والمدنف، والصراع ضد المرض والألم، فبالاحتفال بسر مسحة المرضى والمدنفين، تعبر الجماعة عن رؤيتها الصحيحة إلى الأمر الخاص بالألم، والمرض، والموت، و قدرة المسيحيين للعيش في الرجاء والثقة. فلا شيء يمنعنا من ثمار شفاء الله والمسامحة بيسوع المسيح.

تكوين وبناء جسد المسيح:

الزواج، الكهنوت، التكريس

إن كلا الزواج والرتب المقدسة، هي أسرار تعبر عن أهمية محبة الذات المضحية، وإخلاصها، وخدمتها في الكنيسة. في سر الزواج، يتعهد شخصان أنفسهما للعيش حياة الذات المضحية بمحبة، وإخلاص بين إثنين حتى الموت. وهذا التعهد هو للعيش باحترام حياة الاخر، ويتضمن إنجاب أطفال يولدون من اتحادهما.

لكن هناك اعتبارات كثيرة هنا. في الزواج المسيحي يستجيب الاثنان إلى دعوة العيش بمحبة بالشركة، وهذا يحتفل به كسر في الكنيسة، وأمام الكنيسة، ولأجل الكنيسة. لذلك فالزواج المسيحي هو طريق تكون وبناء جسد المسيح، في مسيرة حياتهما المخلصة. في الاتحاد الجنسي لجسديهما، في ولادة حياة وسط ألفتهما، فإن الزوجين

يصبحان اكثر كمالا كسر للتضحية بالذات المُحِبَّة للمسيح لأولئك الذين لأجلهم يسوع أعطى وبذل حياته.

الكهنوت هو خدمة لبناء جسد المسيح، والكنيسة هي كل المعمَّدين الذين يستقبلون عطايا تستخدم لأجل حياة ونمو الجماعة المسيحية. البعض له عطية التعليم، والتعليم يجب أن يهدف إلى بناء الجسد. البعض له عطية التضحية الحكمة. إنها تستخدم للخدمة، لذلك يجب على الآخرين ان تكون لهم حياة اكثر كمالا، ولذلك هناك الآخرون الذين ليس لهم عطية ظاهرية، وبدلا من ذلك لهم القدرة على الصلاة، وعلى اية حال فإنّ عطية من الروح القدس بالعماد والتثبيت وإعادة التثبيت بالأفخارستيا، تستخدم لبناء جسد المسيح.

بالنسبة للعديد من عطايا العماد، هناك عطية واحدة، وهي عطية قيادة جماعة الإيمان والعبادة. فالقائد والمعلم للجماعة في التقليد الكاثوليكي، هو أيضاً من يترأس ويكرز في سياق صلاة الجماعة، خصوصا في الافخارستيا من خلال سر الرتب المقدسة، فالكاهن يشارك بطريقة متميزة في خدمة المسيح كخادم وشاف، بكل تواضع، ومن خلال الكرازة والتعليم،و خدمة الأسرار،توصلنا هذه الخدمة إلى جوهر التعبير في فعاليات الكرازة وترأس ليتورجيا الافخارستيا. إن ما هو ذو سمة فارقة خصوصا حول خدمة الكهنوت، هو ان الكاهن يتولى رعاية الشعب ضمن الكنيسة. من خلال الكلام يصبح (خادم الشعب) للكنيسة، وفي بعض الأحيان يمثلها.

عندما يترأس الكاهن الافخارستيا، فإنه يجلب الناس إلى الكنيسة، ويقدسهم، ويجمعهم، ويرسلهم. ويتجمع الشعب حول مائدة الرب حيث يترأسها الخادم. ومن خلال معموديتهم، وبتحولهم المستمر في المسيح، وخدمة رسالته يصبحون شعبا مقدسا. أن صلاة الافخارستيا تشترك مع صلاة الكل عبر العالم في كل مكان وبكل لسان حيث

يضمنون الطوبى للكنيسة. لذلك يجمعون الشعب حول المائدة، ويضمون أصواتهم بالمدح والشكر لله بذكرى يسوع المسيح كما فعل الرسل. لذلك هم شعب رسولي، ليس فقط سبب كون عبادتهم مستمرة مع إيمان الرسل، ولكن بسبب – ومثل الرسل – يرسلون إلى أمام كخدام للسلام، ودعاة ملكوت الله.

ان من يتقبل سر الرتب المقدسة، يفيض ليخدم هذا الشعب ضمن حياة الإنسان وخصوصا من خلال الكرازة، والتعليم، وخدمة الأسرار، وترّؤس الافخارستيا – مركز عمل الجماعة. ان حياة (خادم الشعب)، شعب الله تتطلب الإخلاص وخدمة الرسالة، فالمسيح يكون الكل في الكل.

المضامين الأخلاقية

في داخل الجماعة المسيحية، وخصوصا داخل الشخصين المتحدين بالزواج، حياة تعطي صورة للإله الشخصي والإخلاص المتسم بالمحبة. لذلك فالزواج المسيحي يعطي بإخلاص مفهوماً جديداً للحياة في ضوء محبة الله المضحية بالذات وملء الوعد الإلهي.ان العلاقة بين الشخصين المتحدين بالزواج معا وعلاقتهما مع الآخرين تتجسد في ضوء قيمة إخلاص الله نحو الإنسان والجماعة الإنسانية. لذلك يصبح الزوج والزوجة علامة لمحبة الله المخلصة باتحادهما الواحد مع الآخر، وعلاقاتهم مع الجماعات المسيحية والإنسانية. خصوصا من خلال إنجاب ورعاية الأطفال. ثمرة كمال الاتحاد، والدعوة إلى الوفاء السخي، حيث يعبر الزوجان عن قيم المحبة، وإخلاص الذات المضحية ليعبروا عن رغبة الكنيسة الشاملة للعيش وفق هذه القيم.

وبالكهنوت، يتم التعبير عن قيمة الخدمة تجاه الجماعات المسيحية والإنسانية والخدمة المسيحية الخاصة. انها متجذرة في عناية الكنيسة لمختلف حاجات الجماعة

عبر الأجيال، وبذكرى خدمة و حياة المسيح الخاصة. ومهما كانت السلبيات، فإنه يفترض الاهتمام بتلمذة المكرسين لثبات الدعوة، والتعبير عنها، وخدمة الجماعة الإنسانية والمسيحية بصورة شاملة، كل الخدام – المكرسين والعلمانيين، المتزوجين والعزاب – يهدفون لمنح تعبير قوي لقيم محبة الذات المضحية عبر رؤية جديدة للواقع من خلال خدمة المسيح، وملء وعود الله حتى الموت.

الأسرار: رؤية واقعية لا وصفة جاهزة

ان كل العلامات المعبرة في حياة الأسرار في الكنيسة ليست توجهات نوعية أو أجوبة لأسئلة أدبية معقدة للناس الذين يتبعون المسيح؛ إنها تجعل المسيحيين قادرين على تطوير تذوقهم للعيش حياة التلمذة له؛ إنها لا تمنح وصفة جاهزة للتغلب على الألم وحمل صنع القرار الأدبي. هي ايضا لها مستويات للأفق الأدبي، وعناصر لأشكال الفهم الإنساني لعلاقة الله بالعالم الذي يمنح بصيرة توفر رؤية طريق التكوين الإنساني المتعلق بالآخر، والآخرين وبالله.

في ضوء هذا الأفق الأخلاقي، فإنّ الاختيارات الأساسية للمسيحية يجب ان تتم كي تكون مساعدة لمختلف القرارات الأدبية المنجزة استراتيجيا. فالشخص البعيد النظر، يقيّم ما هو مكتوب في الكتاب المقدس، لذلك فإنّ الكلمة يجب أن تلقي نورا على أي موضوع خاص. إن أي اقتراب هو لأجل اعتبار التعليم الكنسي موضوعا خاصا يلتقط مصادره من التقليد المسيحي، وبعض الرؤى تعود إلى مأزق أدبي فيه يشعر الشخص بالمصيدة. العديد يرغبون في الوصول إلى قرار جيد باعتبار ما كان يجب أن يفعله يسوع في هذا الموضوع أو ذاك لأجل اتخاذ القرارات المسيحية الناضجة التي تعير اهتماماً للحركة الداخلية للروح بتلقين الشخص كي يعمل في هذا الموضوع أو ذاك.

البعض يحب تلك الاختبارات كي توضح من خلال اعتبار القيم التي يقررها الشخص مهمة، ويرجو أن تطاع عبر قراراته الكبيرة والصغيرة. ولكن هنا من المهم أن نكون محددين ان القيم تحمل قيمة كبيرة بالعمل الصالح، ذي القيمة والنبل.

إن أية معالجة لصنع القرار الأدبي يحمل القوة والضعف. وكل ذلك يتم بعد التعهد بالصلاة، وروح مشورة الآخرين، والعيش طبقا للحياة الروحية. ومهما كانت استراتيجية الشخص متوافقة لأغراض صنع القرار، فإنّ الأفق الأخلاقي يعبر عنه بعبادة السر ذات الرؤية الواقعية والتي بها المسيحيون يمنحون شكلا للحياة يستجيب للنعمة والروح.

هناك نطاقان يهيمنان خصوصاً في الحياة المسيحية، هي تلك التي للجنس البشري والعدالة الاجتماعية، عندما نعتبر الاختيارات التي تواجهنا وفق منظور الجنس البشري، فيجب أن تخدمنا جيداً كي نتصور الأفق الأخلاقي المعبر عنه عبر عبادة السر. وعندما نواجه باختيار يتساءل: كيف يتم هذا العمل ذو العلاقة مع (آداب العهد) التي أرجو أن أعيشها مع الآخرين؟ كيف يعبر هذا الاختيار عن موقفي تجاه الإخلاص وسط عيش السلام، والصبر، والنبل، والفرح، والمحبة وتحمل الألم؟ هل هذا الاختيار يقود إلى زيادة الغضب، والشهوة، والغيرة، واليأس؟ ماذا يحمل هذا الاختيار تجاه وعدي بالإخلاص، ومحبة الذات المضحية والعناية والخدمة؟

العدالة الاجتماعية هي فعالية تعلم (العلاقات الصحيحة) مع الآخرين. باعتبار هذا الاختيار أو ذاك والمتعلق بالآخرين او بالآخر، ربما من المفيد الإشارة: هل هذا الفصل العملي، أو ذلك الاختيار يقود إلى شركة، وعدالة أعمق مع الآخرين، أو ينكرها. خصوصا أولئك المجروحين والضعفاء. الأواخر والأقل شأنا. أولئك الذين

كانوا في مركز كرازة وتعليم يسوع؟ ما هو الأهم أو الفصل العملي الذي يقود إلى رحمة وعدالة وغفران أكبر في حياتي الخاصة وفي حياة الآخرين، وفي حياة الجماعة، وفي العالم الكبير.

الاستنتاجات

مهما كان الاختلاف الموجود بين وعبر المسيحيين، ولكي لا نقول شيئا بخصوص الاختلافات بين المسيحيين وحملة الإيمان الآخرين، فهناك شك قليل حول بعض الموافقة على أهمية وضع مغزى على الجانب العملي لما يقال وينجز في الصلاة والعبادة، عدا عن الخوض في مسائل العقيدة. وعلى سبيل المثال، المختلفين في الإيمان والتقاليد، إن أساس فهم تقليد الإيمان الخاص للشخص وللآخرين يعتمد على الصلاة والعبادة، وجهود المؤمنين ليمارسوا ما يعبر عنه بالعبادة.

قدمنا في هذا الفصل مدخلاً إلى أهمية الأسرار والعبادة في التقليد الكاثوليكي مستندين على عقيدة ان هناك علاقة بين الأسرار والأخلاق، والعبادة والآداب، والليتورجيا والحياة. إنها ترجو نتيجة ليست اعظم لدى تقليد الأسرار الكاثوليكي، ولكن اعمق وفق حقيقة انه في أية حياة دينية، وصلاة وممارسة العبادة، وطريقة عيش الشخص لكل حياته، يجب أن تتم معاً. لأجل العيش بحضور السر الإلهي، فإن المؤمنين الذين يدعون الله يضمنون كل اتجاهات الحياة الإنسانية. وعندما نأخذ بجدية ما قيل، وما أنجز في العبادة الأسرارية، فإنها تعد المؤمنين اتباع المسيح بالاستجابة أكثر فاكثر للتساؤلات المعقدة.

أسئلة

1 – كيف توضح عناصر النظرة العامة إلى الأسرار؟
2 – كيف تشرح من خلال النظرة الواقعية إلى السر؛ السبيل الذي به الله ويسوع، والكنيسة، ومفاعيل الطقس الكنسي، يمكن أن يتعلقوا الواحد بالآخر؟
3 – كيف يساهم المفهوم المعاصر للرمز في فهمنا لدواعي الأسرار؟
4 – كيف تربط أسرار الكنيسة السبعة مع الحياة المسيحية؟

الفصل التاسع

الروحانية المسيحية

إنّ مصطلح الروحانية يقاوم التحديد، فأحيانا هو الانفتاح الجذري نحو التسامي، حيث الروحانية هي اتجاه متوارث في كل شخص. وعلى وجه الحصر، فالروحانية تشير إلى الحكمة الروحية للجنس البشري عبر الأجيال لأنها تبحث عن الاتحاد مع المتسامي، وغالبا ما تشير إلى الله. ويمكن ان تشير إلى خبرة الشخص أو الجماعة في المجال الروحي.

إن الروحانية كنظام أكاديمي ضمن الحقل اللاهوتي، هي ظاهرة عصرية نسبية، ولازالت في طور التحديد كأصناف ومفاهيم وطرق. إن معايير الروحانية كنظام لاهوتي تنتشر بسهولة. فقد طبع حديثا كتاب (روحانية العالم)، تتضمن أقساما للروحانية القديمة، وللأفارقة، وللكونفوشيوسية، ولليهودية، وللإسلامية، ولروحانية هنود أمريكا الشمالية،..... ومن خلال هؤلاء، هناك ثلاثة فصول من بين 25 فصلا خاصة بالروحانية المسيحية. وكل هذه الروحانيات تهتم بموضوع حقيقة التسامي وتفسير خبرة الإنسان وفق تلك الحقيقة.

ومع حقل اللاهوت المسيحي هذا، فإنّ الروحانية تهتم بعيش خبرة الله الثالوث، والانعكاس اللاهوتي على تلك الخبرة، إنها كما يقول الكاتب برنارد:" تتعلق ليس بالإيمان ذاته، ولكن بتفاعل ذلك الإيمان النامي في الوعي والممارسة الدينية". وفي شرحه للحياة بالروح، يبدو ان القديس بولس يمس القلب من خلال تعريفه للسلوك المسيحي

المؤثر. إنه يكتب إلى الرومانيين في 12:2،"تحولوا بتجديد أفكاركم "،" دعوا سلوككم يتغير متمثلا بفكر جديد".

هل إن مركز دراستنا هنا هو ما تتضمنه "الروحانية المسيحية"؟ بالنسبة إلى الروحانية المسيحية، فالتسامي، والآخر، والألفة هي في الله الثالوث الذي أُعلِن في يسوع الناصري. إن خبرة الدين المسيحي تتجذر في وتُفَسّر طبقا إلى فهم أساسي عن الله، وعلاقته مع الإنسانية في يسوع المسيح. إن حياة الشخص الذي يقاد بروح يسوع القائم هي مركز دراسة الروحانية المسيحية.

إن العلاقة المسيحية مع الله لا تعاش بالانعزال. فالخلاص المسيحي لا يمكن أبداً أن يكون طلباً فقط للعلاقة بيني وبين الله، فالمسيحي وسط إيمان الجماعة يفهم الله كأب، ويسوع كالمولود البكر لأخوة وأخوات يعلنون في حياة واحدة، ومدعوين إلى العبادة، ويستنارون بالكتاب المقدس والتقليد. إن جماعة المؤمنين تحمل الكتاب المقدس بعهديه ككلمة الله المعلنة، وتلك هي أساس الروحانية المسيحية. علينا القول إذاً، إن الروحانية المسيحية أساسا، هي ثالوثية، ومسيحانية، وجماعة ليتورجيا وكتابية.

إن دراسة الروحانية المسيحية هي لأجل التأكيد على الخبرة النابعة من الإيمان المسيحي، إنها دراسات تحيّ الخبرة المتجذرة في فهم الله، والذات، والآخرين، والعالم.وبما أن الخبرة هي أساس الروحانية، فإنّ الشخص يدرس الروحانية (الروحية أيضاً) مبدئيا من خلال تعابيرها. فما قاله لنا الأشخاص بخصوص خبرتهم سيكون أيضاً المصدر الأولي لدراسة الروحانية.

إن الفكر المسيحي عبر القرون عبّر عن الخبرة الروحية من خلال الفن المرئي وبالرقص، وبالطواف. لقد كتبوا فهمهم لله والعالم وأنفسهم. وهذه الكتابات هي امتياز لأجل الدراسات الروحانية. فالمهمة المركزية تسيطر عليها أعمال النسكيات التي تشرح صلواتهم وخبرتهم غير قابلة

الفهم بالنسبة لهم. إن كل اللغات الإنسانية لا تستطيع نقل الخبرة الدينية، وكذلك في نقل الفهم الوجودي لله، ان كتاّب النسكيات امتلكوا قابلية إعادة توجيه مختلف الحوارات الإنسانية والرموز والصور. وعلى سبيل المثال، ربطت القديسة ترازيا الافيلية مراحل الصلاة بشكل طرق سحب الماء من البئر. والحياة الروحية عندها هي سلسلة من القلاع الداخلية أو منازل كبيرة، فأقوى قلعة بدون شك هي قلعة قريتها (أفيلا) التي تعودت عليها.واغناطيوس دي ليولا رسم خلفيته وفق شخصية جندي من (الباسك=منطقة في أسبانيا)، حيث ربطه باندفاعه وتوجهاته طول حياته " منبها إلى دعوة الملك الأرضي".

إن الأسرار المسيحية تشرح خبرتهم الداخلية من خلال مختلف الليتورجيات. انهم يكتبون بصيغة الشخص الثالث بطريقة قصصية ملحمية وبلغة كشفية أو لغة تشرح تفصيليا. فالقديسة جوليانJulian النورجية (من مدينة نورج الإنكليزية) على سبيل المثال تكتب تلقائيا وبطريقة سهلة لما"ظهر" لها في ساعات في يوم من شهر ايار 1373. إنها تشرح شكل جسد يسوع عندما مات " لقد تحول اللون الأزرق إلى ازرق قهوائي..." وسقوط قطرات الدم من إكليل الشوك كان " أشبه بقطرات الماء التي تسقط من سقف الغرفة بعد حمام كثيف، وتسقط بسرعة لا يستطيع الشخص حساب عددها..."

كما ان أفعال الشخص تؤكد على توجهه الأساسي، وروحيته. وعلى سبيل المثال: الجماعات التي أسسها جان فانييه Jean Vanierلذوي الإحتياجات الخاصة والتي يطلق عليها اسم (السفينة) وفهمهم حضور الله في الإنسان، وجماعات العمل الكاثوليكي المستمرة في العمل الحياة والروحي مثل (دورثوثي داي Dorothy Day) وكتاباتها. وحياة الجماعات المكرسة، كلها تؤكد على رؤية أساس

الإيمان الجوهري ووحي مؤسسه، فالحياة هي دائماً موضع الروحانية.

يستطيع الشخص ان يلاحظ روحية المقابل والجماعة، وأي جيل، إن كان في الفن والموسيقى الدينية، وفي الاحتفالات الليتورجية. فالفن المعماري الرومانسكي لكاتدرائيات سانتياكو يحمل شهادة لروحانية الحجاج والروحية التي أوحت لهم هذه. كما ان مسيرات الحجاج في أمريكا الجنوبية اليوم، تعكس ذات روحانية الحجاج. وكاتدرائية (شارتر) تتحدث لنا بالحجر عن فهم العلاقة مع الله ومع الإنسان في القرن (13) كما فعل توما الاكويني في مؤلفه اللاهوتي(SUMMA THEOLOGICA).

إذاً، وكنظام روحاني، فإنّ الروحانية تملك معايير واسعة. إنها أساسا انضباط متبادل، يدعو علم النفس وعلم الاجتماع إلى تحليل التأكيدات الشخصية والعامة للخبرة الدينية، ويرسم تاريخ آثار تطور هذه، ويكتشف تطور فهم الحقائق الروحية الأساسية ليكشف عن روح الإنسان في عمقه.

واستنادا إلى الخبرة الإنسانية الشخصية والجماعية، فالروحانية هي مقدسة. إنها تحيا وتنتعش في كل صور الحياة الإنسانية –الشخصية والاجتماعية، السياسية، والروحية. وتحترم وحدة الجسد والنفس، وتكامل الشخص الذي يتقدم في صراعه لأجل القداسة.

إنها تتضمن علاقة الشخص مع ذاته ومع الآخرين، مع الله والعالم، تبحث عن وحدة أولئك الذين هم في علاقة مع الحياة منبعثة بالإيمان.إنها تبحث عن تفسير الخبرة الإنسانية حسب شروط الحقيقة المتسامية.

الروحانية هي طريق العيش المتأثر بإيمان الشخص، إنها طريق فهم السر المسيحي وعناصر الإعلان المسيحي كمجموعة محددة. والروح فيها تعطي كل شخص تحسّساً

خاصاً لصور محددة للسر المسيحي ولتأثير الإحساس باختيارات الحياة الشخصية.

إنّ واحداً من احسن ما هو معروف ومحبوب في القديسين المسيحيين هو فرنسيس الاسيزي،ويمكن أن يخدمنا في هذا المجال. نستطيع معرفة معنيين في حياته كانت مناسبة لخبرة دينية في لقائه مع البرص الذين وجدهم مقرفين، وتأمله في المصلوب في كنيسة سان داميانو حيث سمع يسوع يتحدث معه. في ضوء هذه الخبرات سمع الإنجيل يأمره للذهاب والكرازة تاركا"لا تقتنوا نقوداً من ذهب ولا من فضة ولا من نحاس في زنانيركم، ولا مزوداً للطريق ولا قميصين ولا حذاء ولا عصا،لأن العامل يستحق طعامه"(متى 10: 9 – 10). فهم كيف كان عليه عيش حياته.

نرى هنا عنصرين أساسيين في رؤية فرنسيس الكلية للحياة المسيحية. التأمل بالإنجيل، والفقر الخاص الذي يعتمد على المسيح في الفقراء الذين قادهم إلى حياة الفقر حيث ظهرت صورة الفقر في كل ما عمل. لقد رأى كل خلق الله كعطية فعاش هارمونية (بانسجام) مع الطبيعة؛ مع الحيوانات ومع كل الأشخاص الإنسانيين، الشمس والقمر كانا اخوته وأخته؛ والموت نفسه اصبح مشخصا وحسبه كأخت.

نرى في فرنسيس الاسيزي عناصر الحياة المسيحية مفهومة ومرتبة كطريق خاص. وعلاقة مع الآخرين، وفهم نفسه والجماعة والعالم: وهذه كلها تشاهد من خلال موشور خبرة الأديان الأساسية. وفي هذه الحالة، أي في حالة تحديد الهوية مع المسيح الفقير، حينئذٍ فرنسيس يساعدنا كي نرى ما يدعى " مدرسة الروحانية".

لقد قدمت عبر التاريخ، تأكيدات عامة محددة لرسالة الإنجيل. فالرؤية الأساسية وسياق الحياة الخاص يجدان صدى في الآخرين. أو الفهم شخصي محدد التفاصيل لرحلة

العمر بنفس الطريق، وذلك لخلق سياق حياتي ينعكس ويشجع ذلك الفهم. كتب القديس بندكت (أو بندكتوس) من (نرسيا) في القرن الخامس والسادس قواعده لرهبان دير جبل *مونت كاسينو* في ايطاليا حيث تجذرت هذه القواعد في التعليم الكتابي وكي تكون أساساً ودليلاً في طريق الحياة الذي اصبح واسعا في أوربا الغربية. واصبح في القرن العاشر انموذجا للرهبنة الغربية. لقد استمر في تغليف الروحانية البندكتية.

كما تبصر اغناطيوس دي ليولا في حقيقة ان الله موجود في " كل الأشياء" في قلب الروحانية الاغناطيوسية. هذا التبصر الاغناطيوسي فجر من عمقه الخبرة النسكية التابعة لتحوله إلى الله.

أن كل هذه "المدارس الروحانية "هي فريدة لأنها" مؤسسة "تؤكد خصوصا على صور السر المسيحي، وتشتمل على أهمية في الحياة اليومية. والمدارس هي على ذات السياق اذ تشارك بما هو عام لكل الروحانيات المسيحية: الرغبة في "التحول إلى يسوع المسيح".

بالتأكيد أن حياة يسوع هي مثال لكل الروحانيات المسيحية، والروحانية المسيحية هي رحلة صنعها يسوع نفسه. " فأعرفه وأعرف قوة قيامته والمشاركة في آلامه فأتمثل به في موته " (في 3: 10) هو هدف الحياة المسيحية.

التعلق بنموذج حياة يسوع هو عادة معطى على صفحات العهد الجديد في تذكرنا موت اسطيفانوس كأول شهيد مسيحي، فإنّ أعمال الرسل تنبه إلى أن موته يتمثل بموت يسوع (أع 6:8 – 7: 60). فاسطيفانوس مثل يسوع القي القبض عليه من قبل الشيوخ، والكتبة، وأعضاء السنهدرين لأنه "يتكلم كلام تجديف على موسى وعلى الله" (6: 11). لقد رأى السماء مفتوحة و"ابن الإنسان واقف عن يمين الله" كما أكد يسوع خلال آلامه، طبقا إلى لوقا

(22: 68)، واسطيفانوس يسوع طلب الصفح لمضطهديه (7: 60) وسلم روحه إلى يسوع حينما مات (7: 59). إن اهتمام الكتاب المسيحيين الأولين هو أن يظهروا العلاقة بين موت اسطيفان وموت يسوع.

في الربع الأول من الألف الأولى للمسيحية كان تحديد الهوية بيسوع وموته اعظم شهادة وآخر تأييد للروح. فاغناطيوس الانطاكي عندما قيد إلى الموت في روما لاقى سوء المعاملة من قبل مضطهديه كفرصة "ليتقدم في التلمذة" لقد ترجى المسيحيين في روما أن لا يسعوا لإطلاق سراحه كي:"أنتبه إلى النور، والطهارة المنيرة،لأنه فقط عندما أبعد سأصبح إنسانا، اتركوني كي أقلد آلام إلهي".

إن "روحانية الشهادة" تقود - هذه الأزمنة- خصوصا في أمريكا الجنوبية العديد من الرجال والنساء المسيحيين العلمانيين كهنة ومكرسين – عذبوا وقتلوا لأنهم التزموا الفقراء وبالعدالة والسعي إلى عيش إنجيل يسوع للهامشيين والمضطهدين – رغم الاضطهاد والصدام. هذا التعبير المعاصر عن روحانية الشهادة، يعلن بوضوح عن علامات الأزمنة، والوعي بالصعوبات الاقتصادية والتراكيب الاجتماعية التي تسحق الإنسان. فخيار المسيحية هو أن نكون واحداً مع الفقراء في صراعهم لأجل العيش الكريم.

إن طريق يسوع هو مقياس كل المسيحيين، فكل واحد يسير في طريق شخصي فريد. إنها حركة من خلال الصليب نحو القيامة حيث ليس للموت الكلمة الأخيرة.

النمو في الروح

يبدو إن التناقض الظاهري هو ثابت ولا يغير مثال الحياة المسيحية. إن حياة الروح هي بنفس الوقت عطاء ونعمة للإنساني والإلهي. إنها رحلة شخصية وجماعية أنجزت في وحدة جذرية وبشركة "الغيمة العظيمة للشهود" (عبر 12: 1) أيضاً. فالفعالية والمجهولية تلعب أدوارا

أساسية. ان الحقول الكلاسيكية للاهوت الزهدي والنسكي تهتم بالبحث في هذين مركزي الحياة الروحية.

هناك محاولات كبيرة لشرح مراحل النمو في الروح. ففي الفترة 1115 – 1150 م، كانت الشروح الكلاسيكية للنمو الروحي تتم وفق طرق التطهير، والاستنارة، والاتحاد، وذلك بهدف شرح مراحل الرحلة الروحية. بينما أغلب المؤلفين يؤكدون إن المراحل الثلاث ليست منفصلة الواحدة عن الأخرى، وعلاوة على ذلك فهي شخصية. وهي متوازية مع التطور الجسدي والنفسي، ومتعلقة بالطفولة الروحية، واليفاعة(الشباب المبكر) والبلوغ، وكل واحدة تؤشر بخواص معينة. إن الأزمات أو التحول تؤشر كعبور من مرحلة إلى أخرى. بينما هذه التحديدات مساعدة، ويمكن أن تكون في نفس الوقت في غير موضعها، مثل النمو الجسدي والنفسي الذي غالبا ما لا يتقدم عبر كمية متسلسلة حتمياً.

هناك معان مؤكدة للنمو والمتضمنة للرحلة الروحية، والآخرون يتلقون المساعدة في بعض ثقافات وفي أجيال تاريخية محددة، وعبر أشكال تقاليد الصلاة والإرشاد الروحي.

الصلاة

الصلاة لابد منها للنمو الروحي، فأشكالها وتعابيرها كيفما كانت هي كثيرة. وكتعبير عن العلاقة الشخصية، يجب أن نقول إن الصلاة من حيث تنوعها هي صلاة متعددة. وبالتأكيد إن الصلاة الكتابية عادة تحمل طابع المكان في التقليد المسيحي فيما إذا كانت المزامير مثلا، أو تأملاً وتخيل أحداث الكتاب، أو مشاهد الإنجيل، أو صلاة مرتلة لآيات كتابية، أو تتناول التأمل بيسوع الإنسان، وحياة القديسين الذين وهجوا النمو الروحي للشعب المقدس. ومن جهة أخرى، فالمسيحية عادة رعت الصلاة العقلية،

وغيرها من الصلوات التي تجعل المؤمن وسط غيمة من عدم المعرفة.

أدناه نص يمثل هذا التقليد عبر صلاة غير تأملية ولكن هي حقاً غابة من *عدم المعرفة* أرادها المؤلف لقرائه:

> إذا لم تستطع أبدا المجيء إلى هذه الغيمة (أي غيمة عدم المعرفة بينك وبين إلهك)، وتعش وتعمل ضمنها كما أنا اقترحت، عندها فقط كما إن غيمة (عدم المعرفة) هذه كانت بالنسبة إليك، وبينك وبين الله، هكذا يجب أن تضع غيمة النسيان بينك وبين كل الخليقة.

إن "الصلاة المركزية centering prayer" التي اصبحت شائعة في يومنا، هي تعبير معاصر عن هذا تقليد.

من إنشاء الصيغ المكررة البسيطة إلى النسك المتقدم غير الواضح، فإنّ الإيمان، والرجاء، ومحبة المسيحيين تلتهب بالصلاة. فالصلاة الليتورجية خصوصا هي المحل المفضل حيث الجماعة المحتفلة حاضرة للارتفاع إلى مستوى كون الله معنا.

النسك

هناك من يشرح الرحلة الروحية كتوجه شخصي نحو جوهر الذات كي تتمركز في الآخر. إن الجهد للتحول عن الذات نحو الله والآخرين هو قلب النسك المسيحي. والتناقض الظاهري يؤشر النمو في هذا الروح. بينما من جهة أخرى، فإنّ القداسة تتضمن أن يصبح الشخص ذو ذات حقيقية، وبمعنى آخر تتطلب " الموت" عن الذات الجذري (لو 9: 23). لقد وجب أن يقال ان الشخص لا يستطيع أن " يعطي ذاته" إن لم يمتلكها، وفقط بعد ان يلقى المركز

الحقيقي يستطيع أن يقبل "تمركزها" الذي هو جزء من النمو المسيحي.

لقد تغيرت أشكال النسك من جيل إلى جيل، ومن ثقافة إلى اخرى، ومن شخص إلى آخر. فالجيل السابق لم يتخيل إن "ضجيج التلوث" على سبيل المثال، سيكون مصدر النسك. ولا زال المسيحيون المشتتون اليوم يواجهون تحدي العالم المشغول كي يخلقوا فضاء الصمت الداخلي - والخارجي – وسط السيارة، والمكائن، الطائرات. وحتى توماس ميرتون اعتبر الإدارة المعملية ضوضائية، وتحرق الأعصاب، فأعترف: "أنا مسرور جدا لقبول الصليب – بشكل ضوضاء دائمة وطنين المكنة خلال العمل المكتبي". وبالتأكيد إن الثوب المصنوع من الشعر، والسلاسل التي عرفها النساك في الأجيال المبكرة، أصبحت اليوم مرفوضة لدى المسيحيين.

إن الصوم هو شكل من أشكال النسك (التقشفي). كانت هذه الممارسة عامة في اليهودية كعلامة للتكفير. وعادة كانت تصاحبها الصلاة الشعبية وعلى سبيل المثال رفع الملك داود صلاته إلى الله لأجل حياة طفله من خلال الصوم (صم 12: 16). وقد أعطي الصوم معنى جديدا في الجماعة المسيحية. وكان البعض يتهم تلاميذ الرب يسوع المسيح انهم لا يصومون مثل أتباع يوحنا المعمذان. ولكن يسوع علم تلاميذه أن يصوموا بحذر (متى 6: 16 – 18). وفي الكنيسة المبكرة صاحب الصوم صلاة الجماعة قبل أن يختاروا أشخاصاً يوكلونهم مهمات محددة (اع 13: 2 –3؛ 4:23) كما في أيام الأزمات (اع 27).

وقد أعتبر الصوم في مجرى تاريخ المسيحية اتجاهاً نسكياً قوياً وكطريق إلى تجلي قرار الشخص "بالجسد" كي "ينكر ذاته" في عالم لا يوزع الطعام فيه بعدالة، واصبح الصوم أيضاً طريقاً لأولئك الذين لا يحتاجون إلى الطعام ليعبروا عن أخوتهم الفقراء والجائعين في العالم. إن تمديد

الصوم الشعبي أستخدم كقدرة احتجاج على اللاعدالة. وبعمق أكبر، فإنّ الصوم يجعل الشخص قادرا على الاختبار، والتعبير من خلال الجسد عن الرغبة الإنسانية لأجل الله: "كما يشتاق الأيل إلى مجاري المياه كذلك تشتاق نفسي إليك يا الله" (مز 42: 1).

إن إمكانيات توافق الأشكال النسكية في عالم اليوم هي إمكانيات لا متناهية. وسيبقى الإيمان وعيشه يتم عبر علاقة الواحد مع الآخر عبر التلمذة وسياق عافية الحياة؛ جاعلة الضمير واختيار حياة العطاء وفق الحالة بتوجيه العقل لأجل العدالة الاجتماعية؛ آخذين بالحسبان الوعي لتساؤلات العالم – هذه الاختبارات وأخرى كثيرة يمكن أن تكون مصدراً للنسك المعاصر.

الدلائل الروحية

منذ الأزمنة المسيحية المبكرة، كان واضحا ان المرشد الأول للنفوس كان روح المسيح المعطى لكل جماعة الكنيسة، خصوصا، إن المرشد الروحي الشخصي لم يتولَ في المسيحية الدور الذي كان أحيانا يتوفر في التقاليد الدينية الأخرى. لقد كان أولا وقبل كل شئ مع التقليد الرهباني الذي أصبح فيه دور المرشد الروحي دوراً مركزياً. وبالتأكيد فإنّ abbot رئيس دير الرهبان كان يبدو على الأغلب " كالأم الروحية، أو الأب الذي يقاد بالكلمة ومثالاً لحياة الكمال والانفتاح الجذري إلى الله".

يستمر المرشدون الروحيون في زماننا ببحثهم عن المسيحيين المهتمين بتكريس عظيم بخصوص دعوتهم إلى الحياة وكيف يجسدونها، والحصول على معرفة ذاتية أعظم، والبحث عن علاقة أصلية مع الله بالصلاة. إن تقدير الآخر "الذات – الصديق" والذي هو حكيم في طرق الرب، يبدو انه ذو معنى وقدرة في الوصول إلى هذه

الأهداف. ولا يجب غض النظر عن المرشد الروحي في حياتنا كالقراءة والمؤثرات والجماعات الصغيرة.

بعض الأسئلة المعاصرة في الروحانية

إن طالب الروحانية اليوم، مثلما المسيحي الملتزم يواجه جملة مواضيع تتخذ لها أوضاعا بطرق جديدة في حياتنا. أربعة من تلك المواضيع هي: روحانية العلمانيين، والعدالة واختيار الفقراء، ودور النساء، والعلاقة بين الثقافة والروحانية. وبينما ليس من الممكن معالجة هذه الأسئلة هنا، فإننا نشّجع القارئ عبر بعض الملاحظات.

روحانية العلمانيين

بينما تؤكد البروتستانتية على قداسة ودور العلمانيين، كان شكل الاهتمام حتى المجمع الفاتيكاني الثاني ينصب على النمو الروحي عبر الرهبانيات والمكرسين الآخرين. ومن المؤكد إن الكنيسة ذاتها فهمت كمجموعتين، مثلاً المكرسين وغير المكرسين، فكان المسيحيون العلمانيون غير مكرسين، بل متعلمين من مكرسين معلمين ومدعوين إلى القداسة.

كان المتحررون من العالم والمتعلقون بالعزوبية يعتبرون مثاليين، لذلك كانت قداسة الحياة اليومية والزواج على وجه الخصوص قليلة القيمة لأن الأشكال العلمانية للقداسة كانت غائبة في تاريخ المسيحية، فإنّ عددهم هو قليل ولا ينعكس على عدد الرجال والنساء الذين أصبحوا قديسين في الحياة العلمانية عبر القرون.

بالتأكيد إن القديس السالسي في القرن السادس عشر وضع أسس الروحانية العلمانية في كتابه (مدخل العبادة) الذي كتب خصوصا لأجل العلمانيين. ولكن الأسس العقائدية للتطور الكلي لروحانية العلمانيين قيدت في سنة 1964 مع

وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني. فقد رأى المجمع انه من الضروري دعوة كل الكنيسة إلى القداسة (... نبين إذن للجميع ان المؤمنين جميعهم، من أي حالة أو درجة كانوا، هم مدعوون إلى كمال السيرة المسيحية والى كمال المحبة ... دستور عقائدي في الكنيسة عدد 40).

وفي السنوات الخمس والعشرين بعد المجمع الفاتيكاني الثاني ظهر ازداد الاهتمام بالمؤمنين كما طالب المجمع: (فباستطاعة جميع المؤمنين أن يتقدسوا كل يوم في حالاتهم وواجباتهم وظروف حياتهم وبواسطة هذه الأشياء كلها ... دستور عقائدي في الكنيسة 41). وحتى الآن حيث عقد مجمع للعلمانيين في 1987 في روما فقد كشف عن رغبة العلمانيين في تقوية روحيتهم وبالتالي روحية العائلة، والمجتمع، والسياسة، والاقتصاد أيضاً.

العدالة واختيار الفقراء

" الفقراء دائما هم معكم" (متى 26:11؛ مر 14:7؛ يو 12:8) لأن الفقراء موجودون في كل جيل وكل مجتمع، فهناك تميز لجيلنا الذي يجعلنا نرى "نمو الفجوة بين الغني والفقير وتناقضاً مع الوجود المسيحي."

إن السياق الذي يرى المسيحيون أنفسهم فيه يتضمن حقيقة الفقر والفقراء. فالمسيحية في تحد بخصوص استخدام الشخص للأشياء، والثروات، ومقاسمة الخيرات مع المحتاجين (متى 19: 21، اعمال 5: 1 – 11). اليوم العديد من المسيحيين مستمرون في مقاسمة ثرواتهم – فلوسهم ممتلكاتهم، أوقاتهم – مع المحتاجين، وآخرون يجعلون طاقاتهم وحياتهم لتحويل حالة أولئك المسببين للفقر، وآخرون لا زالوا يمارسون حياة التقشف والتزام الفقراء في العالم عبر صلواتهم.

شهد عام 1980 وفاة (دورثي داي)، المرأة الأمريكية الفقيرة التي كرست حياتها للفقراء. لقد تأملت

بحياة يسوع، وكان وجه حياتها فقرها ورحمتها، فأصبحت أنموذجا لحياتها، حيث أكدت على احترام الفقراء والذين هم الأقرب إلى الله والذين اختارهم يسوع... فقد كان يسوع مثالا لمن يصل إلى الفقراء فيعطيهم المأكل والملبس. إن الخطيئة، والمرض، والموت تحسب من مظاهر البؤس الإنساني، ويسوع لم يعلمنا الصمت تجاه اللاعدالة.

كانت دوروثي مع (بيتر مورين) من مؤسسي صحيفة(The Catholic Worker) حيث كانت تحرر عمودها الأسبوعي. وقد هيأت بيتها لضيافة الفقراء والمشردين. ومن خلال هذه الأعمال، عاشت دوروثي بروحية، مركزة على فقر يسوع الذي عبر عنه بتعلقه بخدمة الفقراء.

حركة المطالبة بمساواة المرأة بالرجلFeminism

ان الوعي المعاصر بنوعية النساء والرجال كصور لله أقترن بوعي ان النساء، وهم على حافة الأحداث لديهم "روحانية أنثويةFeminist Spirituality"، و" روحانية نسائيةWomens' Spirituality" والروحانية استندت على الخبرة. والعديد من الأشخاص اليوم أدركوا ان خبرة النساء تطورت في الماضي واستمرت في الحاضر؛ ولدينا من الذاكرة القديسة ترازيا الافيلية التي عبرت أحيانا عن صعوباتها لكونها امرأة.

بينما هناك صور لروحانية النساء – من "البناء اللاهوتي للأصول المسيحية" حتى أزمة نمو الأشكال المعاصرة ذات الطابع النفسي – فإنّ التساؤل عن صور الله يبقى لب الأسئلة.[13] واللغة ليست فقط للتعبير عن الفكر ولكن عن الأشكال الفكرية. فاستخدام الضمير الذكري، وصور الله قادت إلى ان فقدت الكنائس المسيحية رؤية التقليد الفني للصور عن الله. هذا التقليد بدأ استكشافه تدريجيا هذه الأيام.

---

[13] **صور جمع صورة بالمعنى الفلسفي الأرسطوي (المترجم)**

لقد حمل أحسن لاهوت مسيحي كل ما يمكن قوله عن الله بالقياسية. فالصور تقول لنا شيئا عن الله ولكن لا توجد صورة كاملة. " أنت صخرتي " تقول شيئا عن عدم تغير إخلاص الله و اعتماده، ربما، ولكن الله بالتأكيد ليس بكاف أن يكون مع الصخرة. وآيات الكتاب بعهديه مملوءة بصور الله: المحارب، قائد الشعب الملك، الأم، النسر، المرأة وهي تلد، وليست هذه متوافقة الواحدة مع الأخرى.

في القرن الرابع عشر، لم تتردد جوليان Julianالنورجية من استخدام الصور الأنثوية. لقد أشارت إلى أمومة الله المعلنة في يسوع. فالله الخالق هو "أمنا في الطبيعة والنعمة " وكل عمله هو " أموي... في يسوع، أمنا الحقيقية، وبه تأسست حياتنا...." وبالنسبة إلى جوليان" فالأمومة تعني المحبة والشفقة، الحكمة، والمعرفة، والجودة".

تواجه الروحانية اليوم تحدي احتواء خبرة النساء عن الله، وعن أنفسهم، وعن العالم. إن استخدام تلك الصور الأنثوية عن الله التي ليست لها مكان مركزي في التقليد المسيحي، هي خطوة باتجاه الهدف.

الثقافة

إن أحد الأسئلة التي يجب أن يحاول الطلبة الروحانيون الإجابة عنها في المستقبل؛ هو العلاقة بين الروحانية والثقافة. إنّ" الثقافة " في هذا السياق تتضمن الرجوع إلى إرث كل الجماعة الإنسانية بكل نماذجها. إنها تعطي أنموذجاً "أو نمطاً" لهيئاتها، وحالات العيش. وقد أسهب المجمع الفاتيكاني الثاني في وثيقته (الكنيسة في العالم المعاصر) تطور الثقافة عبر مشاكل الحالات الملحة الخاصة التي تواجه الكنيسة. لقد شرحت وثيقة المجمع ملامح الثقافة: "... تعبر (الإنسانية)، والجماعات، مع

الزمن، وتصون في أعمالها خبرات ورغبات روحية، لذلك فالعديد من الفوائد تقدم للكثيرين، حتى العائلة الشاملة...".

وعلى أية حال، فهناك علاقة متبادلة بين الروحانية والثقافة ليس فقط في الخبرة الروحية الظاهرة هناك، ولكن في الخبرة القيّمة ذاتها، والمتأثرة بالثقافة الخاصة. إن صور الله في نسكيات القرن السادس عشر تأخذ شكلا في عالم الكنيسة. إن العالم الروحي لدى مسيحيّي أفريقيا يرتدي حلة "غيمه من الشهود"أي الأجداد الذين ماتوا ويستمرون بالحضور بطريقة حقيقية. وبالتأكيد فإنّ نظرة العالم إلى مسيحيّي أمريكا الأصليين هي ذات أفق واسع بوسع الكون.

إنّ الحدث الكتابي في سفر الخروج يملك مكانة مركزية في مختلف لواهيت التحرير اليوم، وهو الملاحظة المهيمنة على تكوين ما يدعى " روحانية التحرير " عند المسيحيين الأمريكيين الأفارقة في الولايات المتحدة، وفي كنيسة أمريكا اللاتينية حاليا. إن تحرير شعب الله من مصير أصبح مفتاحاً لتفسير خبرة المضي في الاضطهاد. والصور الكتابية أعطت معاني معبرة ورجاءاً؛ فالوضع التاريخي لهؤلاء الناس أعطاهم حساسية خاصة للنصوص الكتابية ولها بالتأكيد صفة مساعدة في تكوين صورهم الروحية الأعمق.

الاستنتاج

بالنسبة إلى النظام المعرفي، فإنّ الروحانية المسيحية تقف في قلب المشروع اللاهوتي. ترسم أنظمة معرفية مختلفة، إنها تبحث عن توثيق للتعبير الإيماني لتلاميذ يسوع والتعبير عن تلك الخبرة في الحياة.

إن الحياة المسيحية والقداسة اعتمدت يسوع كنموذج. وعبر 2000 سنة مضت، أصبحت حياته وتعليمه مفهومة ومعاشة بطرق مختلفة. إن معظم القديسين، والنساك "الجماعة المؤمنة" قدموا فسيفساء غنية تدعو إلى الإعجاب والاستكشاف من قبل جيلنا. فأصبحت موضوع دراسة روحانية اليوم.

يسأل الناس في الألف الثالث: ماذا تعني "الروحانية " بالنسبة لي، ولنا؟ وما دور الثقافة في بحثنا عن التلمذة الإيمانية؟ وما هو التحدي الذي تواجهه ثقافتنا في نظرة العالم؟ وكيف يصلي من تعرض إلى التعذيب والسلاح الذري في وقت وعده الله بأنه حاضر دائما؟ كيف ان فهمنا لله يواجه الثراء، والفتنة بالأنوثة، والتقاليد الثقافية الأخرى؟ وهل هناك روحانية محلية؟ كيف يصبح الماضي مصدراً خلاقاً لتساؤلات المسيحيين الروحية اليوم؟ إن كل الأسئلة تدور حول يسوع وتلاميذه الذين قال لهم: " ماذا يقول الناس عني؟... وأنت ماذا تقول من أنا؟ (مر 8: 27، 29).

الأسئلة

1 – كيف تتعلق خبرة حياة، واندفاع الشخص بحياته الروحية؟

2 – ما هي بعض الوسائل التي ترعى النمو الروحي للفرد؟

3 – في أية طرق يمكن "للصوم " أن يُفهم في مجتمعنا،وجيلنا؟

4 – في أية طرق يمكن " للضمير الأنثوي (النسوي)" أن يؤثر على الروحانية اليوم؟ وكيف يمكن " لاختيار الفقراء " أن يؤثر على الروحانية؟

الفصل العاشر

مواضيع في الكنيسة المعاصرة

حينما أعلن البابا يوحنا الثالث والعشرون في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني سنة 1959 عن رغبته في عقد مجمع مسكوني، كان التفاعل متباينا. فقد عبر البعض من أعضاء الكوريا الرومانية عن الخوف. وفيما بعد شرح البابا للعالم كيف إن " أنبياء الهلاك " يريدون عدوله عن هذا الهدف. وإنهم يحاولون أيضاً تجاهل الإعلان، ويرجون نسيان فكرة عقد المجمع تحت ضغط المهام البابوية اليومية. لكنه لم ينس، فسارت عمليات التحضير إلى أمام، وان كانت بطيئة. وتدريجيا بدأ اللاهوتيون خارج روما بإحباط حماس البابا. وهكذا تساءلت الكنائس الأخرى عن الجديد الذي يحمله وينفتح وفقه. إذن ولا واحد في كل العالم كانت لديه رؤية للنتائج التي يصل إليها المجمع.

في " اكتوبر 1962 افتتح المجمع من قبل البابا بجمل واضحة: المجمع كان يفترض به ان يكون راعويا وان يكون له هدف نهائي في إقامة وحدة كل الجنس البشري. ولكن لأجل الوصول إلى هذا الهدف، فإنّ كل المسيحيين عليهم البدء بتنظيم بيتهم. لذلك على المجمع أن يهتم بالتجديد الداخلي للكنيسة الكاثوليكية وجعل الكنيسة تبحث عن الوحدة المسيحية وبوضوح. رغم ان البابا نظم فهرسة آفاق المجمع، فإنّ عمل المجمع، ومواضيعه نظم التقويم للترتيبات اللاحقة للتطورات اللاهوتية.

تراث المجمع: المبادئ اللاهوتية

لقد كان عمل المجمع معقدا ومتنوعا. وبالرغم من ذلك فمن الممكن ترتيب المبادئ اللاهوتية ذات المواضيع المحددة لأجل إنجاز تلك الأعمال. وسأقترح ثلاثة مبادئ أصبحت مهمة فيما بعد في اللاهوت الكاثوليكي.

الكتاب المقدس كقاعدة لكل اللاهوت

لقد فُسّرت مركزية الكتاب المقدس كعمل كنسي وجد أرضيته في كل مواضيع المجمع. ولكن أعضاء المجمع شرحوا اتجاه فهم الوحي الكتابي في الدستور العقائدي في الوحي في 18 نوفمبر 1965. لقد وافق آباء المجمع في الوثيقة على فهم الوحي كعلاقة شخصية ذاتية لسر الله في التاريخ. انهم ميّزوا الخاصية المعيارية لآيات الكتاب في حياة ولاهوت الكنيسة، ومعرفة دور الإيمان في تفسير وفعالية الكلمة في حياة الجماعة المؤمنة. إن الوثيقة مهمة في استخدام طرق نقدية عصرية لتفسير المواضيع.

وللتأكيد على طبيعة وأهمية الوحي الكتابي، فقد ذكر آباء المجمع إنّ الكنيسة هي سر الله. وهو سر شخصي وجماعي؛ هو قلب اللاهوت. وللتحدث عن هذا السر، يعني التحدث عن لغة الرموز والخبرة، إننا نرى هذه البصيرة في عمل الدستور العقائدي في الكنيسة، حيث أنّ أول فصلين في الوثيقة كانا تحت عنوان "سر الكنيسة" و "شعب الله". إن المجمع بتأكيده على مركزية الكتاب، يقصد أنّ كل الاهتمامات اللاهوتية المعاصرة يجب أن تبدأ بدراسات المواضيع الكتابية. وهي مهمة كل الكنيسة ومسؤوليتها.

التاريخ كشكل لاهوتي

لقد أدرك المجمع أنّ اللاهوت هو حدث شخصي، رُوي في نصوص عكست تاريخ وثقافة خاصة، وتُعطي

إمكانية نمو مهم للتاريخ، كحالة كل فهم لاهوتي، وهذا يعني من جهة أنّ كل صور الإيمان المسيحي (النصوص، الأشكال العقائدية بصورة خاصة) يمكن أن تفهم بوضوح في سياق التاريخ الذي فيه تطورت. وإنّ أحداث التاريخ هي نفسها لاهوتية في الطبيعة، كفوءة في كشف الله المستمر في العمل عبر التاريخ وفي الجماعة الإنسانية التي هي بعلاقة يومية مع الله. لأنه لا يوجد نص مجمعي حول أهمية التاريخ، فالانعكاس التاريخي موجود في كل نص.تؤكد وثيقة الوحي الإلهي على ان العلاقة الذاتية لله مع شعب الله تكونت في الزمان وضمن أحوال فرضها التاريخ. يشرح الدستور في الكنيسة، شعب الله " كشعب حاج" يأتي ليفهم خالقه ومخلصه تدريجيا، وبمراحل ناقصة التكوين.

لا توجد لحظة في الزمان، ولا بناء فكري خاص، ولا حتى جملة عقائدية خاصة تغلب سر الله الكامل. وصفته الحيوية لا تعتمد على النشاط التاريخي، فنشاط روح الله يشل حركة أي تكوين إنساني أو مؤسسي. هذا الإدراك فرض تواضعا صحياً على كل الفعاليات اللاهوتية في المجمع، وخلق انفتاحا جذريا على الحقيقة والنعمة المستمرة في بقية التقاليد المسيحية. إنها تتطلب كون اللاهوتيين لا يعكسون فقط النصوص الكتابية المؤسسة، ولكن أيضاً يفكرون في أحداث التاريخ. التي تنير الكنيسة في صراعها لتكوين فهم كاف اكثر للسر.

الانفتاح إلى معرفة وثقافة العالم

لقد أشار البابا يوحنا الثالث والعشرون منذ البداية على أنّ المجمع هو في خدمة العالم. فأكد: "إن التدبير الإلهي يقودنا إلى نظام جديد للعلاقات بين البشر، فعطاء الإنسان الخاص -رغم توقعاتهم - كله يتوجه نحو ملء تصميم الله". فإذا كان الله في قلب اللاهوت فإنّ جوهر الجماعة الإنسانية هو الأفق مقابل ما وجب على اللاهوت

أنّ يعمله. في هذا المجال، فإنّ آباء المجمع عرفوا بوضوح لأول مرة إن الكنيسة لا فقط لها شيء لتعطيه إلى العالم، ولكن هناك الكثير للتعلم منه.

ان هذا الفهم كان قد تم التعبير عنه في وثيقتين أُعلِنتا في نهاية أعمال المجمع في السابع من كانون الأول سنة 1965 هما: دستور راعوي في الكنيسة في العالم المعاصر، وآخر في حرية الأديان. وقد كُرِسَا لفهم الثقافة الإنسانية. وآباء المجمع لم يترددوا في القول أنّ الشد بين الثقافة والإيمان الديني يمكن " أن يحفز العقل إلى إدراك دقيق للإيمان".[14] هذا التقدير لقيمة وتحديات الثقافة الإنسانية، ربما له أداء أكثر من أي شيء آخر، وهو الذي يرفع التساؤلات اللاهوتية وإعادة صياغة الأقدم.

الحوار المسكوني

إن ما ورد اعلاه يهدف الى احترام الحوار المسكوني، استناداً إلى مفهوم الشركة. والصلاة معاً، وهي مناسبة كحالة للنمو المستقبلي بالنعمة. ان (الدستور في المسكونية) كان أساس الدعوة إلى العمل الذي يشرح بالتفصيل مبادئ اللقاء المسكوني.

إن اللقاء المسكوني بين الكنائس المختلفة بدأ قبل أن يجف حبر الوثائق المجمعية. ففي ديسمبر 1965 التقى البابا بولس 6 والبطريرك اثناسيوس في أورشليم، وتباحثا في الأمور المشتركة " وفي الرغبة الخاصة بالمصالحة". وفي 22 آذار 1966 تباحث البابا بولس السادس مع ميشيل رامي رئيس أساقفة كنتربري وأصدرا " إعلان التعاون المشترك" الذي أكد على الإرث المشرك في المجال الروحي والطقسي بين الكنيستين، والرجاء المتبادل للرعاة في عيش شركة حياة الإيمان والأسرار الكاملة. وشُكِّلَت

[14] **دستور راعوي – الكنيسة في العالم المعاصر62.**

لجان لهذا الغرض بين مختلف الكنائس. وبنفس الوقت بدأ تعاون بين الكنيسة الكاثوليكية ومجلس الكنائس العالمي.

لقد تحقق تقدم لاهوتي في الحوار المسكوني، فالكنائس المنفصلة منذ قرون أصبحت ترتبط بحوار يتّسم بالاحترام منذ عشرين سنة. إنّهم أدركوا حيوية الإيمان مع بعضهم البعض، وتوصلوا إلى قيمة الفهم اللاهوتي الذي تطور عبر مختلف التقاليد الكنسية. إنّ الكنائس المتحاورة لم تتراجع بعيدا عن قبضة الأسئلة اللاهوتية. فعلى سبيل المثال تتجادل بعض الكنائس في مواضيع صعبة بخصوص الرئاسة البطرسية، لكن الانكليكان والكاثوليك أدركوا إمكانية أن يصبح موقع أسقف روما كخادم لوحدة كل الكنيسة.

أصدر مجلس الكنائس العالمي سنة 1982 نصا تحت عنوان (العماذ، الافخارستيا، والخدمة) إشترك فيه اللاهوتيون البروتستانت والارثودكس والكاثوليك لأجل الوصول إلى توافق حول المسائل التي حصل الانقسام بسببها منذ زمن طويل. وقد عالج النص كل التقاليد على أساس الأسرار الثلاثة كونها تخدم إرادة الراغبين في التجديد. ولكن المهم ان أعضاء الكنائس القادمين وافقوا وشجعوا على قبول هذه الاتفاقيات. إن مصطلح "الاستقبال" أو الاستلام لاهوتياً يتعلق بمسألة جعل القرارات مؤثرة في حياة الكنيسة. فإذا كان عمل اللاهوتيين والكنيسة الرسمية لا يستقبل ويعاش من قبل التجمعات المحلية، فإنّ هذا العمل لا يخدم ويعبر عن الإيمان وعن شعب الله. فاللاهوت المسكوني يجب ان يتجذر في حياة الإيمان وفعاليات الكنائس المحلية.

إنّ اللاهوت المسكوني يعمق التحسس للوحدة بين المسيحيين، ويساهم في فهم متبادل أكبر للألم الناتج من الانقسامات الموجودة حتى الآن. فحيث هناك جماعات مسيحية محلية فعالة، هناك حاجة ضرورية وملحة إلى

إعادة النظر في الاختلافات اللاهوتية، ومعالجة التاريخية منها، والحفاظ على الشركة الافخارستية. إن كل الحركة وضعت خطاً تحت عبارة الدور الذي تلعبه الخبرة المسيحية الكنسية في المهمة اللاهوتية. فالخبرة بالمقابل، تعيد التأكيد على الأهمية النظرية للإرث العام للكتاب المقدس، والمعموذية، وقوانين الإيمان القديمة.

إنّ الجماعات المسيحية التي هي في حوار مع بعضها البعض، والتي تشارك في مهام عامة لأجل الخير العام تقدر هرمية حقائق الإيمان (دستور في المسكونية) وهذا يعني أنها تدرك، بطريقة خاصة، أهمية إيمانها العام في الثالوث، وفي العناية الإلهية للآب، والعلاقة الربية والألوهية للمسيح، والمضي إلى أمام بالفعل المقدس للروح القدس، لأنه يستمر في الالتزام بإخلاص نحو الحكمة اللاهوتية الخاصة بتلك التقاليد. والمسيحيون المشتركون في النشاط المسكوني، يصبحون متواضعين تجاه اختلاف التعبير عن الإيمان ومهيئين اكثر ليروا أنفسهم متوجهين نحو المركز، نحو تأكيدات التقاليد المقبولة من قبل كل الكنيسة. لذلك فالحركة المسكونية تمتلك تحديات لاهوتية معاصرة وتغتني بها.

النساء في الكنيسة

إنّ موضوع النساء في الكنيسة ولد ومعه علاقة كبيرة بالاستجابة الفعالة (أو النشطة) أكثر من كونه ولد من المناظرة (أو الجدال). انه مثال ممتاز للطريقة التي بها تبرز عناوينها الأسئلة اللاهوتية والطرق اللاهوتية اليوم. انه أيضاً سؤال لاهوتي ذو تأثير عميق بسبب الانحرافات الثقافية الكبيرة التي حدثت في التاريخ المعاصر.

لقد تغيرت دراماتيكيا خبرة النساء في العالم تماما وذلك في العقود الأخيرة، وذلك التحول في التعبير قد حصل في الضمير الذاتي للنساء. لقد اكتشفت النساء

حظوظا جديدة لأنفسهن في مدى تطورهن الذاتي. لقد دخلن بأعداد كبيرة في المعاهد العالية الثقافة، وتدبّرن لدخول مراكز المعرفة والتأثير. وبدأن يصنعن لأنفسهن علامة في الوسط السياسي، وفي بعض الحالات ترقّين إلى مراكز عالمية مهمة.

إنّ هذا التحول في خبرة النساء أنتج وعيا بموقعهن في المجتمع والوعي الذاتي بطبيعتهن أنفسهن. وعندما تطرح أسئلة عن المجتمع الجديد والاقتصاد الجديد، فإنّ الأمم المتحدة أعطت وزنا لهذه الاسئلة بإعلان السنوات 75 – 85 كعقد للنساء. فعقدت مؤتمرات في مكسيكو سنة 1975، وكوبنهاكن 80، ونيروبي 1985. وقد عملت هذه المؤتمرات كثيرا كي تعطي للمرأة إحساسا عالميا بها، وبنمو الوعي بخبرتها في النمو الإقتصادي، وروحية التعاون لأجل تغير المجتمع. إن كل هذا النشاط ينتج هيكل معرفة بالحقائق الإقتصادية والإجتماعية للوجود النسائي المتنوع. تقول الامم المتحدة في تقريرها لسنة 1980 "إن النساء يشكلن نصف سكان العالم، يقضون ثلثي وقتهم ليحصلوا على 1 % من الناتج العالمي." وفي سياق نمو الوعي الاجتماعي والاقتصادي، فإنّ الأسئلة اللاهوتية حول طبيعة النساء ودورهن في الكنيسة أصبحت أكثر من ذي قبل.

إن الأسئلة اللاهوتية حول النساء ودورهن في الكنيسة عموما قد تمركزت حول المواضيع الآتية: هل هناك شرعية لاهوتية بخصوص سلطة المرأة في العائلة والتبعية لها؟ وهل من الممكن إن التبعية لدور النساء في الكنيسة قررت لاهوتيا؟ هناك تميزات عامة وتراكيب اجتماعية أحالت المرأة إلى موقع أدنى وتبعية، بدأت على الأقل تؤثر على التقليد اللاهوتي للطبيعة الأدنى. لذلك فإنّ النظام الجديد في "اللاهوت الأنثوي" بدأ باستقصاء ذلك التقليد، وإن الطريقة التي بها تطور اللاهوت الأنثوي

"النسوي" يكشف الديناميكية الداخلية للاهوت المعاصر بصورة عامة. فمن المهم ملاحظة أنّ اللاهوت الأنثوي أشّر التطورات المهمة في الدراسات التاريخية والنقد الكتابي وإعادة صياغة الأسئلة المنهجية (المنظمة). وأدناه بعض الأمثلة:

الدراسات التاريخية

تتمحور الدراسات التاريخية حول تطور اللاهوت الأنثوي. وهذه الدراسات استندت على مبدأين: تقويم تاريخ النساء " المفقود"، وتحليل الحالات التاريخية التي طورتها نظريات الآباء اللاهوتية. فالبحوث التاريخية ذهبت في البحث عن النصوص المهملة من قبل النساء المؤلفات. وفعاليتهن ومواقعهن في النشاطات وسجلات المدن، والتواريخ الصغيرة، والزواج، والتباين الاقتصادي، وما شابه ذلك. ومن هذه الوثائق تم إلقاء النظرة عليها عبر التاريخ الذي يؤكد على القدرة السياسية للرجال. وهكذا فتاريخ النساء استخدم طرقاً جديدة في قراءة المعطيات القديمة مستخدما ضمير الأنثى الغائب والموثوق به.فالنساء المعلمات تُعيد قراءة النصوص القديمة والكلاسيكية، بضمنها النصوص الكتابية. مع افتراض أنّ بعض النصوص خدمت المهام والمناقشات الابائية الغامضة أو المشوهة لأدوار وإنجازات النساء. إن كل هذه الخطط بعيدة المدى أغنت وفرة الفهم الجديد حول أهمية، وصحة، وقدرة النساء في تأريخ الكنيسة، وتطور اللاهوت المسيحي.

الدراسات الكتابية

تتعلق الدراسات الكتابية بالدراسات التاريخية التي تم إنجازها من قبل اللاهوت الأنثوي عبر الدراسات الكتابية. وهنا يتم الوصول إلى هدف واحد للقرار فيما إذا

كان فهم النساء كأدنى رتبة بالطبيعة، وتابعة في النظام الاجتماعي كونه يتكامل مع الكشف الكتابي.

خذ ببساطة، كشف الله عن إرادته الإلهية في تلك النصوص التي تنتدب الصمت أو تبعية النساء (مثال 1 طيم 2: 11 – 15؛ 1 قور: 2 – 12)، أو إن هذه النصوص هي نتيجة الحالة التاريخية والأبائية الميالة إلى الإرادة الإلهية. أيمكن للنصوص الكتابية أن تكون نصوص الخلاص بالنسبة للنساء؟أم هل يجب على النساء ان يرفضن الكتاب المقدس لأجل الانتباه أخيراً إلى ملء تطورهن كأشخاص ذوي علاقة مع الله؟ إن هذا السؤال حقا، قبل أوانه في الأنثوية المعاصرة.

في سنة 1800، كانت هناك نساء اشتركن في حركة أبطال بدأت أولا بالنظر في النص الكتابي لأجل إخضاع وتحرير المرأة سوية. وبعض النساء أمثال (اليزابيث كادي ستانتون Elizabeth.Cady). لقد وجدن النص الكتابي تعسفيّاً لا يمكن استرداده، فنشرنَ (كتاب النساء المقدس The woman s Bible) كهجوم على تعليم الكنيسة التقليدي وسلطتها. وأخريات أمثال (سارة جريمك Sara grimke)، التي آمنت ان الصعوبات تختبر من خلال النساء الباحثات عـــــــــن الحرية الملائمة في الكنيسة، لقد كانت نتيجة التفسير اكثر مما هي من الكشف نفسه. لقد كانت جريمك متأكدة انه إذا كنّ النساء قد تثقفن بلغات وطرق الكتاب المقدس، فإنهن سيكنّ قادرات على تقديم التفاسير الأمينة للنص، واكثر محررة للنساء مما للتفاسير السابقة، وقد استمرت المناظرة حتى اليوم. ولكن اللاهوت الأنثوي عليه محاولة إعادة إعلان النصوص الكتابية للنساء اللواتي طوّرن نقد علم الطريقة الأنثوي بقطع العلاقة مع النقد التاريخي القديم، ولكن الإحاطة علما بالثقة التي في الضمير الأنثوي الغائب والذي به يشخصون النص الكتابي

وفق إعادة تفسير معتنى به وبعدة طرق، فإنّ الحركة النسائية في الكنيسة متعلقة بلاهوت التحرير.

إن معلمات الكتاب المقدس الإناث قد تملكنّ طريقة قراءة آيات الكتاب المقدس وفق جماعات القاعدة المسيحية في أمريكا اللاتينية. وهذه الطريقة تتطلب كون قراءة الكتاب المقدس تتم في سياق الحياة اليومية القاسية لقرائها. وكي نقرأ بحق يعني تحديد اختيار الفقراء والمضطهدين الذين وجدوا وفرة في قصة الإنجيل، وينظرون خصوصا في كلمة التحرير المنطوقة. وباستخدام ضمير غائب أنثوي، فإنّ اللاهوت الأنثوي يقرأ النص بحذر ونقد، ناظرا إلى دليل القمع والظلم. ولكنهنّ يقرأن النص أيضاً بإيجابية وتخيلية، مع ما يدعوه أحد المدرسيين "بالواقعية الخلاقة للنساء". وهذا يتيح للنساء كي يدخلن إلى قصة الكتاب المقدس بمساعدة المخيلة التاريخية وإعادة خلق فنية وطقوسية ليتورجية. لذلك فإنّ التفسير الكتابي الأنثوي لا يكون نقدياً ولكنّه بنائي أيضاً. وليس موجها فقط نحو الماضي، ولكن نحو المستقبل أيضاً ... " هذه القراءة الثنائية للكتاب المقدس هي – نقدية، وقراءة مثيرة للشكوك بالنسبة للماضي، وقراءة تخيلية وحَيّة في الحاضر – أعطت للاهوت الأنثوي صوت قاعدة كتابية مدة تطوره اللاهوتي.

التطورات المنظمة

ان الانعكاس اللاهوتي على تساؤل النساء في الكنيسة مبني على الدراسات التاريخية والكتابية، فقد غيرت الأسئلة اللاهوتية المركزية. إن هذا يعني فهماً جديداً "لغنى نعمة الله الحرة الحسية فينا". فالخطة الجميلة التي الله: " أفاضها علينا بكل ما فيها من حكمة وبصيرة، فأطلعنا على سر مشيئته أي ذلك التدبير الذي ارتضى أن يعده في نفسه منذ القدم" (افسس 1:8 – 10).

لدينا هنا مجال فقط لطرح بعض الأسئلة المنهجية كمفتاح ينير من جديد من خلال اللاهوت الأنثوي. إن موضوع اللغة الشاملة هو موضوع يجذب قدراً عظيماً من الانتباه، شعبيا ومدرسيا (تعليميا). البعض افرز هذه لكونها تساؤلاً لغوياً "فقط". ولكنها تعكس باعتناء إعلانا لامتداد عظيم حيث اللغة التي نستخدمها تعطي شكلا لإحساسنا بالآخرين، أفراداً وجماعات. لذلك فإنّ مختلف هيئات الكنائس توصي بإعادة كتابة النصوص الكتابية والليتورجية كي تعكس رؤية شاملة، مزيلة استخدام لغة شاملة استخدمت عموما مصطلحات ذكورية كي تشير إلى الإنسانية عموما.

وبنفس الوقت، فقد برزت مرة اخرى تساؤلات حول اللغة الشاملة لموضوع اللغة اللاهوتية بالعموم. ان اللاهوت الأنثوي يذكرنا إن كل لغة حول الله هي إستعارية وقياسية. ففي الاستعارة نحاول اقتراح شيء حول الله المتسامي من خلال إيقاظ الحقيقة الإنسانية بأننا نملك درجة محدودة من الخبرة عن الله. والاستعارة الشخصية مهمة جدا لاقتراح فهم علائقي عن الله، كالسيف ذي الحدين: انه يضمننا في حدود جنسية (ذكراً وأنثى) حتى حينما كانوا يحملون قدرة عاطفية عظيمة. إن الانعكاسات الأنثوية على طرق السير خلف الحدود الجنسية للغة الاستعارية تذكرنا بعدم كفاية اللغة الإنسانية حول الله. إنها تدعونا إلى تحسس فكري عميق للسر الذي يجب على اللغة اللاهوتية أن تبذل قصارى جهدها كي تستذكر وتتواضع مع ما نستخدمه حتى مع اكثر اللغات دقة.

وبنفس الطريقة، ان مناقشة الانثروبولوجية اللاهوتية بواسطة اللاهوتيات الإناث قد أبرزت أهمية التساؤلات حول الطبيعة الإنسانية. لقد بدأت الأنثروبولوجية الأنثوية مع السؤال عن قصور النساء، سائلين أين تبدأ نظرية الخطأfaulty theory،وكيف كانت نتيجة هذا الزعم. ولكنها تقود إلى إعادة تفكير مثمر

للأسئلة الانثروبولوجية التقليدية: وكيف نفهم العلاقة بين الجسد والنفس، وبين السبب والألم، والتخيل والتعقل. إنها تبحث عن الطريق الذي فيه هذه التقاليد الثنائية تنفث دمارا نفسيا وثقافيا في الغرب، وتبحث عن الأشكال لفهم (وحدة الشخص) وتكامل التعددية الإنسانية.

ترغب الانثروبولوجية الأنثوية في الانفتاح على موضوع مناقشة الطبيعة الإنسانية عبر الأشكال التاريخية، لأجل فهم الطريق الذي به وضعت الثقافة والتاريخ، والشروط تجاه فهمنا لما معنى كوننا إنسانيين. فإنها تبحث عن أشكال التحولات التي تشرح الشخص الإنساني، وتنفتح نحو إمكانيات التحول. لذلك فإنّ الجماعة الإنسانية تستطيع السير خلف الفصل بين مجموعتين، بين الحياة الشعبية والشخصية، والفرد والمجتمع، والجسد والنفس، والطبيعة والنعمة. وفي هذه المحاولة اللاهوتية، فإنّ موضع الفكر اللاهوتي هو موضع صلب، والشخص التاريخي الذي يجابه مواضيع: الحرية، والبقاء، والخلاص، ليس كمنفصل، ولكن كواقع واحد، وملء حقيقة الحياة الشخصية الخاصة للفرد. لذلك فإنّ أغلب اللاهوتيات الإناث، يبدأن بشرح الخبرة الشخصية للآخر، والمروية بشكل قصصي. ولأجل خلق حوار بين لغة الشخص هذه والمناقشة المختصرة لأغلب التقاليد المبكرة فإنها واحدة من أعظم تحديات الحركات النسائية.

إن موضوع رسامة النساء، هو واحد من المواضيع التي تقفز تلقائيا إلى الفكر عندما يفكر الناس في قضية النساء في الكنيسة. لا شك انها أصبحت للكثيرين رمزاً للدرجة التي تقبل أو لا تقبل النساء كشريكات في الكنيسة وفي رواية الخلاص. ولكن لا نستطيع فهم رسامة النساء كقضية منفصلة. لنفكر لاهوتيا بخصوص متطلبات رسامة النساء، فلأول وهلة، إننا نختبر تساؤلات مركزية في المسيحانية. فإنّ التأكيدات الحالية للكنيسة الكاثوليكية

بخصوص الذكورة كرمز لمن يأخذ محل المسيح على المذبح تجلب الانتباه إلى التغير التقليدي للتجسد. ومن الأزمنة المبكرة فهمت هذه العقيدة ككلمة صار جسدا (إنسانا)، وبواسطتها أثرت خلاص كل ذي جسد. فتعجب النساء من التأكيد الجديد لذكورة يسوع التي يجب أن لا تؤثر في قضية مكانة النساء كمُخَلّصات حقاً (حالهنّ حال الرجال).

وكذلك، فإنّ موضوع الرسامة يذكرنا باختلاف النماذج التي بها فهمت الكنيسة، وتساءلت مرة أخرى فيما إذا كان بالإمكان أن يكون (عدم تساوي الخدمة بين الرجال والنساء) هو علامة أو سر الخلاص لكل الناس. إنها تبرز التساؤلات حول دور خدمة الرسامة في الكنيسة، ومركزية الافخارستيا في حياة الكنيسة ورسالتها، والطريق الذي به تعني بها السلطة التمرن في الكنيسة. لذلك فإنّ قضية الرسامة هي أكبر من رمز، إنها موضوع عملي وتأريخي يكشف بوضوح أكبر عن التساؤلات اللاهوتية التي يجب على الكنيسة المعاصرة ان تستجيب لها، أو تجعل إخلاصها للإنجيل في حالة خطر.

الاستنتاجات

إن المواضيع اللاهوتية التي تواجه الكنيسة اليوم هي تلك التي اتخذت هذه الحالة من خلال الضرورة التاريخية والمهمة المعطاة إلى الكنيسة بواسطة المسيح ربها كي تكون نوراً لكل الشعوب. إن اللاهوت اليوم يجب أن ينفتح للبصيرة والخبرة، لا فقط إلى جميع التقاليد الكنسية المختلفة، ولكن أيضاً إلى كل رجل وامرأة ذوي الإرادة الصالحة، والذين يصنعون نسيج " الشعوب" الملون في عالمنا.

إن الكشف الكتابي، كما تم فهمه بواسطة أجود المدرسين المعاصرين، وتاريخ التقليد الكنسي عبر التفسير النقدي والتوكيدي، هما أساسان وعليهما سيستقر اللاهوت المعاصر.

ان الحركة المسكونية والنسائية تبرز بوضوح إن نقطة البدء في الفعالية اللاهوتية هي ربما الخبرة وتساؤلات الجماعة الخاصة، والطائفة، والثقافة، فإن استخدام الخطة هو شائع وربما يحول التقليد المسيحي نفسه. فلكي تعمل لاهوتاً، ليس معناه العمل الفردي، واختيار مواضيع، فالإيمان المسيحي ليس قائمة من المواضيع المنفصلة، ولكنّه محاولة متماسكة لفهم ملء سر الله الذي أعلن بالمسيح لأجل خلاص كل البشر.

ان الحركة المسكونية والنسائية تبين أنّ اللاهوت ينجم عن الإيمان المعاش من قبل الشعب. ان اغلب التساؤلات العميقة المعاصرة بخصوص الله والخلاص الإنساني هي تلك التي تأتي من جماعة المؤمنين المتدينين بالصلاة والعمل، والمنسجمين الواحد مع الآخر وبإخلاص تجاه الإنجيل.

ان اللاهوت المعاصر لا يُنجَز بطريقة أحسن عندما نكون في برج عاجي، ولكن مع جماعات العمل والعبادة، وحيث ان الانسجام لأجل العدالة في العلاقة يقود إلى انعكاس لاهوتي وهو بالمقابل تعبير عن وضع جديد للسلام والعدالة. هذا هو الفهم اللاهوتي الموجود في العديد من الوثائق المجمعية للفاتيكاني الثاني والذي به اللاهوتيون يجاهدون كي يعبروا عن الإيمان بطرق جديدة.

أسئلة

1 – كيف تنعكس التطورات في الحركة المسكونية وفي اللاهوت الأنثوي على الإلتزام بأن ينعكس على الخبرة المسيحية؟
2 – في أية طرق يعكس اللاهوت الأنثوي (او لاهوت العدالة) على المهمة النقدية اللاهوتية؟ وفي أية طرق تعكس (مهمة الخلق) اللاهوتية؟
3 – كيف يستخدم اللاهوت المسكوني عمل اللاهوت الكتابي والتاريخي والنظامي؟
4 – ما هي التساؤلات البارزة بالنسبة لك بخصوص التطورات في اللاهوت المسكوني والأنثوي؟

الفصل الحادي عشر

اللاهوت والأديان العالمية

العالم، هو مكان قديم، وبالتكاثر (وبالازدياد) يصبح مكانا أصغر. لقد نهضت الحضارات في الأوقات المبكرة في مساحات معزولة الواحدة عن الأخرى، مع ذلك فإنّ بعض الرحالة مثل (هسون – تسنك) الراهب البوذي الصيني الذي سافر من الصين إلى الهند في القرن السابع، (وماركو بولو) الاوروبي الذي سافر إلى الصين في القرن الثالث عشر، قد صاغوا الجسور بين الثقافات. لقد طور وصان الجزء الأكبر من البشر على الأرض مختلف وجهات النظر الواحدة عن الأخرى قبل الأزمنة الحديثة، حيث واجهت كل مجموعة بشرية قضايا أساسية للخلاص في طريقتها الخاصة. لقد كافحت كل المجتمعات البشرية بقضايا مشتركة من اجل تنظيم الأسئلة، والنزاع داخل الجماعة،والموت. وغالباً ما نمت وفق هذه النماذج وبمقياس كبير الحضارات في الشرق الأدنى وأوربا، والهند، و الصين. وقد وجدت بالإضافة إلى ذلك الأنظمة الأقل مركزية بين شعوب القبائل في الأمريكيتين وأفريقيا وعبر المحيط.

إن الحياة الإنسانية مملوءة من كل العلوم الإنسانية الحياتية المحددة بالولادة، والنضج، والزمالة، والبراءة، والمحافظة على الاقتصاد، والسعادة المادية، والتقدم في العمر،والموت. وبإعلان هذه الحقائق الأساسية تثار أسئلة حول النشوء والغرض من الأشكال الإنسانية.

عادة تحتوي الحكمة المجتمعة للبشر على قصة الخلق للإجابة عن السؤال الأساسي عن الأرض وأصول الإنسان. فقد اشترطت الأنظمة الدينية والمؤسسية عبر

التاريخ التصديق على فعاليات الإنسان الأساسية مثل الولادة، والتسميات، ومعرفة حالة البلوغ، والزواج، والعمل، والموت. أما القوى الثقافية، واللغوية، والجغرافية، والإرصادية، فإنها نشأت نتيجة التمايز بين الثقافات، وحتى التاريخ الحالي الحديث، لم يكن هناك دافع لتعلم طرق الآخرين نتيجة لصعوبة الاتصالات والمواصلات.

كان قد تم افتراض - بسبب التنوع المحكم للتكنولوجيا الحديثة عبر التاريخ البشري من خلال التوسع الأوروبي، والتجارة الحرة، وانتشار السيولة النقدية[15]–ان المسائل الأساسية للوجود الإنساني يمكن لمسها باليد وفق حقائق التنوير الأوروبي. واعتبر القانون الطبيعي بأنه كوني غير محدد بثقافة. وقد اقتنع الكثيرون بأن العلوم الفيزيائية والاجتماعية المتطورة حديثا يمكن ان تكفي لتحقيق الأجوبة والحلول التي تخص نشوء الإنسان، وتألم جميع البشر. ومع ذلك وخلال العقود الأخيرة من القرن العشرين وهجر الأنظمة ذات القيم التقليدية، فقد جاء بالتدقيق وإعادة الاعتبار، وكلاهما من خلال الثقافات الغربية، وفي عالم غير مسيحي. وأبعد من هذا، أي مباشرة مع المستعمرين بشكل تنوير للسيطرة الأوروبية، حيث استمرت الطرق التقليدية برفض إعطاء العالم الغربي نفسه كليا للصفة العلمانية. فالهند والصين والشرق الأدنى حافظت على تراثها، أما الثقافات القبلية الأقل منها شأنا فقد حافظت على وجهة نظرها في بعض الحالات.

لاهوتيا، كانت هناك تحديات هائلة خلال القرون الثلاثة الماضية. فبعد أن دخلت الكنيسة بلداناً جديدة، وكسبت البشر القدامى، واجهت وجها لوجه أشكالاً مختلفة جدا من الفرضيات الثقافية، ليس فقط أشخاصا قليلي الاختبار بأصول الكنيسة كفرع من اليهودية، والذين

---

[15] **والتي تشير في بعض الأحيان إلى التطور الاقتصادي.**

بالنتيجة تم احتسابهم مع الفكر اليوناني: الأول من خلال عمل الشهيد يوستنيانوس، والآخرين من خلال الآباء الأوائل للكنيسة. وكما تعلمنا بعد ذلك من الحضارة الإسلامية المتطورة اكثر، اصبح عندنا فرصة غنية جدا للتفاعل الثقافي. ولقد كتبت الإرساليات اليسوعية المبكرة إلى الأمريكيتين عن أشكال من الشهامة وسط ما سميّ بهمجية المواطن الأمريكي الأصلي. كما وقد أعجب يسوعي آخر وهو (مايتو ريكي) بما شاهده من المستوى الثقافي العالي والتطور الفكري في الصين.

لقد تفاعلت هذه الملاحظات المبكرة في الأيام الأخيرة مع الكنيسة الكاثوليكية التي دعت إلى احترام ثقافات الأديان في جميع أنحاء العالم، حيث تم ذكر ذلك في وثيقة المجمع الفاتيكاني الثاني المسمى: إعلان علاقة الكنيسة مع الأديان غير المسيحية.

التصريح المجمعي: في علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية

"1- في هذا العصر الذي يتزايد فيه يوما بعد يوم توثق اتحاد الجنس البشري، وتزداد فيه علاقات الشعوب بعضها ببعض، تنظر الكنيسة بتبصر في ما تكون عليه علاقاتها بالأديان غير المسيحية. فإنها في مهمتها الرامية إلى تعزيز الوحدة والمحبة بين الناس، بل بين الشعوب، تنظر هنا في ما هو مشترك بين الناس ويحدوهم على أن يحيوا مصيرهم المشترك. ذلك بأن جميع الشعوب يؤلفون أسرة واحدة: فهم جميعهم من أصل واحد، إذ سكن الله الجنس البشري كله على وجه هذه الأرض؛ ولهم جميعا غاية قصوى واحدة، وهي الله الذي يبسط على الجميع كنف عنايته، وآيات لطفه، ومقاصده

الخلاصية، إلى أن يجتمع مختاروه في المدينة المقدسة التي يضيئها مجد الله، وفي نوره تسلك الشعوب جميعا. وينتظر الناس من الأديان المختلفة جوابا على الألغاز الخفية لواقع الإنسان التي ما فتئت في الأمس، ولم تفتأ اليوم أيضاً، تدخل القلق البالغ على قلب الإنسان: فما الإنسان؟ وما معنى الحياة وغايتها؟ وما الخير والخطيئة؟ وما أصل العذاب وغايته؟ ما الطريق إلى السعادة الحقيقية؟ ما الموت والدينونة؟، وما الثواب بعد الممات؟ وأخيرا ما السر القصي الذي يكتنف وجودنا ويسمو على الادراك، وهو المبدأ واليه المعاد؟"

يشير الإعلان إلى الأمور الخاصة للديانات العالمية التقليدية. ملاحظين أن الهندوسية تحتوي على "كمال الميثولوجيا "و" السؤال الفلسفي الباحث"، وتعلن أن " البوذية بأشكالها المتعددة، تعترف بعدم مقدرتها أساساً على مواجهة هذا العالم المتغير" مقدمين طريقا للتنوير من خلال الجهود الذاتية أو المساعدة الاعلى، ويدعو الإعلان عندما يتحدث عن التقاليد المتعاكسة:-

"2 – نجد عند مختلف الشعوب حساسية بهذه القوة الخفية، الحاضرة في مجرى الأشياء وأحداث الحياة البشرية؛ بل نصادف أحيانا الاعتراف بإله أسمى، بل بأب. وأن هاتين الحساسية والمعرفة تؤثران في حياتهم تأثيرا دينيا بالغا.

وتحاول الديانات التي نشأت مع تطور الثقافات أن تجيب عن هذه الأسئلة بتحديدات أدق، وتعبير اقرب إلى الصحة. ففي الهندوسية مثلا يكب الناس على سبر أغوار السر الإلهي والتعبير عنه بسيل من الترهات، وبالاجتهادات الفلسفية النافذة. انهم

ينشدون انعتاق واقعنا الراهن من سطوة القلق، أما بالاعتكاف على أنماط من الزهد والاستجهاد، أو بطريق التأمل العميق، أو بطريق التوجه إلى الله في حب وثقة.

أما البوذية، على مختلف صيغها، فإنها تعترف بالنقص الجذري في هذا العالم المتحول، وتعلم السبيل التي يتمكن الناس بها، بقلب تقي واثق، أما من الحصول على الانعتاق الكامل، وأما من الانتهاء إلى الإشراق الأعظم، وذلك باجتهادهم الذاتي، او بعون من العلاء. وكذلك الأديان الأخرى المنتشرة في العالم، فإنها تسعى بمختلف الطرق لمواجهة القلق المسيطر على قلب الإنسان، وتعرض له السراط إليه، أي طائفة من التعاليم، والقواعد المسلكية، والطقوس الدينية.

والكنيسة الكاثوليكية لاتنتبذ شيئا مما هو في هذه الديانات حق ومقدس؛ وتولي تقديرها باحترام صادق هذه الطرق المسلوكة في العمل والحياة، وهذه القواعد والتعاليم، التي، وان اختلفت في أمور كثيرة عما تقول به وتعلمه، تحمل،غير مرة، قبسا من شعاع الحقيقة التي تنير جميع الناس. غير انها تبشر، ويجب أن تبشر بلا انقطاع، بالمسيح الذي هو "الطريق والحقيقة والحياة "، وفيه يجب على الناس أن يجدوا ملء الحياة الدينية، وبه صالح الله مع نفسه جميع الأشياء.

من اجل ذلك تحرض أبناءها على الاعتراف بالقيم الروحية، والأدبية، والمجتمعية، والثقافية التي توجد عند اتباع الديانات الأخرى، والمحافظة عليها وإنمائها،وذلك بطريق الحوار والتعاون معهم،بمقتضى الفطنة والمحبة، مع الشهادة للإيمان والحياة المسيحية."

بإعطاء هذه الفكرة عن الحقائق في التقاليد الأخرى، فإنّ الكنيسة الكاثوليكية تحث على متابعة الحوار والتعاون مع الأديان الأخرى، وتستنكر إذاً –كأمر مخالف لروح المسيح- أي تمييز، أو أي عنف للآخر بسبب الجنس، أو العنصر، أو اللون، أو شرط الحياة أو بسبب الدين (أعلاه رقم 5). إن هذه الوثيقة تؤكد أيضاً الاحترام الذي تكنه الكنيسة للفكر الإسلامي، والذي يحتوي على فصل شامل بغض النظر عن العلاقة بين المسيحية واليهودية. ومن الواضح أنه لا يمكن اعتبار العقائد الأخرى عقائد وثنيين، ولكن من خلال أمور محدودة، يجب فهم عقيدتهم واحترامها ومساندتها من المسيحيين.

لذا فقد تضمنت مفكرة لاهوت الكاثوليك منذ عام 1965 الحوار مع العقائد الأخرى. وهذا يتعقد تماما ومن الصعب تحليله، حيث يتطلب دراسة اللغة الأجنبية، والإحساس الثقافي، والتحليل الاجتماعي، وسنلخص في الأجزاء اللاحقة مفاتيح لمواضيع من أربع مناطق دراسية هي: التقاليد القبلية، وهي التقاليد الثلاثة التي نشأت في الهند (الهندوسية واليانية و البوذية)، وتقليدين اثنين نشأ في الصين (الكونفوشيوسية والطاوية*)، والنقاش عن كيفية الأخذ بنظر الاعتبار التقاليد المختلفة في عدم الحكم حتى الآن وفق النور اللاهوتي.

---

*الطاوية فلسفة دينية مبنية على تعاليم لاوتسي – وتعتبر إحدى أديان الصين الثلاثة "المترجم ".

التقاليد القبلية

ترتكز اكثر المعلومات المتوفرة لدراسة التقاليد القبلية على تقارير علم دراسة الأجناس البشرية، وبصورة عامة في مجال الانثروبولوجية. وقد جاء المصدر الاول للثقافة القبلية من الأحاديث الشفوية بدلا من الوثائق المكتوبة، فإنّ تكوين وطبيعة العالم قد حكيت من خلال حكايات يمكن ترتيبها بشكل قصص الخليقة المدروسة الشاملة للأخوة التوأم في تقاليد الأمريكيين البسطاء في الحكايات الأفريقية المختلفة التي تتساءل: لماذا لا يقيم الله الخالق فترة ما بين أبناء البشر، أي بين (النكومبي) في وسط أفريقيا، حيث يقال أن الله الخالق (أكونكو) إعتاد أن يعيش بين البشر. ولكن غالبا ينزعج بسبب النزاعات البسيطة المخترعة من البشر. لقد نشب نزاع عظيم في أحد الأيام، وغادر (أكونكو) واختفى في الغابة ولم يعد بعد ذلك أبداً، والآن عندما يدّعي السكان أنه حضر بينهم؛ لا يستطيعون أن يتذكروا أبدا بماذا يشبهونه.

وهناك قصة أخرى تحكى في مختلف أنحاء أفريقيا تقول: إن الإله لن يختلف عن السماء، وإن السماء مثل الإله تكون عادة قريبة من الأرض، لذا فباقترابك لذلك الشخص يمكن أن تمسه. يمكن أن يتحدثوا إلى إله السماء، وإن إله السماء يجيبهم. ومن هنا فإنه مرة إحدى النساء العجائز أصبحت متحمسة جدا في تهيئتها كميات كبيرة من الطعام، حيث استخدمت يد آلة (الهاون) لكسر الحبوب، فقامت برفع عدتها في كل وقت لقطع الأخرى بضراوة، لقد كانت تكره إله السماء، وترفض أن تهتم بدعاوي السماء القضائية لها بالوقوف. وقد تراجع إله السماء في النهاية وبدون خيبة أمل، ولم يمسها، أو يحدثها. إن هذه القصص في كلتا الحالتين مدهشة وتذكرنا غالبا بأن البشر لا يخسرون الصورة العظيمة للحياة بتعلقهم بالاهتمامات الدنيوية.

الثقافات القبلية مشهورة في تمارين الطوطم[16] (يقصد بالطوطم، اعتبار العلاقة مع نوع خاص من الحيوانات كنوع من القرابة)؛ والمحرمات (أي نظام سلوك خاص مع المحرمات)، واحترامهم للنظام الطبيعي. توجد مجاميع أساسية لمنظمات بشرية في الثقافات البدائية للأمريكيين والأستراليين تجمعها مجموعة من الروابط العائلية بمعرفة خاصة مع حيوان معين. ويشير ذلك الحيوان إلى المجموعة الخاصة من البشر بأنه طوطم المجموعة. انه مكرس ويجب عدم قتله. والأكثر من ذلك يحصل تلقين الرجولة للرجال الشباب، حيث غالبا ما تنمو علاقة مع الحيوان الذي يصبح مكرسا مع الفرد، إما مع خبرة الحلم، أو مع رتبة (طقس) كبير معروف برؤيا الخيال. ويقال بأن الطوطم في الأوقات المزعجة أو المبهمة يجلب المساعدة (المساندة) والارتياح، خلال تحقيق الرؤيا، وقد ركزت حياة الفرد لأجل الحصول على الطهارة والقوة وسط الصعوبة.

وفي جيل الرفض هذا بسبب القلق فإنّ التقاليد القبلية في أمريكا خدمت غالبا كإيحاء في خدمة الأرض كما هو مذكور في المقتبس التالي من كلام رئيس المركز الدوائي اليوناني في واشنطن عام 1854: " يكرس كل جزء من هذا التراب ليقدم الاحترام لشعبي، وقد تقدس كل تل، وكل وادي، وكل مساحة وبستان حزين أو سعيد على مدى وطول الأيام. حقا ان الغبار ... يجيب بمحبة إلى خطوات أقدامهم ...لأنها غنية بدم أجدادنا الأوائل، ومع أقدامنا العارية الشاعرة بإثم لمستنا العاطفية".

وتؤكد الجمل التالية (لسموهالا)؛ الحب للأرض، ومناعتها في نظرة الأمريكيين الأوائل، لقد قاوم القائد (نيز

---

[16] **الطوطم رمز مقدس للعشيرة أو الأسرة "المترجم"**

بيرز) في القرن الماضي وهجر الاقتصاد البدائي لصالح الأخذ بالنموذج الاوروبي:

"سوف لن نعمل يا رجالي الشباب، الرجال الذين يعملون لا يستطيعون الحلم لان الحكمة تأتي من الأحلام.

تسألني حتى أحرث الأرض. هل آخذ السكين وأمزق ثدي أمي؟ وعندما أموت سوف لن تأخذني إلى صدرها لأرتاح.

تسألني لأدق كي أستخرج الحجر. هل أدق تحت جلدها من أجل العظام؟ فعندما أموت لن أستطيع دخول جسمها كي أولد مرة أخرى.

تسألني أن اقطع الحشيش واصنعه لأبيعه، وأكون غنيا مثل الرجال البيض، ما هي الجسارة التي اقطع بها شعر أمي؟

انه قانون سيئ، ولا يستطيع شعبي إطاعته. أريد من شعبي أن يبقى معي هنا، سوف يعاد إلى الحياة جميع الرجال الموتى مرة أخرى.

يجب أن ننتظر هنا في بيت أبينا لنكون حاضرين لاستقبالهم في جسم أمنا."

إن تبجيل الأرض في كلتا الحالتين قد تم بناؤه وفق الرؤيا الدينية للبشر البدائيين. فأكثر من نصف الأمريكيين البدائيين في هذه الدولة هم من الكاثوليك، حيث شجعتهم الكثلكة على الاهتمام بالعديد من احتفالاتهم، وممارستهم التقليدية انسجاما مع روحية المجمع الفاتيكاني الثاني.

الديانات التي نشأت في الهند:
الهندوسية واليانية والبوذية

الهندوسية

إن التقليد الهندوسي الديني،هو مزيج من المذاهب والممارسات التي تطورت في شبه الجزيرة الجنوبية الآسيوية منذ العصر الحجري القديم. لقد وجد الزجاج البراق ليصنع منه المجوهرات الأثرية المبكرة في حوض وادي نهر (اندوز) في باكستان الحديثة.

لقد اكتشف (مورتيمر ويلر) في عام 1923 في هذا البلد مدينتين:(موهينجودارو وهرابا)منذ عهد الألف الثالث قبل عصر المسيحية. ووجدت في هذه المدن شواهد لممارسات دينية في التماثيل الصغيرة الخصبة المعبودة (المؤلهة) مثل طوطم الحيوانات المصورة ظاهريا لأجل العبادة. تضمن ذلك الوصف، التأمل والتظاهر باليوغا، وبعلامات مميزة تتنبأ بعبادة الهند الأخيرة للإله (سيفا). وقد اكتملت هذه الحضارة عبر بناء الطريق الشامل، وأسس البناء. وقد دامت الحضارة حوالي ألفي سنة قبل أن تدخل في طريق انحدار الدولة بسبب طبيعي هو ملوحة التربة.

وقد جاء الفيضان الأخير لنهر اندوز مع الغزاة القادمين من الشمال الذين اكتسحوا الأرض مبتدئين عام 1500 قبل الميلاد تقريبا، حيث أطلقوا على أنفسهم (اريانز)أو النبلاء، ويشار إليهم في المدارس الحديثة بالأوربيين الاندو،حيث أدخلوا اللغة السنسكريتية إلى جنوب آسيا، اللغة التي هي قريبة إلى اليونانية، واللاتينية وفي الأيام الحديثة كاللغات الرومانية والألمانية، بضمنها الإنكليزية.

وفي الفترة الزمنية التي استغرقت عدة مئات من السنين، كوّن الاريانز، وحفظوا عن ظهر قلب، وسلموا أغاني وأشعاراً تشرح مآثرهم وصلواتهم إلى الآلهة

والآلهات الذين ساعدوهم في تحقيق حياة افضل. تأسست في هذه المجموعة المسماة(ريك فيدا Rig Veda) قواعد الطقس ونماذج الصلوات من قبل (ماكس ملر) كالوحدانية المشوبه.[17] وبدأ في هذا النموذج الطقسي الديني الرغبة في تخلي الإنسان عن حاجاته بهدف بناء ذاته، وتحقيق هدفه الخاص الذي يرمز له بألوهية خاصة. على سبيل المثال فإنّ الآلهة فاك Vac(القريبة من الكلمة الانكليزية "صوت") قد تضرعت خلال تقديمها القرابين لأجل تعزيز قوة الشخص كي يتكلم معها خلال الفترة الزمنية التي هو بحاجة إلى خدماتها. انها أصبحت مركزاً متفوقاً لعبادات الشخص الدينية، ويمكن فيما بعد للشخص أن يتحول إلى (ساراسفاتي) إلهة التعليم من أجل نجاح الدراسات. فقد تضرع الإله المقاتل (اندرا Indra) لغايات الإخضاع والقوة. وقد قيل بوجود ما مجموعه اكثر من 330 مليون اله والهة في (فيداس).

وبخلاف عدة تقاليد دينية، فإنّ الهندوسية لا تؤكد على مفهوم خطي للزمن، حيث لا توجد نقطة ثابتة للأصل، ولا يوجد حديث عن الإيمان بالأواخر، أو النهاية الأخيرة. ومن الخواص المنطقية للفكر الهندي من القديم إلى الحاضر فإنّ (ريك فيدا) في " ترتيلة الخليقة" (10. 129) تبدأ بالحديث سلبيا حول القدرة على معرفة البدايات الحقيقية للأشياء بصورة مؤكدة. وتؤكد منذ البداية بأن "لا يكون هناك وجود ولا عدم وجود الى أن تكون الآلهة أحدث من هذا العالم المخلوق"، مع ذلك فإنّ الترتيلة تؤكد بأن الرغبة هي الجرثومة الابتدائية التي تبرهن الوجود: خبرة الرغبة في اللحظة الحاضرة وازنت بالكيفية مع الطلب الذي يتدفق إلى امام وبالسماح إلى تدفق (*rtu*) في واقع جديد.

---

[17] اله واحد ولكن من غير إنكار وجود آلهة أخرى - المترجم

اما (فيدا) فتطرح حالة خاصة بأن عملية الخلق تكرر نفسها مرة بعد مرة، وفي كل لحظة تكون عملية خلق أصلية. وقد جاء البناء الاجتماعي الهرمي مع شعب (فيدا) الذي إستنبط نظرية – منذ ذلك الحين – في النظام الاجتماعي الهندي، أو نظام (فارنا Varna). وفي قمة البناء المساوي للرأس حيث يسكن براهما Brahmanالكاهن حامل الثقافة والطقوس، والطب، وفي آخر مرتبة في القمة يحكم كساتريا Ksatriyas بقوة عضلاته. وهناك افتراضات بان عدة (كاستيريين) كانوا في الحقيقة حكّاماً طبيعيين لمساحات في شبه القارة.

يأتي الثالث (فا سيا Vaisya) التاجر الذي يطابق في دعامة الشخص الكوني مصدرا بضائعه من مساحة إلى أخرى.

اما الرابع (سودرا Sudra) فهو رمز للإقدام، كونه العامل، أو رمز لمجموعة الخدمة. سودرا هو الأقل تنظيماً اجتماعيا، حيث كانت قد سحبت رتبتهم أصلا، وربما قصرت على أبناء البلد الأصليين.

تعاونت هذه الأعمال الأربعة، حيث ملك (براهمان) في احترام عظيم على الآخرين طبقا إلى ثقافته وصفائه، لأجل أشكال الجهد الذي ينجزونه.

وخلال عدة قرون بعد بناء نظام الطوائف الاجتماعية، وبعد التركيبة الأخيرة لترتيلة (فيدك)، قد أضيف مفهوم جديد هو: دخول شخص ما في العائلة طبقا للأعمال السابقة لشخص ما (أي تراكم إلى كارما سابق)، وبعد الوفاة، يولد الشخص طبقا إلى أعماله السابقة.[18] فإذا استشهد أحد، فإنّ الشخص يمكن أن يحصل على ولادة أعلى. أما إذا كان الشخص شريرا فإنّ الولادة تكون اقل إنسانية وحتى يمكن ان تتوقع ولادة حيوان. مع هذا، إذا

[18] اعتقد الكاتب يقصد تناسخ الأرواح (المترجم).

عاش أحد ما حياة نكران الذات، فسيكون قادرا على اختيار ثالث وهو التحرر من عدم الولادة والدخول في حالة اللاموت والشعور بالنقاء ومنتهى السعادة.

يجد أولا هذا المفهوم المتحرر (موكسا moksa)، وهو ما يشير إلى ان مجموعة من نصوص الأديان قد نمت تقريبا بين 600 إلى 100 قبل الميلاد. في هذه التعاليم التي تحتوي نثرا توضيحيا، ومحاورة بين المعلمين (كوروس gurus) وتلاميذهم. يتم تعليم طريق الحرية (موكسا) الذي من خلاله يستطيع الشخص أن يتحرر من كل أنواع العبودية، والهدف الواضح في مثل هذه النصوص مثل (جاندوكيا ابانيساد وميتري ابانيساد Chandogya Upanisad & Maitri Upanisad) هو كي تتطور الإمكانية المطلوبة لتمييز الفرق بين ذلك الذي يمكن ان يتغير، والذي هو ثابت وبين المتسامي. ولأجل إزالة كل الأفكار الخاطئة التي تعود للطبيعة الحقيقية للشخص، فإنه ينتبه أخيرا إلى الذات أو (الآتمان atman)، وإلى حالة التطهير أو الوعي، حيث لا شيء يمكن مشاهدته مختلفا أو معكوسا إلى حد ما.

هذه التبعات تأتي لتوازن مع الحقيقة الأعلى أو براهمان (حتى لا تشوش مع النظام الاجتماعي الكهنوتي الهندي) عندما يكون بإمكان الشخص الإنساني الإدراك العالي. لقد نشأت من كلا فرعي (الفيداس) و (ابا نيسادس Upanisads) ستُّ مدارس مختلفة من التفكير تحت مظلة الهندوسية. الأقدم هي (فيدانتا) التي تعني "نهاية الفيداس" ونصها هو (براهما سوترا Brahmasutra).

إنّ تاريخ النص المقدم من (بادارايانا) يعود إلى القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد والذي ينظم مناقشة الحقيقة النهائية كما وجدت في (فيداس و أبانيسادس). هذا العمل الذي دعي من البعض بأنه أول بحث تحقق لاهوتيا بصورة نظامية. وبالرغم من أن هذا البحث قد قدم نفسه

لمختلف التأويلات خلال تاريخ الفكر الهندي، فإنّ الفكرة المميزة (لادفانيا) أو المدرسة الوحيدة لفيدانتا Vedanta، هي أن جميع الظهورات هي مجرد وهم (مايا maya)،[19] وقد اعتبرت تقريبا بأنها مناسبات لتذكار الحقيقة النهائية. من جهة أخرى فإنّ فكر مدرسة (سمخايا Samkhya) يرفض مفهوم الوهم ويدافع عن التهذيب الخاضع للتطهير كنموذج للشهادة غير المنحازة للشعور بالوعي (بريسا purusa) اثناء البحث الشامل لكيفية تغيير العالم (براكرتي prakrti). وهذا يدخل في الإدراك الغريزي المدفوع بالشروط الذهنية والأشواق غير الممتحنة.

المدرسة الثالثة هي مدرسة اليوغا التي تقدم أساليب تقنية شاملة في تهدئة الفكر وتطور البصيرة، أما المدارس الثلاثة الباقية فهي: (نيايا Nyaya، وبرفا ميما مسا Purva Mimamsaوفيسيسيكا Vaiseska) فتتعامل على التوالي مع المنطق، والطقسية، والتأمل العلمي.

وبحدود مشتركة مع التطورات الفلسفية واللاهوتية المختلفة فإنّ التعاليم الأساسية للأشكال المتنوعة للهندوسية موثقة خلال سرد القصص الملحمية العظيمة والمبكرة ومنها (مهابهاراتا Mahabharata وراماياناً) والتي يعود تاريخ كلتاهما إلى بداية القرن السادس قبل الميلاد، إنّ طول (المهابهاراتا) هو ضعف طول الالياذة والاوديسة مجتمعتين، حيث تعود القصة إلى الكفاح من أجل الاستقلال بين مجموعتين من الأعمام. إن أحد الكتب الدينية المترجمة كثيرا في العالم، والذي هو (بهاغافادغيتا Bhagavad Gita) موجود في هذا النص الذي يصف الثقافة الروحية (لأرجونا) أحد المحاربين الأعمام الذي يلتفت إلى الرب (كريشنا) من اجل النصيحة عندما يضعف ويصاب باليأس بسبب الحرب الشديدة. أما (راماياناً Ramayana) فإنها تركز على حياة الرب (راما Rama) الذي يربح امرأة

---

[19] المايا: شعب يقطن هندوراس البريطانية وغواتيمالا الشمالية (المترجم).

جميلة بالتجسد السماوي بعد المعارك الناجمة ضد العفاريت، ويحكم مملكة لا عيب فيها. أما (براناس Puranas) فإنه يقص الإلوهية للمغامرين بضمنهم (ديف Devi)، أو الإلهة و(فيشنو Vishnu)، أو الحافظ و(سيفا Siva) المدمر.

لقد ربحت الهندوسية من أدبها الغني وتقاليدها الفلسفية بالتكيفية المدهشة، وقد أمكن نفخ الروح في جزء من عمق تفكيرها بالتوحيد الذي بشر به المسلمون في الهند ابتداءً من القرن العاشر. بالتأكيد تجذر هذا في (الفيديك)، فالفلسفة، والتقاليد الملحمية، مؤشرة بالعبادة الهندية (بهاكتي bhakti) التي بدأت باكتساح الهند من القرن الثاني عشر وبعده. والأكثر ألفة من هذه التطورات الحديثة، هي حركة (هاري كريشنا)، لأن في الهند قد غنت (ميراباي) نفسها أغاني للرب كريشنا، المرأة التي تبرأت من الثروة والعائلة لتكرس حياتها في عبادة إلهها واحتمال التعرف عليه اكثر.

لقد كان لدى شعوب شبه قارة جنوب آسيا الإجابات المستمرة والشاملة عن الديانة المسيحية، وفعلياً منذ نشأتها.فطبقا للتقاليد، فإنّ جماعة المسيحيين كانت قد كونت ما يسمى الآن دولة الهنود الجنوبية (كيرالا) بواسطة الرسول توما في القرن الأول، وهذه الجماعة قد استمرت بالازدهار.

لقد أسس البرتغاليون مستعمرة للتجارة وصنعوا عدة تحولات إلى الكاثوليكية في(كوّء Goa) وهم مبتدئين في القرن الخامس عشر. خلال اكثر من ثلاثة قرون من الاقتصاد ذي الطابع الانكليزي والسيطرة السياسية، فإنّ الهندوسية اكتشفت، وانتشرت إزاء المسيحية البروتستانتية متضمنة المشيخانية، والانكليكانية، والخلاصية.

وخلال انبعاث النهضة الهندية في نهاية القرن التاسع عشر، والتي كان مركزها مدينة كلكتا فإنّ (براهمو

ساماج) قد وجد من(ديبند راناث تاجور) أب الشاعر الرابح لجائزة نوبل (رابندراناث طاغور). هذه الحركة التي أكدت الوضع الشرعي لإحدى الطوائف الاجتماعية الداعية إلى المساواة بين النساء، وجعلت النصوص المكرسة حاضرة وجاهزة اكثر للجمهور، وقد ساعدت أيضاً بوضع الأسس لنظام (راما كريشنا – فيفيكاناندا) التي حافظت على انتشار وسائل الثقافة والصحة في جميع أنحاء الهند، ومراكز التأمل على النطاق العالمي.

واليوم يمكن مشاهدة جميع الطبقات من تاريخ الدين الهندي مزدهرة فعليا في الهند، حيث تمارس الطقوس (الفيديكية) ذات الطبيعة المختصرة كل صباح في اغلب البيوت. ويتضمن النظام الاجتماعي خلال عطلة الأسبوع بكثرة إجراءات الزواج. لقد سدّت خطط الاستخدام القومية رسميا بصورة متميزة لعلاج العمال الهنود ذوي المستوى الاجتماعي الواطئ، وقد أدى ذلك إلى حركة سلفية للمعارضة. كما تم إنتاج(مهابهارتاMahaharata) و(رامايانا Ramayana) على شكل مسلسلات تلفزيونية، حيث يتمتع بها المشاهدون الهنود لعدة اشهر حتى نهاية العرض صباح يوم الأحد.

وبالرغم من المراكز اللاهوتية التي لا تعد و لا تحصى، ومع البشر ذوي مئات الآلهة والآلهات ليختاروا أشكال العبادة. لقد بقيت الهندوسية في قلوب حياة اكثر من نصف بليون إنسان في الدولة التي تحتوي على النسبة الثانية لأغلب سكان العالم ازدحاما.

اليانية(الجينسم) Jainism

لقد حدث توتر بين نموذجين من السلوك المقرر منذ الأطوار الأولى للديانة المنظمة في الهند. ومن جهة أخرى فإنّ الصورة البراهمانية للديانة الفيديه تعتبر الواجب أو الفضيلة dharmaلأي شخص خلال النظام الاجتماعي كأعلى

قيمة في حياة الشخص. وبعد أن يكمل شخص ما هدفه الاجتماعي، فالحرية هي للبحث عن التقاعد من العالم، وهذا هو سهل المنال للأعضاء ذوي الأنظمة الاجتماعية العليا. وكما هو مؤكد بالنظام الاجتماعي، فإنّ (باغافاد كيتا Bhagavad Gita) و(رامايانا) تؤكدان كلتاهما على الشخص.

بالمقابل فقد تم إنجاز تقليد موازٍ يعوض عن التقليد الأول في الهند، يعود تاريخه ربما إلى حضارة وادي الهند قبل خمسة آلاف سنة مضت، يعرف هذا التقليد (بسرامانيك Sramanic) الذي يدافع عن عالم النكران الزهدي للذات في أي عمر، وله أعضاء فعليين لأي نظام اجتماعي متضمنا تقاليد اليوغا، واليانا، والبوذية.

أن اقدم هذه التقاليد هي اليانية التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع قبل الميلاد. ويقال بأن المعلم الثالث والعشرين (ترثانكارا بارسفاناثا Tirthankara Parsvanatha) هو الذي أنجز هدف التحرر، ومن ثم دافع عن الطرق الأربع لممارسات التطهير والتي تتضمن اللاعنف (المذهب الهندوسي ahimsa)، والصدق، وعدم السرقة، وعدم التملك. وفي الفترة الأخيرة أضاف المعلم الرابع والعشرين جاينا مهافيرا (599 – 527 قبل الميلاد) التقشف الجنسي كطهارة خامسة، حيث تم إنشاء محطات إذاعية عديدة للأديرة ولأصحاب المهن من العلمانيين.

لقد ظهر جوهر تعليم اليانية في (أكارانكا سوترا Acaranga Sutra) والذي ينص على أن "جميع الكائنات مغرمة بالحياة". تحب السرور وتكره الألم، تجتنب التدمير وتحب العيش، والعيش دائما. وان الحياة للجميع هي غالية وقد تأخذ حياة (جيفا Jiva) موقعاً خاصا في التقليد الياني. حيث ان كل شيء اعتباراً من الصخرة وقطرة الماء وحتى الكائنات البشرية قد تشبعت بالحياة. وان كل نوع من الحياة بضمنها الجبال والبحيرات

والأشجار لها وعي بمنتهى السعادة والنشاط، حيث تصنف جميع الكائنات الحية في شكل هرمي طبقا إلى الحواس التي تملكها. وأن الأشكال البسيطة للحياة مثل: الأرض، والماء، والحريق، والهواء، والخضراوات تملك شعور اللمس فقط، أما الديدان لها اللمس، والتذوق. لكن البق، والنمل، يملكان الحس باللمس، والتذوق، والشم. ويضاف حاسة النظر إلى كل من الفراشات، والنحل، والحشرات الطائرة. ويقال أن الأفاعي لها جميع الحواس بضمنها السمع. بينما يقال ان الحيوانات، والطيور، والسمك، والبشر لها ستّ حواس إضافة إلى القدرة على التفكير بالحواس الخمسة الأخرى.

لقد قيل في اليانية بأن الكائنات الحية ليس لها بداية، وبسبب الأشواق المستمرة التي لا تنطفئ تحدث الولادات الجديدة المتكررة بعد كل وفاة. وعمليا فإنّ كارما Karma[20] تصبح مطلبا شرعيا هو طبقا إلى اليانية كينونة فيزيائية، والكتلة الغنية بالألوان اللزجة التي تلتزم بقوة حياة (جيفاJiva) وتسبب التبعية والتألم. الإنسان المتوسط يكون مملوءاً من الكارما الذي يحجب المعرفة اللامتناهية لمنتهى السعادة والنشاط للطبيعة الحقيقية له. ان الهدف من ذلك هو أن تتخلص النفس بصورة منظمة من جميع الكرما خلال التكريس والطهارة والسماح للشخص بالدخول في دولة التحرر الثابتة ومن ثم عدم الولادة مرة أخرى.

أن التكريس الأول والرئيس لعمل (جاينا) يتطلب اللاعنف أو أهيمسا ahimsa*. هذا النظام الذي يقال بأنه يقلل من سلطة الحركة لكارما، وان جميع الاتجاهات الدينية والفلسفية تعكس ما يتعلق باهيمسا.

---

[20] العاقبة الأخلاقية الكاملة لأعمال المرء في طور من أطوار الوجود بوصفها العامل الذي يقرر قدر ذلك المرء(في الاعتقاد البوذي) في طور تناسخي مستقبلي (المترجم).

*** المذهب الهندوسي (المترجم).**

ولأجل دعم هذا التكريس، فقد دافع مهافيرا Mahavira في اتجاهين عمليين: الأول يراهن على الجماعة، والآخر على رهبان (جاينا) حيث ان جميع اتباع جاينا هم نباتيون بصورة صارمة، وتعيش هذه الكائنات وحدها بحاسة واحدة (أي تعتمد على النباتات) ومحصول الحليب، ويشتغل العلمانيون في الأعمال التي لا تؤدي إلى عنف مثل التجارة والفنون. وبالنسبة إلى الرهبان المتقدمين في تنسك (ديجامبارا Digambara) فانّ كل ملابسهم محرّمة على كل الرهبان، وكذلك الحفر، والسباحة، والإنارة، أو إطفاء النار، أو التذري، من أجل حماية الأرض والماء والحريق والأجسام الهوائية على التوالي.

لقد قام اتباع جاينا بحملة دعائية في فترات التاريخ الهندي من اجل التدريب على اللاعنف بمساعدة أعضاء من الديانات الأخرى حتى اقنعوا الإمبراطور المغولي الأكبر (1556-1605 قبل الميلاد) بأن يعتزل الصيد. ولكن ولو انهم أقلية صغيرة جدا فهم متفوقون في أعمالهم، ونضالهم من أجل تطبيق مبادئهم في العصر الحديث هو بدون خسائر.

البوذية

لقد وجد طريق النكران الزهدي للذات شكلا آخر من التعبير في حياة وأعمال بوذا (563 – 483 قبل الميلاد). كان بوذا قد ولد في (كساتريا Ksatriya) الشهيرة من عائلة المحاربين في شمال الهند، وسمي (سدهارثا كوتما Siddhartha Gautama) والذي يعني " الشخص الذي أتم هدفه". وقد قيل بأنه عند ولادته، أعلنت هيئة محلفين من ثمانية قُسُس براهمانيين بأنه سيصبح إما قائدا عالميا عظيما، أو سوف ينكر العالم ليصبح راهبا. لقد عمل والده بصعوبة ليؤكد ان ابنه سوف لن تكون له فرصة ليترك الدنيا خلفه وسيحجبه من جميع أشكال اليأس. ولكن وفي

سنته التاسعة والعشرين أخذه المحسن إليه خارجا وراء حدود قلعة التنظيف والتعقيم، وفي النتيجة قابل قائدا، ورجلا مريضا، ورجلاً ميتاً(جثة)، وأخيرا ناسكا سرامانكيا.

ونتيجة لرفقته الأولى مع الجنس البشري، وعدم الراحة والموت بقي حزينا وشديد الاضطراب. قدّم بوذا – رغم وجود ديانات أخرى- إمكانية غير مشروطة للتسامي وللتطويبات، فعزم ذات ليلة أن يسير في طريق حياة الراهب تاركا خلفه امرأة نائمة وابناً رضيعاً، حيث هام على وجهه لست سنوات، ودرس التأمل مع معلمين مشهورين، وقد مات من الجوع تقريبا نتيجة لتفرغه للتقشف. وفي النهاية رفض الطريق الشاق نتيجة إنكار الذات، فاستعاد صحته، وبريقه. لقد تغلب على جميع عوائق حريته من خلال الفترة الممتدة للتفاوض لتشخيص الشيطان والحجز الدنيوي التي فيها حارب (ماراMara). حدث هذا تحت شجرة بوذا في مدينة (كايا بوذاBodh Gaya) الكائنة شمال الهند والتي أصبحت مزارا مهما للحجاج البوذيين من جميع أنحاء العالم.

أن التنوير أو نيرفانا[21]Nirvana البوذيه تحتوي على سلسلة من النشوات، حيث انفصل بوذا أولاً عن الأشياء الملموسة، وحبس عواطفه، ثم دخل في حالة منطقية من التفكير المتقطع، وفي حالة النعيم أيضاً، وأخيرا أصبح حراً من جميع المضايقات. توصف هذه الحالة بالوعي النقي، ورباطة الجأش. ومن موضع الاسترخاء هذا، ميز أسباب آلام الإنسانية كما هي متجذرة في الرغبة والتجاهل، التي قادته إلى التأثير الكارميكالي Karmically،والهوية غير النقية، وكبت الإحساس، وحب الاكتساب، والوجود،والولادة،والعمر الطويل، والموت،وإعادة الولادة.

---

[21] السعادة القصوى التي تتخطى الألم والتي تلتمس في البوذيه عن طريق قتل شهوات النفس (المترجم)

وبعد تسعة وأربعين يوما من التفكير الطويل، قرر ان يشارك التبصر مع الآخرين في مدينة (سارناثSarnath)القريبة من شمال (باناراسBanaras) حيث أحيا حفلته الشعبية الأولى، واضعا أسس الديانة البوذية، وهناك أعلن الحقائق الشهيرة الاربع:

(1) ان جميع الأشياء تتألم.
(2) ان الرغبة، هي سبب الآلام.
(3) ان التوقف عن الرغبة، هو التوقف عن المعاناة (الألم).
(4) إن التحرر منها يتم من خلال ثماني طرق تشمل:
1 – تهذيب وجهات النظر الصحيحة.
2 – الانتباه.
3 – الكلام.
4 – العمل.
5 – الرزق.
6 – الجهد.
7 – اليقظة.
8 – التركيز. وقد جمع فورا العديد من التلاميذ، وعلم خمساً وأربعين سنة ناشرا تعليماته أو (دراما)[22] في جميع مناطق الهند.

وقد تمت المحافظة على مواعظ بوذا، ونقلت بواسطة تقليد شفهي منظم في الثلاثمائة سنة الأولى بعد وفاته. وأخيرا كتبت في اللغة الباليه Pali(التي هي قريبة إلى السنسكريتية Sanskrit) وألحقت بنصوص إضافية. وفي عام 260 قبل الميلاد اهتدى (اسوكاAsoka) الإمبراطور الثالث لسلالة (مايرياMaurya)الحاكمة في الهند إلى البوذية، وأعلنها ديانة رسمية في إمبراطوريته، ويمكن

[22] **الدراما في الهندوسية والبوذية صفة جوهرية كالدين "المترجم".**

مشاهدة الأحجار المنقوشة، والنصب التذكارية لتعاليم بوذا لحد هذا اليوم في جميع أنحاء البلاد.

وبقدوم القرن الأول قبل الميلاد سافر مبّشرو بوذا إلى الصين، وفوراً تم تكوين نصوص بوذية جديدة في شمال الهند، هذه النصوص أعادت تأكيد وتحقيق الشخصية للتحرر وحثت الكيانات(الطبائع أو المخلوقات) ذات الإحساس إلى تهذيب الشفقة.

لقد سمي الشكل الجديد للبوذية الذي تجذر في الصين، واليابان، وكوريا، والتبت، بماهايانا Mahayanaأو المركبة العظيمة. أما الشكل المبكر للبوذية المعروف بثيرافادا Theravada، أو طريق الشيوخ، فهي موجودة اليوم في سيريلانكا وجنوب شرق آسيا. وتؤكد المدرستان على التهذيب العالي والانتباه الشديد للقوانين المحددة للرهبان.

لقد اختفت البوذية في الهند، واختفت معها بعض تعاليمها المركزية المهتمة بأشكال التوفيق بين المعتقدات الهندوسية وأديرتها، ومكتباتها، التي دمرها الفاتحون مع بدايات القرن الثاني عشر. أما اليوم فقد انتشرت البوذية في مقاطعات عديدة ما وراء نطاق الأصول الآسيوية من خلال تقوى عالمية في تأمل (الزين Zen)، وترانيم (نجيرين Nichiren)، ومهن تانتريك Tibetan Tantricالتيبتية.

الديانات ذات الاصل الصيني:

الكنفوشيوسيه والطاوية

لقد واجهت البوذية في الصين بعد انتشارها حضارة قديمة تقوت بتهذيب الانسجام والتوازن. وبالرغم من أن بعض التعاليم برهنت تناغمها مع رفض البوذية للارتباط بهموم العالم، فهناك مظاهر أخرى للمجتمع الصيني عوّضت مباشرة عن اشتقاق البوذية للنظام

الرهبـــاني،والنكران الزهـــدي للـــذات وخاصـــة التأكيـــد الكنفوشيوسي على العائلة والجماعة. لذلك ولو ان البوذية احتفظت بتطابق مختلف داخل الصين، فإنها تفاعلت معها، وتغيرت بتقاليدها الطبيعية، وغالبا ما وجدت نفسها في صراع مع الكنفوشيوسية، وبإنسجام مع الأفكار الطاوية، فكانـــت المدرســـتان الـــدينيتان والفلســـفيتان للحضـــارة الكلاسيكية. واجهت الصين خلال تاريخها بوضوح رثاء الحرب عبر شاعر القرن الثامن بعد الميلاد توفو Tu Fu الذي طالب بإيقاف المعركة في حرب توسعية لا يمكن ربحها بقوله:

"لا يوجد سلام هادئ في جميع أنحاء العاصمة،
ولا توجد راحة حتى للرجل الشيخ،
لقد هلك في المعركة جميع أبنائي وأبناء أبنائي،
اذن ما هو الجيد لي ان أعيش وحيدا؟
أرمي قصبتي خارجا وارحل من الباب وكل
رفاقي في المسيرة حزنوا علي.
العالم بأجمعه هو في بعثة عسكرية،
المعركة تطلق اللهب على كل تل.
بدأت الجثث المتروكة تنتن بين الأخشاب،
ولا توجد قرية في مكان آمن اكثر من الأخرى.
يمكنني أن أترك أيضاً، وانقطع دون تردد تاركا
إلى الابد الكوخ المسقف بالقش الذي كان منزلنا
لفترة طويلة، وأشعر باليأس الذي حطم كل شيء
في داخلي."

تميزت الحضارة الصينية بالعدد الكبير من السكان في الأزمنة المبكرة، والذي تطلب مساحات أكبر وأكبر من الأراضي نتيجة صعود وسقوط السلالات الحاكمة المتعاقبة التي تأثرت غالبا بسبب فتح الأراضي الأجنبية.

نهض الفلاسفة واتباع الديانات في الصين في تناغم عال لأجل اتزان الرغبات تجاه العنف في العائلة والقرية، وبين مجموعات الأشخاص الكنفوشيوسيين (551 –479 قبل الميلاد) الذين دافعوا عن ما يكنه الإنسان في قلبه: (رينRen)، وآداب التصرف: (لي Li). قاموا بتكوين هرمية محددة للأشخاص، مع أطفال مطيعين لأولياء أمورهم، حيث يطيع الأطفال الصغار للأطفال الأكبر عمرا، والزوجات تخضعن لأزواجهن، والأقل عملا رسميا يحترمون رؤساءهم الأعلى في الوظيفة. وقد كتب في (التعاليم العظيمة) ما يلي:

"الاشياء لها جذورها وفروعها، والشؤون التجارية لها نهايتها وبدايتها، ولكي تعرف من هي البداية ومن هي النهاية فإنّ ذلك سيقودك تقريبا إلى ما تعلمته من التعليم العظيم.
إن القدامى الذين رغبوا في توضيح الفضيلة المشهورة في المملكة، يجب عليهم اولا الاهتمام بدولهم جيدا.
وإذا رغبوا في الاهتمام الجيد بدولهم، فإنّ عليهم تنظيم عوائلهم أولا.
وإذا رغبوا في تنظيم عوائلهم فإنّ عليهم تهذيب اشخاصهم أولا.
وإذا رغبوا في تهذيب أشخاصهم يجب أيضاً أن يصححوا قلوبهم أولا.
وإذا رغبوا في تصحيح قلوبهم يجب عليهم ان يبحثوا بان يكونوا مخلصين في أفكارهم.
وإذا رغبوا لأن يكونوا مخلصين في أفكارهم، فإنّ عليهم توسيع معرفتهم إلى أقصى حد أولا.
ويقع توسيع مثل هذه المعرفة في البحث عن الأشياء.

وستصبح المعرفة كاملة بالأشياء التي تم بحثها، وبهذا تكون معرفتهم كاملة وأفكارهم صافية.
وعندما تكون أفكارهم صافية فإنّ قلوبهم ستكون صافية.
وعندما تكون قلوبهم صافية فإنّ أشخاصهم تكون مثقفة.
وعندما تكون أشخاصهم مثقفة فإنّ عوائلهم ستكون منظمة.
وعندما يتم تنظيم عوائلهم فانّ دولهم تمارس السلطة بصورة صحيحة.
وعندما تحكم الحكومة بصورة جيدة فإنّ جميع انحاء المملكة تكون هادئة وسعيدة."

يمسك النظام الذاتي مفتاح الإيقاع من داخل النظام الكنفوشي. هذه العملية التي تتطلب انتباها ومجهودا عاليا، حيث كل شخص يتوقع ان يعمل (أو تعمل) في إدامة وتعزيز النظام الاجتماعي.

أن (لاو تزو Lao Tzu) الذي عاش في نفس وقت كنفوشيوس طبقا لما ذكره بعض التلاميذ قدم طريقا مغايرا لتحقيق الموازنة والانسجام عرف بالطاوية Taoism، حيث عوضا عن الكفاح الغير فعال، فإنه لا يعمل أي شيء على الإطلاق (وى وي wu wei) تاركا الأشياء تتبع سياقاتها. وفي مجموعة من الأشعار التي عرفت بتاوتي جنك Tao Te Ching، إستخدم صورا عريضة مختلفة ليبلغ تعاليمه في عدم التدخل في الشؤون الداخلية متضمنا مصادر الأنثوية العظيمة، والماء، والوادي، والطفل، والخشبة غير المنحنية. وبالنسبة إلى (لا وتزو) فإن الضعيف يفوز في النهاية، والنص التالي يوضح حدة ذهن الطريق الطاوي ومقاومته للهوانFacile،والإيمان بالفكرة الثنائية:

"عندما يعرف جميع سكان العالم الجمال كجمال
هناك يتم إدراك البشاعة
تنتج الكائنات وغير الكائنات الواحدة للأخرى
تكمل الصعوبة والسهولة الواحدة الأخرى
يتبع الأمام والخلف الواحد للآخر
لذلك فإنّ الحكيم يدير أعماله التجارية بدون تأثير
(وى وي wu wei) والعقائد التي تنتشر دون كلمات
جميع الأشياء تظهر، ولا يتحول عنها
هو ينتجها، ولكنه لا يمتلك منها
هو يعمل، ولكنه ليس حسب مقدرته الخاصة حقاً
هو ينجز هدفه، ولكنه لا يدعي بالائتمان
إنها الدقّة لأنه لا يدعي ائتمان ذلك
وتبقى إنجازاته معه."

إنّ الهدف هو دخول (الواي Wayأو الطاو Tao)، في كلا التقليدين (الكنفيوشي والطاوي). ان موقع الانسجام للكنفوشيوسي يمكن الحصول عليه فقط من خلال القسوة، أما بالنسبة إلى الطاويين فانه السرور دائما، لذا فإنّ الأشخاص يهملون عادة إفادة أنفسهم بدقة بسبب جهودهم. وبواسطة بناء ذات الشخص بانسجام من خلال: إمّا الاقتراب حيث الواحد يصبح حكيما ذا قيمة للتبجيل، أو مُلهِماً للآخرين.

الاستنتاجات

لقد لخصنا في الأقسام أعلاه مجموعة من مختلف الاتجاهات التي استخدمت في التاريخ البشري حول الكرة الأرضية للإجابة على الأسئلة المركزية التي تصادف البشر

في سلوك حياتهم. يتحدث لنا كل واحد من هؤلاء في طريقته الخاصة.

فمن وجهة نظر (الشامانية Shamanic)فإنّ أغلب الناس يؤكدون على العلاقة الهامة بين البشر والحيوانات وخاصة أولئك الذين أحبوا حيواناتهم الأليفة.

وقد اندفعت (الفيدية Vedic) لإنجاز شوق الشخص الذي لديه التماس كوني تقريباً؛

كما يطالب (يوبانيسادس Upanisads)الشخص بأن يترك الاهتمام بشيء سريع الزوال. إنّ عليه البحث عن النفس الحقيقية لشخص ما.

أما التعريف (اليانيJainism)للحياة والذي يختلف جذريا عن ذلك الذي وجد في العالم الغربي، فإنه يتحدانا باعتناء أكبر حينما يقرر تضمين أعمالنا اليومية في أشكال حياتية أخرى.

أما البوذية فإنها تؤكد على الطبيعة المؤقتة للخدمات العالمية المرئية كبقايا لجهود جميع الناس كي لا يبحثوا عن المطلق في العالم المتغير. ومن جهة اخرى، فإنّ الكنفوشيوسيين ينقبون لأجل مسك الثورة كمطلب لا يمكن انكاره، وبصورة خاصة للمجتمعات الصاخبة دون ثبات وارتفاع.

أما الطاوية، فقد أهملت الطموح، والاهتمام بالذات، وهذا يبدو كدواء جيد، وخاصة تجاه أولئك الذين تستبد بهم فكرة ما مصحوبة بالنشاط والتخيل والتراكمات.

وفي مقارنة لأديان آسيا الواحد مع الآخر، ومع تقاليد الأنبياء في الديانات السماوية، يمكن لشخص ما بناء نظرية لحساب كلا الاختلافات والتشابهات بين هذه الأديان.

لقد قدم اللاهوتيون في السنوات الحديثة افتراضات مختلفة: فطبقا إلى ترولتسجTroeltsch، ان جميع الديانات هي نسبية، وجميعها بالضرورة واحدة كما يقول توينبيToynbee وجميعها تشترك بالأصل بوسيط مشترك

كما يقول جنكJung، وكما يؤكد بارثBarth بأن المسيحية هي الديانة الحقيقية. ويمكن ان يكون هناك وحي في الديانات غير المسيحية، ولكن الخلاص فغير ممكن كما يقول تيلخTillich، ويضيف راهنر Rahner بأن جميع الديانات هي طرق للخلاص.

ومع ذلك فإنّ كل واحد من هذه الطرق لديه نفس المزيّة، وكذلك يوجد ميل للتحدث وطلاء جميع الأديان بالفرشاة نفسها. لقد نهض كل تقليد خلال حقبة خاصة في التاريخ، وفي مكان خاص، ولغة خاصة. إنّ تكامل كل تقليد يستحق الاحترام لأنه يساعد على إختصار حياة وطرق حياة البشر إلى جمل وصفية قليلة تؤدي إلى الإساءة للأهواء والنية وتستلزم عملاً صعباً. وطبقا إلى المجمع الفاتيكاني الثاني، يوجد في كل طريق شعاع من الضوء يجب أن نحفظه في ذاكرتنا أيضاً حيث أن كل شعاع يحمل لونا مختلفا.

وفي نهاية الملاحظة أرغب أن اقدم علم المناهج (الطريقة أو الاسلوبmethodology)لتخمين التقاليد الدينية المختلفة في شكل يحترم وحدتها وكفاحها أيضاً، كي نرى الشعاع المشترك وراء تقدم التساؤلات الدينية. تبدو جميع التقاليد في نمط واحد، أو آخر مشغول به كما يسميه أليادEliade "المكرّس، أو العابد للإله "، ويسميه أوتوOtto "المقدس ". تحتوي اغلبها على صور للتسامي، بينما الهدف من العمل التقليدي هو الارتقاء نحو الأعلى تاركين خلفنا ما هو على الأرض.

وتقول الهندوسية الفيدانتيكية Vedantic Hinduismعلى سبيل المثال أن جميع الأشياء في العالم (أو على الأرض) هي مايا Mayaأي وهم، وإن مستلزمات بحث الأديان ترتفع فوق المايا بوعي صاف أو براهمان Brahman. حيث يجاهد جاينا Jaina كي يرتفع فوق نتائج

كارما Karma، وأخيراً يصل في النهاية إلى قمة النقاء والاستقلال المهيب.

بالنسبة إلى البوذية، فإنّ عالم سمسارة Samsaraأو إعادة الولادة اللانهائية المشتقة بالجهل تقهر من خلال عدم التشوق للوصول إلى النيرفانا Nirvana.

ويمكن للشخص الإنساني في التقليد الكنفوشيوسي ان يوازن بين السماء والأرض، أما الطاويين فإنّ "الطريق" موجود عبر موازنة الفوق والاسفل؛ الين واليانك yin & yang.

وفي اليهودية، يعتبر العهد هو العلاقة الإنسانية مع الله في الأعالي، ويتفاعل حياتياً يوما بعد يوم.

أما في التقليد المسيحي فقد تكونت الحياة الدينية بإدراك الأبوة والله المتسامي ما دام العيش هنا على الأرض في الأسفل كعيش العلاقة بين الأخ والأخت (أي الأخوة).

أما للمسلم فإنّ عملية الذِكِر الثابت لله تخدم الشخص كي ينصرف عن الاهتمامات الدنيوية نحو المعرفة الكاملة بوحدانية الله " لا اله إلا الله".

وعندما نضع مختلف المراكز دون محاولة التبسيط الوحيدة وبتأويل رئيسي، ندخل في حوار عن العلاقة بين الاديان. وهنا لاتوجد حاجة للموازنة بين مفاهيم الاديان عند محاولة فهم وتعلم التقاليد بدلا مما يملكه احد ما من محاورة صادقة. فاذا قلنا بأن الهندوسية تعبد الله سيكون كلامنا غير دقيق، ونقول الشيء نفسه عن البوذية واليانية، حيث انها غير صحيحة. مع هذا فمن الممكن ان نختبر التشابهات المحدودة في تقدم الديانات، وممارسة النتيجة الصافية للديانات في الطريقة التي يمكن بها تهذيب الاثنين معا، شخص ما والتقليد الذي يمكن دراسته.

أن استكشاف الحقائق المفهومة من مختلف العقائد هو عملية إغناء على حد سواء لما نفهمه نحن وفهمنا لطرق الآخرين. وبما ان عالمنا وبصورة متصاعدة سيصبح متعدد

الثقافات لذلك يكون الخلاص الإنساني للأشخاص من العقائد المختلفة ضروريا حيث يتعلم الواحد من الآخر ما يؤمن به من التقاليد والرحلات التاريخية. ونستطيع عند فهم العلاقة المتبادلة بين الأديان الإسهام بأمل في تسامح أكبر ونظام عالمي هادئ. ويستطيع المسيحيون عند تعلم شيء ما عن الحقائق في تقاليد الأديان الأخرى من رعاية واحترام لطرق الثقافات غير المسيحية. والى هذا تتحرك الكنيسة المسيحية نحو القرن الحادي والعشرين، حيث إن النسبة المئوية العظمى من أعضائها سوف تدعي بأن جذورها قد انبثقت من الثقافتين اليونانية والعبرية، وبديهياً ستتجذر ثقافيا في طرق قبلية بنماذج آسيوية في الفكر والعمل. لذا فإنّ مسيحية المستقبل ستنعكس طبيعيا في عملية إعادة تثقيفية شاملة، ستدرك حقيقة الأناجيل المسندة والمخصبة باكتشاف التبصر خلال الألفية في القارات بمسافات أبعد من موطن مسيحية الشرق الأوسط.

أسئلة

1 – ما هي وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكية المنفتحة إلى تقاليد الأديان غير المسيحية كما هي مذكورة في وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني؟
2 – ناقش الطرق التي ينظر بها الأشخاص الأمريكيون البدائيون إلى الأرض باحترام أبوي؟
3 – ما هي أوجه التشابه بين اليانية والبوذية؟
4 – ما هي مدرستا الفكر التي نهضت في الصين القديمة استجابة إلى الكفاح الإنساني الخفي؟ وكيف تتشابه الواحدة مع الأخرى؟ وكيف تختلف الاثنتان؟

The College Student's

Introduction to theology

Christopher Key Chapple
John R.Connolly
Michael Downey
Mary M.Garascia, C.PP.S.
Marie Anne Mayeski
Mary Milligan, R.S.H.M.
John R.Popiden
Thomas P.Rausch,S.J.
Jeffrey S.Siker
Daniel P.Rausch, S.J., Editor

A Michael Glazier Book
THE LITURGICAL PRESS
Collegeville, Minnesota

منشورات كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاهوت
المركز الثقافي (6)

Trranslated by Fr. (Archbishop) **Habib H. Jajou**
1st Edition
St. George Chaldean Catholic Church
Baghdad-Iraq 2002
2nd Edition
Basra-Iraq 2017